عُقُودُ الجُمَانِ

في

دُرُوسِ شَهرِ رَمَضَانَ

٤٠ درساً في رمضان:

فضائل وآداب، مسائل وأحكام، مواعظ وتوجيهات، نوازل معاصرة

تأليف

الشيخ الأستاذ الدكتور

سعد بن تركي الخثلان

أستاذ الفقه في كلية الشريعة بجامعة الإمام
والمدرس في الحرمين الشريفين

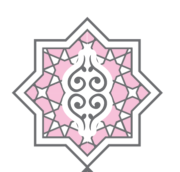
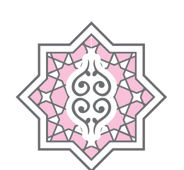








دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع

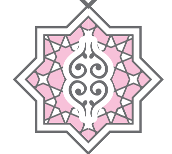
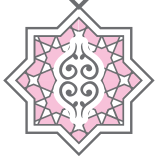
عُقُودُ الجُمَانِ

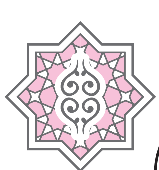
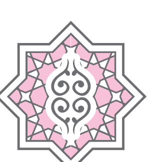
فِي

دُرُوسِ شَهْرِ رَمَضَانَ

٤٠ درساً في رمضان:

فضائل وآداب، مسائل وأحكام، مواعظ وتوجيهات، نوازل معاصرة

ح دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، ١٤٤٤ هـ

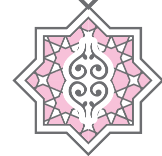
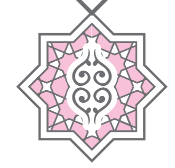
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخثلان ، سعد بن تركي
عقود الجمان في دروس شهر رمضان
سعد بن تركي الخثلان - ط ١ - الرياض، ١٤٤٣ هـ
٢٩٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٧-١-٩١٦١٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الصوم ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٣, ٢٥٢ ١٤٤٤/٦٤٢١

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٤٢١
ردمك: ٧-١-٩١٦١٤-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأُولَى
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)



المملكة العربية السعودية - الرياض
٠٠٩٦٦ ٥٤ ٤٨٩٦٦٥٤
daratlas.sa
@dar-atlas
dar-atlas@hotmail.com

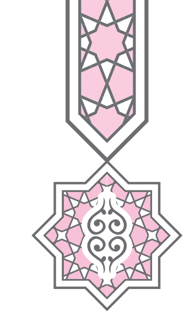



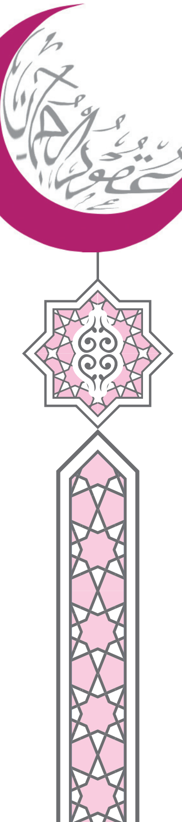
عُقُودُ الجُمَانِ

فِي

دُرُوسِ شَهْرِ رَمَضَانَ

٤٠ درساً في رمضان:
فضائل وآداب، مسائل وأحكام، مواعظ وتوجيهات، نوازل معاصرة





تأليف

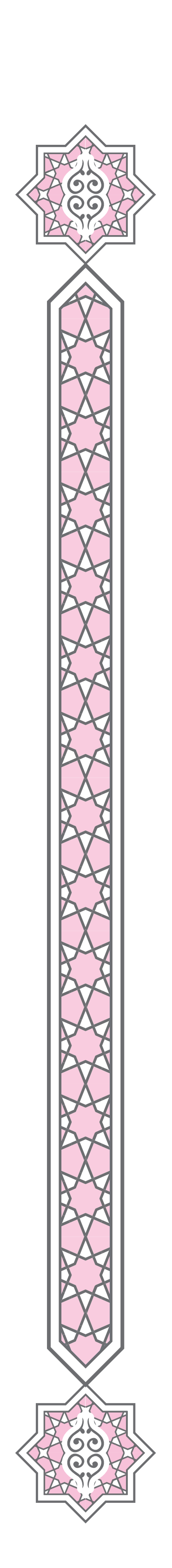
الشيخ الأستاذ الدكتور

سعد بن تركي الخثلان

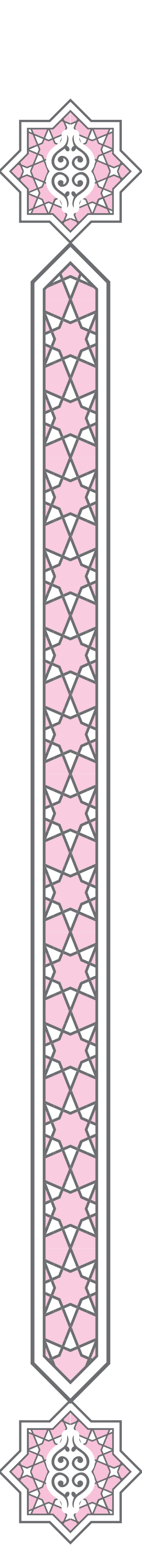
أستاذ الفقه في كلية الشريعة بجامعة الإمام
والمدرس في الحرمين الشريفين








بسم الله الرحمن الرحیم



مُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِه ومنِ اهتدَىٰ بهديِه إلىٰ يومِ الدِّينِ، **وبعدُ:**

فإنَّ شهرَ رمضانَ وعشرَ ذي الحجَّةِ مِنْ مواسمِ مضاعفةِ الأجورِ والحسناتِ، ومنْ مواسمِ التِّجارةِ معَ اللهِ تعالىٰ بالأعمالِ الصالحةِ، وعلىٰ أهلِ العلمِ مسؤوليَّةٌ كبيرةٌ في حثِّ النَّاسِ علىٰ اغتنامِ هذهِ المواسمِ وتذكيرِهم بفضائلِها وذكرِ أبرزِ ما يحتاجُونَ إليهِ فيها مِنْ مسائلَ وأحكامٍ، ولذلك قمْتُ بإعدادِ هذَا الكتابِ للتَّيسيرِ علىٰ طلَّابِ العلمِ والدُّعاةِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ عندما يريدونَ توجيهَ العامَّةِ، وجعلْتُ هذَا الكتابَ في أربعينَ درسًا في شهرِ رمضانَ متنوِّعةً ما بينَ ذكرِ فضائلَ وخصائصَ وأحكامٍ ونوازلَ وتوجيهاتٍ، وجعلْتُ لعشرِ ذِي الحجَّةِ ثلاثةَ عشرَ درسًا تُقرأُ مِنْ أوَّلِ عشرِ ذي الحجَّةِ إلىٰ اليومِ الثَّالثِ عشرَ منها، وختمْتُ الكتابَ بدرسٍ عن فضائلِ صومِ يومِ عاشوراءَ.

وقد تميَّزَ هذَا الكتابُ بما يأتِي:

(١) ذكرُ نوازلِ الصِّيامِ والمسائلِ المستجدَّةِ فيه.

(٢) الجمعُ بينَ تبيينِ الأحكامِ الفقهيَّةِ والوعظِ والتَّوجيهِ والإرشادِ.

(٣) سهولةُ العبارةِ بحيثُ يكونُ مناسبًا لجميعِ الشَّرائحِ معَ تركيزِ مادَّتِه العلميَّةِ مِنْ غيرِ تطويلٍ.

واللهَ أسألُ أنْ يجعلَ هذَا الكتابَ خالصًا لوجهِهِ الكريمِ وأنْ يكتبَ له القَبولَ وأنْ يوفِّقَ الجميعَ لِمَا يحبُّ ويرضىٰ.

كتبه

أ.د. سعد بن تركي الخثلان

الأستاذ في كلية الشريعة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

والمدرس في الحرمين الشريفين

الرياض ٢٨/ ٢/ ١٤٤٤هـ.

٢٤/ ٩/ ٢٠٢٢م.



الدَّرسُ الأوَّلُ

استقبالُ شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ أهلَّ علينا شهرَ الصِّيامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ خيرِ الأنامِ، نبيِّنَا محمَّدٍ خَيرِ مَنْ صامَ وقامَ، وعلىٰ آلِه وصحبِه الأطهارِ الأبرارِ، **أمَّا بعدُ:**

فقدْ حلَّ علَيْنا ضيفٌ كريمٌ، وموسمٌ مِنْ مواسمِ التِّجارةِ معَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بالأعمالِ الصَّالحةِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1]، فيه تُضاعَفُ الحسناتُ، وتُرفعُ الدَّرجاتُ، وتُكفَّرُ الخطايَا والسَّيِّئاتُ، وتُغفَرُ الزَّلَّاتُ، وتُعْتَقُ الرِّقابُ مِنَ النَّارِ.

ومِنْ نعمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ علىٰ العبدِ أنْ بلَّغَهُ هذَا الشَّهرَ الكريمَ، هذهِ النِّعمةُ حُرِمهَا أُناسٌ انقضَتْ آجالُهم، وانتَقلُوا بالموتِ مِنْ دارِ العملِ

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

إلىٰ دارِ الجزاءِ والحسابِ، ومنْ عالَمِ الدُّنيَا إلىٰ عالَمِ الآخرةِ، فكمْ مِنْ أُناسٍ صامُوا معنَا شهرَ رمضانَ مِنَ العامِ الماضِي، ولم يُدْرِكُوا شهرَ رمضانَ هذَا العامَ، فهُمُ الآنَ فِي قُبورِهِم مُرتَهنونَ بأعمالِهِم.

أيُّها الإخوةُ: بالأمسِ القريبِ كنَّا نستقبلُ شهرَ رمضانَ مِنَ العامِ الماضِي، وحلَّ شهرُ رمضانَ وانقضَىٰ، ومضَتْ تلكَ الأيَّامُ واللَّيالِي، وها نحنُ نستقبلُ شهرَ رمضانَ مِنْ هذَا العامِ، وسبحانَ اللهِ! ما أسرعَ مرورَ اللَّيالِي والأيَّامِ! وهكذا يتصرَّمُ العمرُ، تمرُّ أيَّامُه ولياليه سريعًا، وتمضِي جميعًا، ولا بدَّ فِي النِّهايةِ مِنَ التَّوقُّفِ للقاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾(١).

إنَّ شهرَ رمضانَ فرصةٌ عظيمةٌ للتَّوبةِ والإنابةِ، وفرصةٌ عظيمةٌ لمحاسبةِ النَّفسِ، وتداركِ ما تبقَّىٰ مِنَ العمرِ، والتَّزوُّدِ بزادِ التَّقوىٰ، فليحرصِ المسلمُ علىٰ الاهتمامِ بتنظيمِ وقتِه فِي هذَا الشَّهرِ، وليحرصْ علىٰ مُشارطةِ نفسِهِ علَىٰ ألَّا يمرَّ عليه يومٌ مِنْ أيَّامِ هذَا

---

(١) سورة الانشقاق (الآية:٦).

الشَّــهرِ وليالِيهِ إلَّا وقدْ تزوَّد فيهِ بزادِ التَّقوَىٰ، وقدَّمَ أعمالًا صــالحةً يَغْتَبِطُ بها يومَ يَلقَىٰ ربَّهُ، وليُقَدِّرْ بأنَّه ربَّما يكونُ هذَا هو آخرَ رمضـانَ يصومُهُ معَ المسلمينَ.

ثمَّ ليحرصِ المســلمُ علَىٰ التَّخفُّفِ مِنْ أشــغالِ الدُّنيَا فِي هذَا الشَّـهرِ المباركِ؛ فإنَّ أشغالَ الدُّنيَا لَا تنقضِـي؛ وذلكَ لأجلِ أنْ يمنحَ مزيدًا مِنَ الوقتِ للعبادةِ، وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا دخلَ شـهرُ رمضـانَ يتضــاعفُ جودُه «كَـانَ أَجْوَدَ النَّـاسِ، وَكَـانَ أَجْوَدَ مَـا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»[١].

فينبغِي لكَ أخِي المسـلمُ معَ دخولِ هذَا الشَّـهرِ الكريمِ أنْ يزيدَ نشـاطُك فِي العبادةِ وفِي الطَّاعةِ وفِي الأعمالِ الصَّـالحةِ، وأنْ تكونَ حالُكَ فِي رمضانَ خيرًا مِنْ حالِكَ قبلَ رمضانَ.

إنَّ شـهرَ رمضـانَ مدرسـةٌ تربويَّةٌ للمسـلمِ، يتربَّىٰ فيها علَىٰ كريمِ الخصــالِ، وعلَىٰ البُعدِ عنِ المعاصِــي، وعنْ رذائلِ الأعمالِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[١]، **وقولُ الزُّورِ**: يشملُ المعاصيَ القوليَّةَ، **والعملُ بهِ**: يشملُ المعاصيَ الفعليَّةَ، **ومعنَى هذَا الحديثِ**: أنَّ مَنْ لمْ يتأدَّبْ بآدابِ الصِّيامِ، وكثُرَ منْهُ وقوعُ المعاصِي القوليَّةِ أوِ الفعليَّةِ ولمْ يحترمِ الصَّومَ فإنَّهُ قدْ يصلُ للمرحلةِ الَّتي ذكرَها النَّبيُّ ﷺ **وهيَ**: أنَّهُ لَا يُؤجَرُ ولَا يُثابُ علَىٰ صيامِهِ هذَا، وإنْ كانَتْ تحصلُ بِهِ براءةُ الذِّمَّةِ، بسببِ عدمِ احترامِهِ للصِّيامِ، وتجرُّئِه علَىٰ الوقوعِ فِي المعاصِي وهوَ صائمٌ، فعلَىٰ المسلمِ أنْ يتأدَّبَ بآدابِ الصِّيامِ، وأنْ يجتنبَ المعاصيَ عمومًا فِي كلِّ وقتٍ، ويتأكَّدُ ذلكَ أثناءَ الصِّيامِ، وبهذَا فإنَّ الصَّومَ يُحقِّقُ هذَا المعنَىٰ التَّربويَّ للمسلمِ، وهوَ أنَّهُ يتربَّىٰ علَىٰ تركِ المعاصِي، وعلَىٰ فعلِ الطَّاعاتِ فِي مدرسةِ الصَّومِ.

وشهرُ رمضانَ فرصةٌ لأنْ يتفقَّدَ المسلمُ نفسَه، ويحاسبَهَا عمَّا مضَىٰ مِنَ العمرِ ويتداركَ مَا تبقَّىٰ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾[٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سورة الحشر (الآية:١٨).



أخِي المسلمُ: احرصْ معَ بدايةِ هذَا الشَّهرِ علَىٰ أنْ تتَّخذَ قرارًا حاسمًا معَ نفسِكَ بأنْ تتزوَّدَ بالطَّاعاتِ فإنَّ مثلَ هذَا القرارِ يعينُ الإنسانَ علَىٰ فعلِ الطَّاعاتِ، وهوَ العزيمةُ علَىٰ الرُّشدِ الَّتي كانَ النَّبيُّ ﷺ يدعُو بهَا، **فمثلًا**: معَ بدايةِ شهرِ رمضانَ تتَّخذُ قرارًا بأنْ تصلِّيَ صلاةَ التَّراويحِ كلِّهَا معَ الإمامِ جميعَ ليالِي الشَّهرِ، وتتَّخذَ قرارًا بأنْ تختمَ القرآنَ مرَّةً أوْ عِدَّةَ مرَّاتٍ فِي هذَا الشَّهرِ، وهكذَا، فإنَّ المسلمَ بهذَا التَّخطيطِ وبهذهِ العزيمةِ مَا إنْ ينقضِي شهرُ رمضانَ إلَّا وقدْ تزوَّدَ بأعمالٍ صالحةٍ عظيمةٍ يَغْتَبِطُ بهَا يومَ يَلقَىٰ ربَّهُ.

ولَا بأسَ أنْ يهنِّئَ المسلمُ أخاهُ المسلمَ بشهرِ رمضانَ، فإنَّ التَّهنئةَ مِنَ العاداتِ، والأصلُ فِي العاداتِ الحِلُّ والإباحةُ، ثمَّ إنَّ المسلمَ يُهنأُ بمَا يَسرُّهُ، ولَا شكَّ أنَّ المسلمَ يُسرُّ ويغتبطُ بنعمةِ اللهِ علَيْه ببلوغِ هذَا الشَّهرِ المباركِ.

اللَّهمَّ وفِّقْنَا لصيامِ رمضانَ وقيامِهِ علَىٰ الوجهِ الَّذي يرضِيكَ، ووفِّقْنَا فيه لِمَا تحبُّ وترضَىٰ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



الدَّرسُ الثَّانِي

خصائصُ شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ الَّذي اختصَّ شـهرَ رمضـانَ بفضـيلةِ الصِّـيامِ، وَجَعَلَهُ شَـهرًا تُفتَحُ فِيهِ أَبوَابُ الجِنَانِ، وَتُغلَقُ فِيهِ أبوَابُ النِّيرَانِ، والصَّـلاةُ والسَّلامُ علىٰ عبدِهِ ورسولِهِ خيرِ مَنْ صلَّىٰ وصامَ، وتهجَّدَ وقامَ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ شـهرَ رمضـانَ لهُ خصـائصُ عظيمةٌ اختصَّـهُ اللهُ بها عنْ بقيَّةِ شهورِ العامِ، وأبرزُ هذهِ الخصائصِ مَا يأتِي:

(١) أنَّهُ أُنزلَ فيهِ القرآنُ، قالَ تعالَىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾[(١)].

ومعنَى نزولِ القرآنِ فِي رمضـانَ أَيْ: ابتداءِ نزولِهِ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ، وكانَ ذلكَ فِي ليلةِ القدرِ.

(٢) أنَّهُ تُفَتَّحُ فيهِ أبوابُ الجنَّةِ.

---

(١) سورة البقرة (الآية:١٨٥).

(٣) أنَّهُ تُغْلَقُ فيهِ أبوابُ النَّارِ.

(٤) أنَّهُ تُسلسَلُ فيهِ الشَّياطينُ وتُصَفَّدُ.

فعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـالَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[(١)]. وفِي روايةٍ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»[(٢)].

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ بَيَانُ اختِصَاصِ شَهرِ رَمَضَانَ بِهَذِهِ الأُمُورِ وهيَ: فتحُ أبوابِ الجنَّةِ؛ لكثرةِ الأعمالِ الصَّالحةِ مِنَ المؤمنين، وترغيبًا لهُمْ فِي ذلكَ، وغلقُ أبوابِ النَّارِ، رحمةً بالمؤمنينَ؛ لقلَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٧٧)، ومسلم برقم: (١٠٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٦٨٢)، والنسائي برقم: (٢١٠٧)، وابن ماجه برقم: (١٦٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان برقم: (٣٤٣٥)، والحاكم برقم: (١٥٣٢).

اقترافِهمُ المعاصِي فِي هذَا الشَّهرِ، وتصفيدُ الشياطينِ فلَا يخلصونَ فيهِ إلَىٰ مَا كانُوا يخلصُونَ إليهِ فِي غيرِهِ.

(٥) أَنَّهُ فيهِ ليلةُ القدرِ الَّتِي هِيَ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، «وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)].

(٦) أنَّ اللهَ تعالَىٰ اختصَّهُ بفريضةِ الصِّيامِ الَّتي هِيَ مِنْ أفضلِ الأعمالِ المقرِّبةِ إلَىٰ اللهِ سبحانَه، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[(٢)].

(٧) أنَّ مَنْ صامَهُ وقامَهُ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لهُ مَا تقدَّم مِنْ ذنبِهِ، كمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠١)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٨)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُهُ: «إيمانًا» أَي: إيمانًا باللهِ، وتصديقًا بوعدِ اللهِ تعالَىٰ بالثَّوابِ عليهِ.

وَ«احتسابًا» أَي: احتسابًا للأجرِ، والثَّوابِ، لَا لقصدِ رياءٍ، أو غيرِهِ.

(٨) أنَّ العمرةَ فيهِ أجرُهَا وثوابُهَا ثوابُ حجٍّ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**» أَوْ قالَ: «**حَجَّةً مَعِي**»[١].

(٩) أنَّ مَنْ فطَّرَ فيهِ صائمًا كانَ لهُ مثلُ أجرِهِ، فعنْ زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**»[٢]، وتفطيرُ الصَّائمِ يدخلُ فِي إطعامِ الطَّعامِ وقدْ سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: أَيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[٣].

---

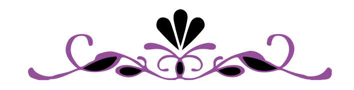
(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٦٣)، ومسلم برقم: (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٧)، وابن ماجه برقم: (١٧٤٦) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٢)، ومسلم برقم: (٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إخوانِي: لقدْ حلَّ بنَا شـهرٌ كريمٌ، وموسـمٌ عظيمٌ، يُعظِمُ اللهُ فيهِ الأجرَ، ويجزلُ المواهبَ، ويفتحُ أبوابَ الخيرِ فيهِ لكلِّ راغبٍ، شهرُ الخيراتِ والبركاتِ، شـهرُ المنحِ والهباتِ، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾[(١)]، فأرُوا اللهَ مِنْ أنفسِكم خيرًا، واجتهدُوا فيهِ بالطَّاعاتِ وتزوَّدوا بزادِ التَّقوَىٰ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا ممَّنْ يصـومُ رمضـانَ ويقومُه إيمانًا واحتسـابًا، ووفِّقْنا فيهِ للطَّاعاتِ، والكفِّ عنِ المحرَّماتِ، واغفرْ لنَا الزَّلَّاتِ وارفعْ لنَا الدَّرجاتِ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

الدَّرسُ الثَّالثُ
فضائلُ الصِّيامِ

الحمدُ للهِ اللَّطيفِ المنَّانِ، الكريمِ الرَّحيمِ الرَّحمنِ، والصَّــلاةُ والسَّــلامُ علَىٰ أفضـلِ رسـلِهِ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصـحبِهِ والتَّابعينَ لَهُ بإحسانٍ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ الصِّــيامَ لَهُ فضــائلُ كثيرةٌ وردَتْ بِهَا الآثارُ وتواردَتْ بِهَا الأخبارُ، **ومنْ أبرزِ هذهِ الفضائلِ:**

أنَّ اللهَ كتبَهُ علَىٰ جميعِ الأممِ وفرضَهُ عليْهِمْ قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(١)، ولولَا أنَّهُ عبادةٌ عظيمةٌ لَا غنًىٰ للخلقِ عنِ التَّعبدِ بهَا للهِ وعمَّا يترتَّبُ عليْهَا مِنْ ثوابٍ مَا فرضَهُ اللهُ علَىٰ جميعِ الأممِ.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٣).

ومنْ فضائلِهِ: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اختصَّهُ مِنْ بينِ سائرِ الأعمالِ فِي أنَّهُ يُجزِي عليْهِ جزاءً خاصًّا مِنْ عندِهِ، ففِي الصَّحيحينِ عنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[1]، وفِي روايةٍ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرَةُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[2].

فبيَّنَ اللهُ تعالَىٰ فِي هذَا الحديثِ القدسيِّ أنَّهُ اختصَّ عبادةَ الصِّيامِ بأنَّه يُجزِي عليها جزاءً خاصًّا مِنْ عندِهِ، والعطيَّةُ كمَا يقالُ: بقدرِ معطِيهَا، واللهُ عَزَّوَجَلَّ هوَ أكرمُ الأكرمينَ، وهذَا يدلُّ علَىٰ عظيمِ أجرِ الصِّيامِ، وإنَّما اختصَّهُ بِهِ مِنْ بينِ سائرِ الأعمالِ؛ لشرفِهِ عندَهُ، ومحبَّتِهِ لَهُ، وظهورِ الإخلاصِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيهِ؛ لأنَّ الصَّومَ سرٌّ بينَ العبدِ وربِّهِ، لَا يطَّلعُ عليْهِ إلَّا اللهُ تعالَىٰ، فإنَّ الصَّائمَ يكونُ فِي الموضعِ الخالِي مِنَ النَّاسِ، متمكِّنًا مِنْ تناوُلِ مَا حرَّمَ اللهُ تعالَىٰ عليْهِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٥)، ومسلم برقم: (١١٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٥١).

فِي الصِّيامِ فلَا يتناولُهُ؛ لأنَّهُ يعلمُ أنَّ لهُ ربًّا يطَّلعُ علَيْهِ فِي خَلوتِهِ، وقدْ حرَّمَ عليْهِ ذلكَ، فيتركُهُ للهِ؛ خوفًا مِنْ عقابِهِ، ورغبةً فِي ثوابِهِ، فيكونُ الصِّيامُ أقربَ إلَىٰ الإخلاصِ مِنْ سائرِ الأعمالِ.

ثمَّ إنَّ الصِّيامَ فيهِ صبرٌ علىٰ ألمِ الجوعِ والعطشِ، وصبرٌ علىٰ طاعةِ اللهِ بلزومِ ذلكَ، وصبرٌ عنْ معصيةِ اللهِ سبحانَهُ، فتجتمعُ فيهِ أنواعُ الصَّبرِ الثَّلاثةِ، وقدْ قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

ولوْ أنَّ معلِّمًا: وزَّعَ جوائزَ علَىٰ طلَّابِهِ المتفوِّقينَ وقالَ لأحدِهِمْ: أمَّا أنتَ يَا فلانُ فلكَ عندِي جائزةٌ خاصَّةٌ فإنَّ هذهِ الجائزةَ الخاصَّةَ ستكونُ أفضلَ مِنْ جوائزِ زملائِهِ، هكذَا الصِّيامُ يجزِي اللهُ عليه جزاءً خاصًّا مِنْ عندِهِ.

ومنْ فضائلِ الصِّيامِ: أنَّ خُلُوفَ فمِ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِنْ رائحةِ المِسْكِ، ففِي الصَّحيحينِ مِنْ حديثِ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ

---

(١) سورة الزمر (الآية: ١٠).

رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(١).

والخُلُوفُ هِيَ الرَّائحةُ الكريهةُ الَّتي تنبعثُ مِنَ المعدةِ عندَ خُلوِّها مِنَ الطَّعامِ، ومعَ ذلكَ هِيَ محبوبةٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّها ناشئةٌ عنْ هذهِ العبادةِ العظيمةِ، فهِيَ أطيبُ عندَ اللهِ مِنْ رائحةِ المسكِ.

ومنْ **فضائلِ الصِّيامِ**: أنَّه يُكَفِّرُ الذُّنوبَ والخطايَا كمَا فِي الصَّحيحينِ مِنْ حديثِ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢)، والمرادُ بالتَّكفيرِ هنَا تكفيرُ الصَّغائرِ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(٣). وأمَّا الكبائرُ فلَا بدَّ فيهَا مِنْ توبةٍ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٤)، ومسلم برقم: (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٨)، ومسلم برقم: (٧٦٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٣).

ومنْ فضـائلِ الصِّيامِ: مَا جاءَ فِي الصَّـحيحينِ، عنْ سـهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّـائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّـائِمُونَ، فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَنْ يَدْخُلَ مِنْهُ أَحَدٌ**»[1].

ومِنْ فضـائِلِه: أنَّ الصِّـيامَ جُنَّةٌ؛ لقولِهِ ﷺ: «**الصِّـيَامُ جُنَّةٌ**»[2] أَي: وقايةٌ وسـترٌ يقِي صـاحبَهُ مِنَ اللَّغوِ والرَّفثِ؛ ولهذَا قالَ: «**فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَـوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْـخَبْ، فَإِنْ سَـابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»[3].

وفِيهِ إرشادٌ للإنسانِ بألَّا يقابلَ الإساءةَ بمثلِهَا، والسِّبابَ بمثلِهِ، احترامًا لعبادةِ الصِّـيامِ، فإذَا أخطأَ عليكَ أحدٌ وأنتَ صـائمٌ فقلْ لهُ: إنِّي امرؤٌ صائمٌ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٦)، ومسلم برقم: (١١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٤)، ومسلم برقم: (١١٥١).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤)، ومسـلم برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. واللفظ لمسلم.



والصِّيامُ أيضًا جُنَّةٌ ووقايةٌ مِنَ النَّارِ، فعنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**قَالَ رَبُّنَا** عَزَّوَجَلَّ: **الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ**»[١].

ومنْ فضائِلِه: أنَّ للصَّائمِ فرحتَيْنِ:

▪فرحةٌ عندَ فطرِهِ بتمامِ صومِهِ، وإكمالِ هذِهِ العبادةِ العظيمةِ، فعندَمَا يأتِي الصَّائمُ إلَى مائدةِ الإفطارِ فرحًا مستبشرًا بأنَّ اللهَ تعالَى مَنَّ عليْهِ بإكْمالِ صيامِ هذَا اليومِ فهوَ يفرحُ بذلكَ.

▪ثمَّ لهُ فرحةٌ أخرَى بهذَا الصِّيامِ عندَ لقاءِ ربِّهِ بمَا يجدُهُ مِنْ ثوابِ الصِّيامِ مدَّخرًا لهُ أحوجَ مَا يكونُ إليهِ.

اللَّهُمَّ وفِّقنَا لصيامِ شهرِ رمضانَ وقيامِهِ علَى الوجهِ الَّذِي يُرضيكَ، ووفِّقْنَا لِمَا تحبُّ وترضَى مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٤٦٦٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠).

الدَّرسُ الرَّابعُ

حقيقةُ الصِّيامِ

الحمدُ للهِ الملكِ القدُّوسِ السَّلامِ، الْمتفرِّدِ بالعظمةِ والبقاءِ والدَّوامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ أفضلِ الأنامِ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ، **أمَّا بعدُ:**

فيقولُ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾؛ ثمَّ بيَّنَ لنَا الحكمةَ مِنْ فرضيَّةِ الصِّيامِ فقالَ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1].

فالحكمةُ مِنْ مشروعيَّةِ الصِّيامِ هيَ: تحقيقُ التَّقوَىٰ للهِ عَزَّوَجَلَّ، **ويتحقَّقُ ذلكَ:** بالإمساكِ عنِ المعاصِي وبفعلِ الطَّاعاتِ، وألَّا تكونَ حالُهُ وهو صائمٌ كحالِهِ قبلَ الصِّيامِ.

هذهِ الثَّمرةُ نجدُها عندَ كثيرٍ مِنَ المؤمنِين الموفَّقينَ الَّذينَ تتغيَّرُ حالُهم بعدَ دخولِ رمضانَ إلَىٰ الأحسنِ فيُقبلونَ علَىٰ المساجدِ، وعلَىٰ العبادةِ.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٣).

فانظرْ يَا أَخِي المسلمُ لصيامِكَ هلْ يحقِّقُ هذِهِ الثَّمرةَ، وهيَ التَّقوىٰ للهِ عَزَّوَجَلَّ؟ إنْ رأيْتَ مِنْ نفسِكَ إقبالًا علَىٰ الطَّاعةِ فِي رمضانَ فمعنَىٰ ذلكَ أنَّ الصِّيامَ قدْ حقَّقَ الغايةَ المقصودةَ منهُ، أمَّا مَنْ كانَتْ حالُهُ فِي رمضانَ كحالِهِ قبلَ رمضانَ أوْ أسوأَ فليراجعْ نفسَهُ، فإنَّ الصِّيامَ لمْ يحقِّقِ الغايةَ منْهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

هذَا الحديثُ العظيمُ يبيِّنُ أنَّ حقيقةَ الصِّيامِ لَا تنحصرُ فِي الإمساكِ عنِ الْمفطِّراتِ الحسِّيَّةِ فحسْبُ، ولكنَّها تشملُ كذلكَ الإمساكَ عنِ المعاصِي القوليَّةِ والفعليَّةِ، وهذَا مطلوبٌ فِي جميعِ الوقتِ ولكنْ يتأكَّدُ ذلكَ أثناءَ الصِّيامِ.

وقدْ عبَّرَ النَّبيُّ ﷺ عنِ المعاصِي القوليَّةِ بقولِهِ: «**قَوْلَ الزُّورِ**»، وعنِ المعاصِي الفعليَّةِ بقولِهِ: «**وَالْعَمَلَ بِهِ**»، وعلَىٰ هذَا فكلُّ معصيةٍ تقعُ مِنَ الصَّائمِ فإنَّها تَخدِشُ الصِّيامَ وتُنْقِصُ مِنْ أجْرِهِ، وإذَا كَثُرَتْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذِهِ المعاصِي فقدْ يصلُ الصَّائمُ إلَىٰ المرحلةِ الَّتي ذُكرَتْ فِي هذَا الحديثِ وهِيَ: «**فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**».

فعلَىٰ الصَّائمِ أنْ يحرصَ علَىٰ حفظِ صومِهِ وذلكَ بحفظِ جوارحِهِ عنِ المعاصِي، فيحفظُ لسانَهُ عنِ الكلامِ المحرَّمِ، وبصرَهُ عنِ النَّظرِ المحرَّمِ، وسمعَهُ عنِ السَّماعِ المحرَّمِ، وبقيَّةَ جوارحِهِ عنِ المعاصِي.

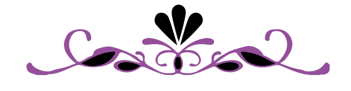
وقدْ كانَ كثيرٌ مِنَ السَّلفِ الصَّالحِ إذَا صامُوا جلسُوا فِي المساجدِ وقالُوا: نحفظُ صومَنَا ولَا نغتابُ أحدًا.

وقولُهُ ﷺ فِي هذَا الحديثِ: «فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»؛ يدلُّ علَىٰ أنَّه لَا يُؤجرُ ولَا يُثابُ علَىٰ هذَا الصَّومِ وإنْ كانَتْ تحصلُ بِهِ براءةُ الذِّمَّةِ؛ لِأنَّهُ قدْ أمسكَ عنِ المفطِّراتِ الحسِّيَّةِ فتحصلُ بِهِ براءةُ الذِّمَّةِ، لكنَّه لَا يُثابُ ولَا يُؤجَرُ عليْهِ.

ونظيرُ ذلكَ الصَّلاةُ الَّتِي يُصلِّيها المصلِّي وهوَ مِنْ حينِ أنْ يكبِّرَ إلَىٰ حينِ أنْ يسلِّمَ فِي هواجسَ ووساوسَ، فهذِهِ الصَّلاةُ تبرأُ بهَا الذِّمَّةُ؛ لأنَّ المصلِّيَ قدْ حقَّقَ أركانَهَا وشروطَهَا وواجباتِهَا، لكنْ ليسَ لهُ مِنْ أجرِ صلاتِهِ إلَّا بمقدارِ مَا عقلَ منْهَا.

وهذَا المعنَىٰ ينبغِي أنْ يكونَ حاضرًا لدَىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، وأنَّهُ إذَا أرادَ أنْ يفعلَ معصيةً قوليَّةً أو فعليَّةً تذكَّرَ أنَّهُ صائمٌ فيُمسكُ عنْهَا؛ ولوْ علَىٰ سبيلِ المدافعةِ، معَ أنَّ المدافعةَ فِي الأصلِ جائزةٌ، قالَ تعالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾(١)، وقالَ ﷺ: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**»(٢)، فمنْ سبَّكَ يجوزُ لكَ أنْ تسبَّهُ بمثلِ سبابِهِ إلَّا إذَا كنْتَ صائمًا فلَا تقابلِ السِّبابَ بمثلِهِ احترامًا لشعيرةِ الصِّيامِ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(٣).

اللَّهمَّ باركْ لنَا فِي شهرِ رمضانَ، وأعنَّا علَىٰ إتمامِ صيامِهِ وقيامِهِ علَىٰ الوجهِ الَّذي يُرضِيكَ، وجنِّبْنَا أسبابَ سخطِكَ ومعاصِيكَ، واغفرْ لنَا ولوالِدِينَا ولجميعِ المسلمينَ، وصلَّى اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٩٤).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤)، ومسلم برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدَّرسُ الخامسُ

مفطِّراتُ الصِّيامِ

الحمدُ للهِ الَّذي أرشَدَ الخلقَ إلَىٰ أكملِ الآدابِ، وفتحَ لهمْ مِنْ خزائنِ رحمتِهِ وجودِهِ كلَّ بابٍ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وعلَىٰ جميعِ الآلِ والأصحابِ، وعلَىٰ التَّابعينَ لهمْ بإحسانٍ إلَىٰ يومِ المآبِ، **أمَّا بعدُ:**

فهذِهِ نبذةٌ موجزةٌ عنِ المفطِّراتِ الحسِّيَّةِ الَّتي يحصلُ بها التَّفطيرُ للصَّائمِ.

وقدْ ذكرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أصولَ المفطِّراتِ فِي قولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[١].

ويمكنُ إجمالُ هذهِ المفطِّراتِ فِي سبعةِ أنواعٍ:

❑ **الأوَّلِ:** وهوَ أعظمُها، وأكبرُها إثمًا، **وهوَ:** الجماعُ فِي نهارِ رمضانَ، فمنِ ارتكبَ هذَا الأمرَ فِي نهارِ رمضانَ فإنَّهُ يترتَّبُ عليْهِ أمورٌ:

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٧).

أوَّلًا: فسادُ صومِهِ. **ثانيًا:** الإمساكُ بقيَّةَ يومِهِ.

ثالثًا: قضاءُ ذلكَ اليومِ. **رابعًا:** التَّوبةُ.

خامسًا: الكفَّارةُ المغلَّظةُ، وهيَ عتقُ رقبةٍ، فإنْ لمْ يجدْ فصيامُ شهرينِ متتابِعَيْنِ، فإنْ لمْ يستطِعْ فإطعامُ ستِّينَ مسكينًا.

ولا يوجدُ رقابٌ الآنَ فقدِ انقرضَ الرِّقُّ فِي العالمِ، ولذلكَ ينتقلُ مباشرةً لصيامِ شهرينِ متتابعينِ، ومنْ كانَ يستطيعُ صيامَ شهرِ رمضانَ فالأصلُ أنَّهُ يستطيعُ صيامَ شهرينِ متتابعينِ، فإنْ لمْ يستطعْ أطعمَ ستِّينَ مسكينًا.

□**الثَّاني:** إنزالُ المنيِّ باختيارِهِ، فهذَا مفسدٌ للصَّومِ، أمَّا إنْ كانَ بغيرِ اختيارِهِ كأنْ يكونَ باحتلامٍ فلَا يفسدُ الصَّومُ بذلكَ.

وأمَّا المذيُّ -وهوَ سائلٌ لَزِجٌ يخرجُ عندَ اشتدادِ الشَّهوةِ- فاختلفَ الفقهاءُ: هلْ خروجُهُ مفسدٌ للصَّومِ أمْ لَا؟

والرَّاجحُ -واللهُ أعلمُ- أنَّ خروجَ المذيِ لَا يفسدُ الصَّومَ، وهوَ اختيارُ ابنِ تيميَّةَ[١]، والشَّيخِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ[٢] والشَّيخِ محمَّدِ

---

(١) ينظر: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (ص: ١٦٠).

(٢) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن باز (١٥/ ٢٦٨).



ابنِ عثيمينَ[(١)] رحمةُ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ الجميعِ؛ لأنَّهُ ليسَ هناكَ دليلٌ ظاهرٌ يدلُّ علَىٰ أنَّ خروجَ المذيِّ يفسدُ الصَّومَ، والأصلُ صحَّةُ الصِّيامِ.

□ **الثَّالثُ:** الأكلُ والشُّربُ، أيًّا كانَ نوعُ المأكولِ والمشروبِ؛ أمَّا شمُّ الرَّوائحِ فإنَّهُ لَا يفطِّرُ الصَّائمَ؛ لأنَّهُ ليسَ للرَّائحةِ جِرمٌ يدخلُ إلَىٰ الجوفِ.

ومنَ الأمورِ الَّتي لَا تؤثِّرُ علَىٰ صحَّةِ الصِّيامِ: بلعُ الرِّيقِ فلَا يُفطِرُ الصَّائمُ ببلعِ الرِّيقِ باتِّفاقِ أهلِ العلمِ.

□ **الرَّابعُ:** مَا كانَ بمعنَىٰ الأكلِ والشُّربِ، **ومنْ ذلكَ:**

الإبرُ المغذِّيةُ: فهيَ تقومُ مقامَ الطَّعامِ والشَّرابِ، ولذلك فهيَ تُفسِدُ الصَّومَ.

أمَّا الإبرُ العلاجيَّةُ غيرُ المغذِّيةِ: فلَا تفسدُ الصَّومَ؛ لأنَّها ليسَتْ طعامًا ولَا شرابًا ولَا فِي معنَىٰ الطَّعامِ والشَّرابِ.

ومنْ ذلكَ: حقنُ الدَّمِ: فإنَّه يُفسِدُ الصِّيامَ؛ لأنَّه فِي معنَىٰ الطَّعامِ والشَّرابِ. **مثلَ:** أنْ يصابَ شخصٌ بنزيفٍ فيُحقنَ بهِ الدَّمُّ،

---

(١) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (١٩/ ١٩١).

فإنَّهُ يُفطِّرُ بذلكَ؛ لأنَّ الدَّمَ هوَ غايةُ الغذاءِ بالطَّعامِ والشَّرابِ، لكنْ لوِ احتاجَ لذلكَ فلَا حرجَ عليْهِ، كأنْ يقعَ لهُ حادثٌ مثلًا فيحتاجَ إلَىٰ أنْ يُحقنَ دمًا فلا بأسَ بحقنِهِ الدَّمَ ويقضِي يومًا مكانَ ذلكَ اليومِ.

وأمَّا استخدامُ الفُرشاةِ والمعجونِ للصَّائمِ؛ فلا حرجَ فيهِ، بشرطِ أنْ يلفِظَ المعجونَ بحيثُ لَا يدخلُ إلَىٰ جوفِهِ.

□ **الخامسُ**: إخراجُ الدَّمِ بالحجامةِ، لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ**»[1]. فالحجامةُ تُفسِدُ الصَّومَ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ، وهوَ اختيارُ ابنِ تيميَّةَ[2]، وابنِ القيِّمِ[3]، والشَّيخِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ[4]، والشَّيخِ محمَّدِ بنِ عثيمينَ[5] رحمةُ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ الجميعِ.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٦٧)، وابن ماجه برقم: (١٦٨٠)، وأحمد برقم: (٢٢٣٧١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه أحمد فقال: هو أصح ما روي فيه. وصححه أيضًا ابن حبان والحاكم. ينظر: التلخيص الحبير (٢/ ٣٦٩).

(٢) ينظر: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (ص ١٦٠).

(٣) ينظر: زاد المعاد (٤/ ٥٦).

(٤) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن باز (١٥/ ٢٥٨).

(٥) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (١٩/ ١٩٢).



ويقاسُ علَى الحجامةِ: سحبُ الدَّمِ للتَّحليلِ إذَا كانَ الدَّمُ المستخرجُ كثيرًا فِي معنَىٰ دمِ الحجامةِ أوْ أكثرَ، أمَّا إذَا كانَ الدَّمُ المسحوبُ يسيرًا كالدَّمِ المستخرجِ لتحليلِ السُّكَّرِ فلَا يُفسِدُ الصِّيامَ.

❐**السَّادسُ:** التَّقيُّؤُ عمدًا؛ لحديثِ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنِ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ**»(١)، وهذَا الحديثُ مِنْ أهلِ العلمِ مَنْ يجعلُهُ موقوفًا ولَا يصحِّحُه مرفوعًا، لكنَّ العملَ عليهِ عندَ عامَّةِ أهلِ العلمِ، أنَّ مَنْ ذرعَهُ القيءُ، أيْ: غلبَهُ القيءُ فليْسَ عليْهِ شيءٌ وصومُهُ صحيحٌ، أمَّا مَنْ تعمَّدَ أنْ يستقيءَ فإنَّ صومَهُ يفسدُ بذلكَ.

❐**السَّابعُ:** خروجُ دمِ الحيضِ والنِّفاسِ، والعبرةُ بخروجِ الدَّمِ، فمتَىٰ مَا رأتِ المرأةُ الدَّمَ فقدْ فسدَ صومُهَا، حتَّىٰ ولوْ كانَ قبلَ غروبِ الشَّمسِ بدقيقةٍ فيفسدُ صومُها، أمَّا لوْ أَحَسَّتْ بآلامِ الدَّورةِ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٨٠)، والترمذي برقم: (٧٢٠)، وابن ماجه برقم: (١٦٧٦)، وأحمد برقم: (١٠٤٦٣)، واللفظ لأبي داود، وحسنه الترمذي، والنووي في المجموع (٦/ ٣١٦)، وابن الملقن في البدر المنير (٥/ ٦٥٩).

لكنْ لمْ يخرجِ الدَّمُ إلَّا بعدَ غروبِ الشَّمسِ فإنَّ صومَها صحيحٌ.

وهذهِ **المفطِّراتُ**: تفسدُ الصِّيامَ إذَا فعلَها الإنسانُ عالمًا عامدًا مختارًا؛ أمَّا إذَا كانَ ناسيًا فإنَّ صومَه صحيحٌ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**»(١).

اللَّهمَّ وفِّقنا لصيامِ هذَا الشَّهرِ كمَا تحبُّ وترضَىٰ، واجعلْنَا مِنْ عتقائِكَ مِنَ النَّارِ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهُمْ والميِّتينَ، وصلَّى اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

• الدَّرسُ السَّادسُ •

مفطِّراتُ الصِّيامِ المعاصرةُ

الحمدُ للهِ الَّذي خَلَقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره، وعَلِمَ مَوْرِدَ كلِّ مخلوقٍ ومصدرَهُ، وأثبتَ فِي أمِّ الكتابِ مَا قضاهُ وسطَّرَه، فلَا مؤخِّرَ لِمَا قدَّمَه، ولَا مقدِّمَ لِمَا أخَّرَه، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّهِ محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، **وبعدُ:**

فقدْ سبقَ فِي الدَّرسِ السَّابقِ القولُ بأنَّ أصولَ المفطِّراتِ ذكرَهَا اللهُ تعالَىٰ فِي قولِهِ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[1].

والضَّابطُ فيمَا يحصلُ بِهِ التَّفطيرُ: هوَ مَا كانَ منصوصًا عليْهِ أوْ فِي معنَىٰ المنصوصِ.

والأصلُ صحَّةُ الصِّيامِ، ولَا يُعدلُ عنْ هذَا الأصلِ فيقالُ بفسادِ الصِّيامِ إلَّا بأمرٍ واضحٍ يقتضِي فسادَ الصَّومِ.

---

(١) سورة البقرة (الآية:١٨٧).

وفيمَا يأتِي بيانُ أبرزِ مفطِّراتِ الصِّيامِ المعاصرةِ:

أوَّلًا: مَا يفسدُ الصِّيامَ:

١- **الغســـيلُ الكُلويُّ:** غســـيلُ الكلَىٰ بنوعَيْهِ الـدَّمويِّ والبريتوني يحصـــلُ بِهِ التَّفطيرُ للصَّـــائمِ، وهذَا مَا أفتَتْ بِهِ اللَّجنةُ الدَّائمةُ للبحوثِ العلميَّةِ والإفتاءِ برئاســـةِ الشَّـــيخِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]، وعلَىٰ ذلكَ فالَّذِي يقومُ بغسيلِ الكلَىٰ يفسدُ صومُه، فإنِ استطاعَ أنْ يصومَ بعدَ رمضانَ فيقضِيَ، وإنْ كانَ لَا يستطيعُ فإنَّهُ يُطعمُ عنْ كلِّ يومٍ مسكينًا.

٢- **شربُ الدُّخانِ:** شربُ الدُّخانِ محرَّمٌ؛ لِأنَّهُ مُضرٌّ بالصِّحَّةِ، وقدْ أجمعَ الأطبَّاءُ علَىٰ ضررِهِ، وأمَّا بالنِّسبةِ لأثرِهِ علَىٰ الصِّيامِ فإنَّهُ مفسدٌ للصِّيامِ.

٣- **التَّبرُّعُ بالدَّمِ:** وهوَ فِي معنَىٰ استخراجِ الدَّمِ بالحجامةِ، ولذلكَ فإنَّهُ يفسدُ بِهِ الصَّومُ، ومنْ أرادَ أنْ يتبرَّعَ بالدَّمِ فليجعلْ ذلكَ فِي اللَّيلِ، إلَّا عندَ الضَّـــرورةِ كأنْ يَحتاجَ إلَىٰ تبرُّعٍ بالدَّمِ ويكونَ هناكَ إنســـانٌ مريضٌ عندَهُ نزيفٌ ونحوُ ذلكَ، ويُطلبُ التَّبرُّعُ بالدَّمِ لحاجةِ ذلكَ المريضِ، فلَا بأسَ أنْ يتبرَّعَ الإنســـانُ بالدَّمِ فِي هذهِ الحالِ، ويقضِـــي يومًا مكانَ هذَا اليومِ.

---

(١) ينظر: فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١٠/ ١٩٠-١٩١).

٤- **تحليلُ الدَّمِ:** إنْ كانَ الدَّمُ المستخرجُ مِنَ الإنسانِ كثيرًا فِي معنَىٰ دم الحجامةِ فإنَّهُ يحصلُ بهِ التَّفطيرُ للصَّائمِ، وأمَّا إذَا كانَ قليلًا عرفًا كالَّذِي يُؤخذُ لتحليلِ السُّكَّرِ فلَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ.

٥- **قطرةُ الأنفِ:** إذَا كانَ ماءُ القطرةِ يصلُ للجوفِ فيفسدُ الصِّيامُ، أمَّا إذَا كانَ استخدامُ هذهِ القطرةَ بطرفِ أنفِهِ ولَا يصلُ للجوفِ فلَا يفسدُ الصِّيامُ، ويدلُّ لذلكَ حديثُ لقيطِ بنِ صبرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»[(١)]، أَيْ: أنَّكَ إذَا بالغْتَ فِي الاستنشاقِ وأنتَ صائمٌ فربَّمَا نفذَ إلَىٰ الجوفِ شيءٌ مِنَ الماءِ فيؤثِّرُ ذلكَ علَىٰ صحَّةِ الصِّيام.

وقدِ اختارَ هذَا القولَ الشَّيخُ عبدُ العزيزِ بْنُ بازٍ[(٢)]، والشَّيخُ محمَّدُ ابْنُ عثيمينَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ[(٣)].

ومنِ احتاجَ لقطرةِ الأنفِ إنْ أمكنَ أنْ يؤجِّلَ استخدامَ هذهِ القطرةِ إلَىٰ اللَّيلِ فهذَا هوَ المتعيَّنُ، أمَّا إذَا لمْ يمكنْ ذلكَ، واحتاجَ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٦٦)، والترمذي برقم: (٧٨٨)، والنسائي برقم: (٨٧)، وابن ماجه برقم: (٤٠٧)، وصححه الترمذي فقال: حديث حسن صحيح، وابن خزيمة برقم: (١٥٠)، وابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٥/ ٥٩٢).

(٢) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن باز (١٥/ ٢٦١).

(٣) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين (١٩/ ٢٠٦).

إلَىٰ استخدامِهَا فِي النَّهارِ فإنْ كانَ الَّذِي يصلُ معَهُ ماؤُهَا إلَىٰ الجوفِ فيفسدُ صومُهُ، ويجبُ عليْهِ أنْ يقضيَ ذلكَ اليومَ، أمَّا إذَا لمْ يصلْ ماؤُهَا للجوفِ فصومُهُ صحيحٌ.

ثانيًا: مَا لَا يفسدُ الصِّيامَ:

١- **قطرةُ الأذنِ:** لَا تفسدُ الصِّيامَ ولوْ وجدَ طعمَها فِي حلقِهِ؛ لأنَّ الأذنَ ليسَتْ بمنفذٍ معتادٍ للجوفِ، ومثلُهُ غَسولُ الأذنِ وأيُّ علاجٍ عنْ طريقِ الأذنِ، والأصلُ هوَ صحَّةُ الصِّيامِ.

٢- **قطرةُ العينِ:** لَا تفسدُ الصِّيامَ حتَّىٰ لوْ وجدَ طعمَ القطرةِ فِي حلقِهِ؛ لأنَّ العينَ ليسَتْ بمنفذٍ معتادٍ إلَىٰ الجوفِ. ومثلُ ذلكَ الكُحلُ فليسَ لَهُ نفوذٌ إلَىٰ الجوفِ، فلَا يفسدُ الصِّيامُ بِهِ.

٣- **الأقراصُ الَّتي توضعُ تحتَ اللِّسانِ**، ويستخدمُهَا غالبًا المصابونَ بأمراضِ القلبِ، ويمتصُّها الجلدُ تحتَ اللِّسانِ، لَا تفسدُ الصِّيامَ؛ لأنَّهَا ليسَتْ أكلًا ولَا شربًا، وليسَتْ فِي معنَىٰ الأكلِ ولَا الشُّربِ، والأصلُ هوَ صحَّةُ الصِّيامِ.

٤- **المراهمُ:** لَا تفسدُ الصِّيامَ؛ لأنَّها ليسَتْ بأكلٍ ولَا شربٍ، وليسَتْ فِي معنَىٰ الأكلِ، ولَا الشُّربِ بجميعِ أنواعِهَا.

٥- **استخدامُ الأكسجينِ للصَّائمِ:** لَا يفسدُ الصِّيامَ؛ لأنَّ هذَا الأكسجينَ إنَّما هوَ يجرِي مجرَىٰ النَّفسِ، ولَا يذهبُ للمعدةِ، وهذَا هوَ القولُ الرَّاجحُ.

٦- **بخَّاخُ الرَّبوِ:** لَا يفسدُ الصِّيامَ؛ لأنَّ هذَا البخاخَ إنَّما يذهبُ للقصبةِ الهوائيَّةِ، ولمجارِي النَّفسِ، ولَا يذهبُ للمعدةِ منهُ إلَّا شيءٌ يسيرٌ جدًّا معفوٌّ عنْهُ.

وأمَّا علاجُ الرَّبوِ الَّذِي يكونُ علَىٰ شكلِ كبسولاتٍ ويكونُ فيهَا مثلُ البودرةِ، يضعُهَا المريضُ فِي فمِهِ فتختلطُ بالرِّيقِ فيبتلعُهَا، فهذِهِ مفسدةٌ للصِّيامِ؛ لأنَّ لهَا جِرمًا، فهِيَ أشبهُ بالطَّعامِ أوِ الشَّرابِ.

٧- **منظارُ المعدةِ الَّذِي يدخلُ عنْ طريقِ الفمِ:** إذَا أدخلَ مِنْ غيرِ أنْ يحتفَّ بِهِ أمورٌ أخرَىٰ فلَا يفسدُ الصِّيامَ، أمَّا إذَا صاحبَ إدخالَ المنظارِ أشياءُ كأنْ يوضعَ عليْهِ مادَّةٌ دهنيَّةٌ، أوْ أنبوبةٌ ينفذُ منْهَا ماءٌ للتَّنظيفِ، فيفسدُ الصِّيامَ.

▪ أمَّا المناظيرُ الَّتي تستخدمُ عنْ طريقِ المهبلِ، أوْ فتحةِ الشَّرَجِ، ونحوِهَا.. فهذِهِ كلُّهَا لَا تفسدُ الصِّيامَ مطلقًا حتَّىٰ ولوْ كانَتْ مطليَّةً بمادَّةٍ دهنيَّةٍ.

▪ التحاميلُ الَّتي تكونُ عنْ طريقِ فتحةِ الشَّــرَجِ، أوْ عنْ طريقِ المهبلِ، ونحوِ ذلكَ لَا تفسدُ الصِّيامَ؛ لأنَّهَا ليسَتْ بطعامٍ ولَا شرابٍ، وليسَتْ بمعنَىٰ الطَّعامِ والشَّرابِ.

٨- **التَّخديرُ**: إذَا كانَ التَّخديرُ موضعيًّا فالصِّيامُ معَهُ صحيحٌ، أمَّا إذَا كانَ التَّخديرُ كلِّيًّا فإنْ كانَ شــاملًا لجميعِ النَّهارِ فصــيامُهُ غيرُ صــحيحٍ، ويلزمُه القضــاءُ، وأمَّا إنْ كانَ لَا يشــملُ جميعَ النَّهارِ ويفيقُ جزءًا مِنَ النَّهارِ سواءٌ فِي أوَّلِهِ، أوْ فِي وسطِهِ، أوْ فِي آخرِهِ فالصِّيامُ معَهُ صحيحٌ.

٩- **قلعُ السِّنِّ لَا يحصلُ بِهِ التَّفطيرُ**؛ لأنَّ مَا يخرجُ مِنَ السِّنِّ عندَ قلعِهِ إنَّمَا هوَ دمٌ يسيرٌ.

وأمَّا خروجُ الدَّمِ بغيرِ اختيارِ الإنســانِ؛ كأنْ يخرجَ دمٌ برعافٍ ونحوِهِ، فلَا يفسدُ بذلكَ الصِّيامُ.

اللَّهمَّ وفِّقْنَا للأعمالِ الصَّالحاتِ، واغفرْ لنَا وكفِّرْ عنَّا السَّيِّئاتِ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



الدَّرْسُ السَّابِعُ
تفسيرُ آياتِ الصِّيامِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ، ومَنِ اهتدَىٰ بهديِهِ، واتَّبعَ سنَّتَهُ إلَىٰ يومِ الدِّينِ، أمَّا بعدُ:

فالحديثُ فِي هذَا الدَّرسِ عنْ تفسيرِ آياتِ الصِّيامِ وقدِ ابتدأَهَا اللهُ تعالَىٰ بقولِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[1]، فنادَىٰ اللهُ تعالَىٰ عبادَهُ المؤمنينَ مخبرًا لهمْ بأنَّ صيامَ رمضانَ فرضٌ ومكتوبٌ علَيْهم.

وفرضيَّةُ الصِّيامِ مرَّتْ بمراحلَ:

❖**المرحلةُ الأولَى:** إيجابُ صيامِ عاشوراءَ، وكانَ هذَا بعدَ الهجرةِ، ثمَّ بعدَ ذلكَ نزلَتْ هذِهِ الآياتُ فنُسِخَ وجوبُ صيامِ يومِ عاشوراءَ، وبقيَ صومُهُ علَىٰ الاستحبابِ.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٣).



❖**المرحلةُ الثَّانيةُ:** فرضيَّةُ صيامِ رمضانَ، معَ التَّخييرِ بينَ الصِّيامِ والإطعامِ، فإنْ شاءَ صامَ، وإنْ شاءَ أطعمَ عنْ كلِّ يومٍ مسكينًا، ولكنَّ الصِّيامَ خيرٌ مِنَ الإطعامِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾(١).

❖**المرحلةُ الثَّالثةُ:** فرضُ صيامِ رمضانَ عينًا، ونسخُ التَّخييرِ بينَهُ وبينَ الإطعامِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾(٢).

والحكمةُ مِنْ ذلكَ التَّدرُّجِ: أنَّ الصِّيامَ لَمَّا كانَ شاقًّا علَىٰ النُّفوسِ، وغيرَ مألوفٍ للنَّاسِ فِي ذلكَ الحينِ، كانَ إيجابُ صومِهِ متدرِّجًا.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، أَي علَىٰ جميعِ الأممِ، مِنْ نوحٍ ومَنْ بعدَهُ، وهذَا يدلُّ علَىٰ شرفِ هذهِ العبادةِ وعظيمِ شأنِهَا، وأنَّ اللهَ تعالَىٰ فرضَهَا علَىٰ جميعِ الأممِ فِي جميعِ الشَّرائعِ.

والعلمُ بأنَّ الصِّيامَ قدْ فُرِضَ علَىٰ الأممِ السَّابقةِ، يُهوِّنُ علَىٰ النُّفوسِ تقبُّلَهُ؛ لأنَّ الإنسانَ إذَا اشتركَ معَهُ غيرُهُ فِي الأمرِ يهونُ عليْهِ.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٤).

(٢) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

وقولُهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ هِيَ أيَّامُ شهرِ رمضانَ، ووصفَهَا اللهُ تعالَىٰ بالأيَّامِ المعدوداتِ؛ لتخفيفِ الأمرِ، فكأنَّهُ يقولُ: فُرِضَ عليْكُمُ الصِّيامُ، ولكنْ ليسَ صيامُ السَّنةِ كلِّهَا، وإنَّمَا هِيَ أيَّامٌ معدوداتٌ، ثمَّ فيهَا إشارةٌ لسرعةِ تصرُّمِ أيَّامِ الشَّهرِ، فهيَ أيَّامٌ معدوداتٌ سُرعانَ ما تنقضِي، فعلَىٰ المسلمِ أنْ يبادرَ لاغتنامِهَا فِي الأعمالِ الصَّالحةِ.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾، أَي مَنْ كانَ مريضًا أوْ مسافرًا جازَ لهُ الفطرُ، ويقضِي الأيَّامَ الَّتِي أفطرَهَا بعدَ رمضانَ.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾، معنَىٰ ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ عندَ الجمهورِ: أنَّ القادرينَ علَىٰ الصِّيامِ يُخيَّرونَ بينَ الصِّيامِ وبينَ أنْ يدفعُوا فديةَ طعامِ مسكينٍ عنْ كلِّ يومٍ، وكانَ هذَا فِي المرحلةِ الثَّانيةِ الَّتِي سبقتْ مرحلةَ إيجابِ صيامِ رمضانَ عينًا علَىٰ الجميعِ.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ أَيْ: مَنْ أرادَ أنْ يزيدَ فِي الإطعامِ علَىٰ إطعامِ مسكينٍ واحدٍ، فجعلَ الإطعامَ لمسكينَيْنِ

أوْ أكثرَ، فهذَا خيرٌ، وإنْ صامَ فهوَ أفضلُ مِنَ الإطعامِ ولهذَا قالَ: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: فيجوزُ الصِّيامُ ويجوزُ الإطعامُ، ولكنَّ الصِّيامَ خيرٌ مِنَ الإطعامِ، وكانَ هذَا قبلَ نسخِ التَّخييرِ وإيجابِ الصِّيامِ حتمًا.

ثمَّ قالَ تعالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، اختصَّ اللهُ تعالَىٰ شهرَ رمضانَ بنزولِ القرآنِ فيهِ.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، الشُّهودُ بمعنَىٰ الحضورِ، **والمعنَى**: مَنْ حضرَ شهرَ رمضانَ ولمْ يكنْ مسافرًا فيجبُ عليْهِ أنْ يصومَ.

وهذِهِ الآيةُ نسختِ الآيةَ السَّابقةَ، فالآيةُ السَّابقةُ فيهَا التَّخييرُ بينَ الصِّيامِ والإطعامِ، أمَّا فِي هذهِ الآيةِ فقدْ أوجبَ اللهُ تعالَىٰ الصِّيامَ علَىٰ النَّاسِ عينًا.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، كرَّرَ اللهُ تعالَىٰ الرُّخصَةَ حتَّىٰ لَا يتوهَّمَ متوهِّمٌ أنَّ الرُّخصةَ قدْ نُسِخَتْ.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، أخبرَ تعالَىٰ أنَّهُ يحبُّ التَّيسيرَ علَىٰ عبادِهِ ولَا يحبُّ التَّعسيرَ عليْهِمْ، وقدْ جعلَ اللهُ أمورَ هذهِ الأمَّةِ مبنَاهَا علَىٰ اليسرِ، وأُزيلَ عنْهَا كثيرٌ مِنَ الآصارِ والأغلالِ الَّتي كانَتْ علَىٰ الأممِ السَّابقةِ، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»(١).

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، أَيْ: تكملُوا عدَّةَ شهرِ رمضانَ، وهيَ ثلاثونَ يومًا، أوْ تسعةٌ وعشرونَ يومًا، وذلكَ برؤيةِ هلالِ شوَّالٍ.

وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، ومنْهُ التَّكبيرُ الَّذِي يكونُ فِي آخرِ رمضانَ مِنْ ليلةِ العيدِ، إمَّا برؤيةِ هلالِ شوَّالٍ، أوْ باستكمالِ عدَّةِ رمضانَ ثلاثونَ يومًا، إلَىٰ صلاةِ العيدِ، وهوَ تكبيرٌ مطلَقٌ، وذِكْرُ اللهِ لهذَا التَّكبيرِ فِي كتابِهِ الكريمِ يدلُّ علَىٰ آكديَّتِهِ، ولهذَا ذهبَ بعضُ العلماءِ إلَىٰ أنَّ التَّكبيرَ ليلةَ عيدِ الفطرِ آكدُ

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٥٩٣٦)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٩٤): «أخرجه أحمد بسند صحيح».

مِنَ التَّكبيرِ فِي عشرِ ذِي الحجَّةِ وأيَّامِ التَّشريقِ، والتَّكبيرُ مِنْ أفضلِ أنواعِ الذِّكرِ، ويُقالُ: إنَّ كلمةَ (اللهُ أكبرُ) أبلغُ كلمةٍ عندَ العربِ فِي تعظيمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وقولُهُ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أَيْ: تشكرونَ اللهَ تعالَىٰ علَىٰ نعمِهِ عمومًا وعلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عليْكُمْ مِنْ إكمالِ الشَّهرِ، وفعلِ مَا تيسَّرَ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ.

ثمَّ قالَ تعالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، هذِهِ الآيةُ فِي الدُّعاءِ، وقدْ وقعَتْ بينَ آياتِ الصِّيامِ، ومناسبةُ كونِ آيةِ الدُّعاءِ بينَ آياتِ الصِّيامِ الإشارةُ إلَىٰ أنَّ الدُّعاءَ فِي شهرِ رمضانَ حريٌّ بالإجابةِ، وأنَّهُ ينبغِي للمسلمِ أنْ يكثرَ مِنَ الدُّعاءِ في شهرِ رمضانَ.

ثمَّ قالَ تعالَىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

قولُهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾، فيهِ إشارةٌ إِلَىٰ النَّسخِ، وذلكَ أنَّهُ فِي أوَّلِ الإسلامِ كانَ مَنْ غربَتْ عليْهِ الشَّمسُ وهوَ نائمٌ فلَا يحلُّ لهُ أنْ يفطرَ إلَّا بعدَ غروبِ شمسِ اليومِ التَّالِي.

وقولُهُ: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، أَيِ: الجماعُ. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، أَيْ: يَسْتُرْنكُمْ عنِ الوقوعِ فِي المحرَّماتِ، وأنتُمْ أيضًا تسترونَهُنَّ، والتَّعبيرُ بِـ«اللِّباسِ» فيهِ إشارةٌ إِلَىٰ القربِ والملابسةِ.

وقولُهُ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾، إشارةٌ إِلَىٰ أنَّهُ كانَ يقعُ مِنْ بعضِ النَّاسِ الجماعُ فِي أوَّلِ الأمرِ معَ أنَّهُمْ كانُوا ممنوعِينَ منْهُ.

وقولُهُ: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، قيلَ فِي تفسيرِ الآيةِ: هوَ طلبُ الولدِ؛ لأنَّ الإنسانَ يطلبُ الولدَ بالجماعِ.

وقولُهُ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، **المقصودُ بالخيطِ الأبيضِ**: بياضُ النَّهارِ. **والخيطِ الأسودِ**: سوادُ اللَّيلِ، أَي حتَّىٰ يتبيَّنَ لكُمْ بياضُ النَّهارِ مِنْ سوادِ اللَّيلِ.

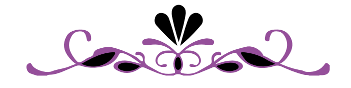
وقولُهُ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾، اللَّيلُ يبدأُ بغروبِ الشَّمسِ.

وقولُهُ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾، يدلُّ علَىٰ أنَّ المعتكفَ ممنوعٌ مِنَ الجماعِ ومقدِّماتِهِ.

وقولُهُ: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾، حدودُ اللهِ هنَا: محارمُ اللهِ.

وقولُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾، أَي لأجلِ تحقيقِ التَّقوَىٰ للهِ سبحانَهُ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مِنْ عبادِكَ المتَّقينَ، ووفِّقْنَا لِمَا تحبُّ وترضَىٰ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



الدَّرسُ الثَّامنُ

مَا يكثرُ السُّؤالُ عنْهُ فِي شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ الَّذي مَنَّ علَىٰ عبادِهِ بمواسمِ الخيراتِ ليغفرَ لهُمُ الزَّلَّاتِ، ويكفِّرَ عنْهُمُ السَّيئاتِ، ويرفعَ لهُمُ الدَّرجاتِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ خيرِ البريَّاتِ محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ صلاةً وتسليمًا وبركاتٍ، **وبعدُ:**

فهذِهِ أبرزُ المسائلِ الَّتِي يكثرُ السُّؤالُ عنْهَا فِي شهرِ رمضانَ:

(١) تبييتُ النِّيَّةِ مِنَ اللَّيلِ وهلْ يجبُ تبييتُ النِّيَّةِ لكلِّ يومٍ؟

يجبُ تبييتُ نيَّةِ الصِّيامِ مِنَ اللَّيلِ فِي الصَّومِ الواجبِ، ومِنْ ذلكَ صومُ شهرِ رمضانَ؛ لحديثِ حفصةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ**»[(١)]، والحكمةُ مِنَ اشتراطِ تبييتِ النِّيَّةِ مِنَ اللَّيلِ: هِيَ أنْ يكونَ جميعُ النَّهارِ مشمولًا بنيَّةِ الصَّومِ؛ لأنَّ الصَّومَ إمساكٌ بنيَّةٍ، ولذلكَ لَا يُشترطُ هذَا الشَّرطُ

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٦٤٥٧)، وأبو داود برقم (٢٤٥٤)، والترمذي برقم (٧٣٠)، وابن خزيمة برقم (١٩٣٣).

فِي صــومِ النَّافلةِ. والنِّيَّةُ تتبعُ العلمَ، فمَنْ علمَ أنَّ غدًا رمضــانَ ومنْ عادتِهِ أنَّهُ يصــومُ الشَّــهرَ فقدْ بيَّتَ النِّيَّةَ مِنَ اللَّيلِ، ومنْ قامَ للسُّــحورِ فقدْ نوَىٰ، وينبغِي عدمُ التَّشــديدِ فِي مســائلِ النِّيَّةِ؛ لأنَّه يقودُ إلَىٰ الوسواسِ.

هلْ يُشترَطُ تبييتُ النِّيَّةِ لكلِّ يومٍ، أمْ يكفِي أنْ ينويَ أوَّلَ الشَّهرِ؟

هذِهِ المســألةُ محلُّ خلافٍ بينَ الفقهاءِ، فالمذهبُ عندَ الحنابلةِ أنَّهُ لَا بدَّ مِنْ نيَّةٍ لكلِّ يومٍ، والقولُ الرَّاجحُ لَا يُشــترَطُ نيَّةٌ لكلِّ يومٍ وإنَّمَا يكفِي أنْ ينويَ أوَّلَ الشَّهرِ، إلَّا إذَا قطعَ الصَّومَ لعذرٍ فلَا بدَّ مِنْ تجديدِ النِّيَّةِ، كأنْ يفطرَ لمرضٍ أوْ ســفرٍ، أوْ تفطرَ المرأةُ لأجلِ الحيضِ فلَا بدَّ مِنْ تجديدِ النِّيَّةِ، أمَّا إذَا لمْ يقطعِ الصَّــومَ فتكفِي نيَّةٌ مِنْ أوَّلِ شهرِ رمضانَ.

(٢) تَذَوُّقُ الطَّعامِ أثناءَ الصِّيامِ:

تذوُّقُ الطَّعامِ للحاجةِ لَا بأسَ بِهِ، وتذوُّقُهُ لغيرِ حاجةٍ مكروهٌ، وعلَىٰ الَّذِي يتذوَّقُ الطَّعامَ أنْ يلفظَهُ بعدَمَا يتذوَّقُهُ.

(٣) بلعُ البلغمِ:

البلغمُ يُسمِّيهِ بعضُهُمُ النُّخامةُ فإذَا لمْ تبرزْ للفمِ فلَا تفطرُ الصَّائمَ، أمَّا لوْ برزَتْ للفمِ ثمَّ ابتلعَها فمحلُّ خلافٍ، والصَّحيحُ أنَّها لَا تفسدُ الصَّومَ؛ لأنَّها ليسَتْ أكلًا ولَا شربًا، ولَا بمعنَىٰ الأكلِ والشُّربِ، والأَوْلَىٰ أنْ يلفظَهَا خروجًا مِنْ خلافِ العلماءِ فِي هذهِ المسألةِ.

(٤) الأكلُ والشُّربُ وقتَ أذانِ الفجرِ:

الأكلُ والشُّربُ وقتَ أذانِ الفجرِ لَا يضرُّ؛ لحديثِ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمُ النِّدَاءَ وَالْإِنَاءُ عَلَىٰ يَدِهِ، فَلَا يَضَعْهُ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ**»[١]، وهوَ حديثٌ ثابتٌ بمجموعِ طرقِهِ وشواهدِهِ[٢]. ثمَّ إنَّ الفجرَ لَا يطلعُ دفعةً واحدةً، وإنَّمَا يستبينُ شيئًا فشيئًا، ولهذَا لوْ راقبَ اثنانِ الفجرَ فربَّما يختلفانِ فِي تحديدِ وقتِ بدايةِ طلوعِهِ، واللهُ تعالَىٰ يقولُ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٥٠).

(٢) ذكر الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ له ستة شواهد. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٣٨١-٣٨٤) برقم: (١٣٩٤).

﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[(١)]، والأصلُ بقاءُ اللَّيلِ، ولهذَا مَنْ كانَ يأكلُ أوْ يشربُ وأذَّنَ المؤذِّنُ لصلاةِ الفجرِ لَا حرجَ عليهِ أنْ يُكمِّلَ أكلَهُ أوْ شربَهُ حتَّىٰ يفرغَ المؤذِّنُ مِنَ الأذانِ.

والسُّحورُ للصَّائمِ سُنَّةٌ، وقدْ أمرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ فقالَ: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**»[(٣)]. والسُّنَّةُ تأخيرُهُ إلَىٰ قبيلِ أذانِ الفجرِ، ويحصلُ السُّحورُ بأقلِّ مَا يتناولُهُ الإنسانُ مِنْ مأكولٍ أوْ مشروبٍ، ومنْ أفضلِ مَا يجعلُ فِي السُّحورِ: التَّمرُ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ**»[(٤)]. وينبغِي أنْ يستحضرَ المسلمُ عندَ السُّحورِ تطبيقَ السُّنَّةِ حتَّىٰ يؤجرَ علَىٰ ذلكَ.

---

(١) سورة البقرة (الآية:١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٩٢٣)، ومسلم برقم: (١٠٩٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٩٦).

(٤) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٤٥)، وصححه ابن حبان برقم: (١٧٢٠).

(٥) الوقتُ فِي الإفطارِ:

العبرةُ فِي وقتِ الإفطارِ غروبُ الشَّمسِ وليسَ العبرةُ بالأذانِ؛ لقولِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾[١]، واللَّيلُ يبدأُ بغروبِ الشَّمسِ فإذَا غربَتِ الشَّمسُ جازَ الفطرُ ولوْ لمْ يؤذِّنِ المؤذِّنُ سواءٌ عُرِفَ غروبَ الشَّمسِ بالسَّاعةِ أوْ عنْ طريقِ الإذاعةِ أوْ بأيَّةِ وسيلةٍ.

والسُّنَّةُ تعجيلُ الفطرِ إذَا تحقَّقَ غروبُ الشَّمسِ؛ لحديثِ سهلِ ابنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»[٢]، والسُّنَّةُ الإفطارُ علَىٰ رطبٍ، فإنْ عُدِمَ فتمرٌ، فإنْ عُدِمَ فماءٌ؛ لحديثِ أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَىٰ رَطِبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَطِبَاتٌ فَعَلَىٰ تَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ**»[٣]، «فإنْ لمْ يجدْ رطبًا،

---

(١) سورة البقرة (الآية:١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٩٥٧) ومسلم برقم: (١٠٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٥٦)، والترمذي برقم: (٦٩٦)، وقال: حديث حسن. وقال الدارقطني في السنن (٣/ ١٥٥): إسناده صحيح.



ولَا تمرًا، ولَا ماءً: أفطرَ علَىٰ مَا تيسَّرَ مِنْ طعامٍ أوْ شرابٍ حلالٍ، فإنْ لَمْ يجدْ شيئًا نوَىٰ الإفطارَ بقلبِهِ»(١).

(٦) دخولُ شيءٍ مِنَ الماءِ أثناءَ المضمضةِ بغيرِ اختيارِهِ:

مَا ينفذُ أثناءَ المضمضةِ أوِ الاستنشاقِ مِنَ الماءِ إلَىٰ الجوفِ بغيرِ اختيارِ الإنسانِ لَا يفسدُ الصِّيامَ؛ لأنَّهُ قدْ دخلَ بطريقِ الخطإِ، ومنْ غيرِ قصدٍ، واللهُ تعالَىٰ يقولُ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٢).

(٧) استعمالُ معجونِ الأسنانِ للصَّائمِ:

استعمالُ معجونِ الأسنانِ لَا يفطرُ، معَ ملاحظةِ أنَّ مَا يتبقَّىٰ بعدَ المعجونِ يلفظُهُ ولَا ينفذُ إلَىٰ جوفِهِ، والأحسنُ أنْ يجعلَ التَّنظيفَ بالفرشاةِ والمعجونِ فِي اللَّيلِ؛ لأنَّ بعضَ المعاجينِ قويَّةٌ ولهَا نفوذٌ، ربَّما تختلطُ بالرِّيقِ وتنفذُ للجوفِ.

---

(١) مجالس شهر رمضان، لابن عثيمين، (ص:٧٧).
(٢) سورة الأحزاب (الآية:٥).

(٨) صيامُ مَنْ أصبحَ جنبًا:

يصحُّ صيامُ مَنْ أصبحَ جنبًا؛ لأنَّ الصَّائمَ مأذونٌ لهُ فِي اللَّيلِ الأكلُ والشُّربُ والجماعُ حتَّىٰ يتبيَّنَ الفجرُ، وإذَا كانَ مأذونًا لَهُ بالجماعِ حتَّىٰ يتبيَّنَ الفجرُ فهذَا يستلزمُ أنْ يطلعَ عليْهِ الفجرُ وهوَ جنبٌ، وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يدركُهُ الفجرُ وهوَ جنبٌ مِنْ أهلِهِ، ثمَّ يغتسلُ ويصومُ(١).

ومثلُ ذلكَ المرأةُ الحائضُ إذَا طهرَتْ قبلَ أذانِ الفجرِ ولمْ تغتسلْ إلَّا بعدَ الأذانِ فصومُهَا صحيحٌ.

(٩) استخدامُ المرأةِ حبوبَ منعِ الحيضِ لأجلِ صيامِ رمضانَ:

يجوزُ ذلكَ بشرطِ أنْ يقرِّرَ الطَّبيبُ المختصُّ أنَّهُ لَا يلحقُهَا ضررٌ بسببِ ذلكَ.

واستعمالُهَا يكونُ ليلًا أمَّا لوِ استعملتْهَا نهارًا فإنَّها تفسدُ الصَّومَ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩٢٥)، ومسلم برقم: (١١٠٩) من حديث عائشة وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١٠) قراءةُ القرآنِ مِنْ غيرِ تحريكِ اللِّسانِ:

مَنْ يفعلْ هذَا لَا يُعتبرُ قارئًا وإنَّما متأمِّلًا؛ ولذلكَ لوْ أنَّهُ فعلَ هذَا فِي الصَّلاةِ لَمَا صحَّتْ صلاتُهُ، فلَا بدَّ فِي القراءةِ مِنْ تحريكِ اللِّسانِ.

(١١) ترتيلُ الدُّعاءِ معَ التَّغنِّي:

السُّنَّةُ أنْ يؤتَىٰ بالدُّعاءِ بتضرُّعٍ وخشوعٍ مِنْ غيرِ ترتيلٍ ولَا تغنٍّ ولَا تلحينٍ، هذَا هوَ الأفضلُ والأقربُ لإجابةِ الدُّعاءِ، والدَّاعِي إذَا كانَ يدعُو وحدَهُ لَا يتغنَّىٰ ولَا يلحنُ ولَا يرتِّلُ الدُّعاءَ، فهكذَا إذَا كانَ إمامًا.

(١٢) إقامةُ جماعتينِ فِي مسجدٍ أثناءَ صلاةِ التَّراويحِ:

وجودُ جماعةٍ أخرَىٰ فِي آخرِ المسجدِ تصلِّي الفريضةَ والإمامُ يصلِّي التَّراويحَ خطأٌ؛ لأنَّ هذَا ينافِي المقصودَ مِنْ صلاةِ الجماعةِ، ومنْ جاءَ متأخِّرًا فعليهِ أنْ يدخلَ معَ الإمامِ وإنْ كانَ يصلِّي التَّراويحَ وينوِي بذلكَ الفريضةَ، فإذَا سلَّمَ الإمامُ يقومُ ويقضِي ركعتينِ،

ويكونُ هذَا مِنَ ائتمامِ المفترضِ بالمتنفِّلِ وهوَ جائزٌ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ.

(١٣) المقصودُ بانصرافِ الإمامِ مِنَ الصَّلاةِ:

جاءَ فِي الحديثِ الصَّحيحِ أنَّهُ ﷺ قالَ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(١)، أَيْ: يسلِّمُ مِنْ آخرِ ركعةٍ، والمقصودُ مِنَ الحديثِ حثُّ النَّاسِ علَىٰ إتمامِ الصَّلاةِ معَ الإمامِ وألَّا ينصرفُوا قبلَ أنْ يتمَّ الإمامُ الصَّلاةَ، ولهذَا ينبغِي لمنْ صلَّىٰ صلاةَ التَّراويحِ أنْ يكملَها معَ الإمامِ ولَا ينصرفَ حتَّىٰ يسلِّمَ الإمامُ مِنَ الرَّكعةِ الأخيرةِ حتَّىٰ يُكْتَبَ لهُ أجرُ قيامِ ليلةٍ.

(١٤) الصَّلاةُ فِي مُصَلَّيَاتِ وغرفِ الفنادقِ المُطِلَّةِ علَى المسجدِ الحرامِ:

لَا بأسَ بالصَّلاةِ فيهَا مَا دامَ أنَّ المصلِّينَ فيها يرونَ بعضَ المأمومينَ إمَّا فِي السَّاحةِ أوْ فِي صحنِ المطافِ أوْ غيرِ ذلكَ، وهكذَا

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٦)، والنسائي برقم: (١٦٠٥)، وابن ماجه برقم: (١٣٢٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

يصحُّ الاقتداءُ بإمامِ الحرمِ فِي الغرفِ المُطِلَّةِ علىٰ الحرمِ بشرطِ أنْ لَا ينفردَ المصلِّي فيكونَ وحدَه إذَا كانَ رجلًا؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِفَرْدٍ خَلْفَ الصَّفِّ**»[(١)]، أمَّا المرأةُ فيجوزُ لهَا أنْ تصلِّيَ وحدَها فِي الغرفةِ المُطِلَّةِ علَىٰ الحرمِ؛ لأنَّ أمَّ سُليمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا صلَّتْ وحدَها خلفَ أنسٍ واليتيمِ وهما يصلِّيانِ خلفَ النَّبيِّ ﷺ[(٢)].

اللَّهمَّ باركْ لنَا فيما تبقَّىٰ مِنْ شهرِ رمضانَ، ووفِّقْنا فيهِ لِمَا تحبُّ وترضَىٰ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (١٥٦٩)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٢٢٠٢) من حديث علي بن شيبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٧) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الدَّرسُ التَّاسعُ

صلاةُ التَّراويحِ

الحمدُ للهِ مقلِّبِ اللَّيلِ والنَّهارِ، تذكرةً وتبصرةً لأولِي النُّهَىٰ والاعتبارِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ سيِّدِ الأنبياءِ والأخيارِ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ الأطهارِ الأبرارِ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ صلاةَ التَّراويحِ سنَّةٌ مؤكَّدةٌ، سنَّها رسولُ اللهِ ﷺ، فقدْ صلَّىٰ بالنَّاسِ صلاةَ التَّراويحِ، ثمَّ تركَها خوفًا مِنْ أنْ تُفْرَضَ علَىٰ هذهِ الأمَّةِ، فعنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ ذاتَ ليلةٍ مِنْ جوفِ اللَّيلِ، فصلَّىٰ فِي المسجدِ، فصلَّىٰ رجالٌ بصلاتِه، فأصبحَ النَّاسُ فتحدَّثُوا، فاجتمعَ أكثرُ منهم فصلَّوْا معَهُ، فأصبحَ النَّاسُ فتحدَّثُوا، فكثرَ أهلُ المسجدِ مِنَ اللَّيلةِ الثَّالثةِ، فخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ فصلَّوْا بصلاتِهِ، فلمَّا كانَتِ اللَّيلةُ الرَّابعةُ، عجزَ المسجدُ عنْ أهلِهِ، حتَّىٰ خرجَ لصلاةِ الصُّبحِ، فلمَّا قضَىٰ الفجرَ أقبلَ علَىٰ النَّاسِ فتشهَّدَ، ثمَّ

قالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجَزُوا عَنْهَا**»(١).

وتُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ والأمرُ علَىٰ ذلكَ، ثمَّ كانَ الأمرُ علَىٰ ذلكَ فِي خلافةِ أَبِي بكرٍ وصدرًا مِنْ خلافةِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثمَّ ذاتَ ليلةٍ فِي رمضانَ خرجَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إِلَىٰ المسجدِ فإِذَا النَّاسُ أوزاعٌ متفرِّقونَ، يصلِّي الرَّجلُ لنفسِهِ، ويصلِّي الرَّجلُ فيصلِّي بصلاتِهِ الرَّهْطُ، فقالَ عمرُ: إنِّي أرَىٰ لوْ جمعْتُ هؤلاءِ علَىٰ قارئٍ واحدٍ لكانَ أمثلَ، ثمَّ عزمَ فجمعَهم علَىٰ أُبيِّ بنِ كعبٍ(٢).

ومنذُ ذلكَ الحينِ إِلَىٰ وقتِنَا هذَا وعملُ المسلمينَ علَىٰ ذلكَ يصلُّونَ صلاةَ التَّراويحِ جماعةً فِي المساجدِ.

وقدْ رغَّبَ النَّبيُّ ﷺ فِي قيامِ اللَّيلِ معَ الإمامِ فقالَ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٨٨٢) ومسلم برقم: (٧٦١).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٦).
(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٦) وقال: حسن صحيح.



فإذَا صـــلَّيْتَ يَا أخِي المســـلمَ معَ الإمامِ صـــلاةَ التَّراويحِ ولمْ تنصرفْ حتَّىٰ سلَّمَ مِنْ آخرِ ركعةٍ فإنَّهُ يُكْتَبُ لكَ أجرُ قيامِ ليلةٍ، وإذَا حافظْتَ علَىٰ ذلكَ طوالَ الشَّهرِ وكانَ هذَا إيمانًا واحتسابًا فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَـــانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَـــابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

وَسُمِّيَتْ صلاةُ التَّراويحِ بهذَا الاسمِ؛ لأنَّ السَّلفَ الصَّالحَ كانُوا يطيلونَها جدًّا حتَّىٰ إنَّهم يعتمدُونَ علَىٰ العِصِـــيِّ مِنْ طولِ القيامِ، فكانُوا إذَا صـــلَّوْا أربعَ ركعاتٍ اســـتراحُوا ولذلكَ سُـــمِّيَتْ صـــلاةَ التَّراويحِ.

وينبغِي الطُّمأنينةُ فِي صـــلاةِ التَّراويحِ وعدمُ تخفيفِهَا تخفيفًا يخلُّ بالطُّمأنينةِ، فإنَّه يُلاحَظُ علَىٰ بعضِ أئمَّةِ المســـاجدِ أنَّهم يخفِّفونَ مِنْ صلاةِ التَّراويحِ تخفيفًا كبيرًا ربَّما أخلَّ بركنِ الطُّمأنينةِ، ومنْ صـــلَّىٰ صـــلاةً لمْ يطمئنَّ فيها فليسَ لَهُ مِنْ صـــلاتِهِ إلَّا التَّعبُ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٨)، ومسلم برقم: (٧٦٠).

والنَّبيُّ ﷺ قالَ للمسيءِ صلاتَهُ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»(١) أَي أَنَّ هذهِ الصَّلاةَ غيرُ صحيحةٍ.

قالَ أهلُ العلمِ: ينبغِي للإمامِ أنْ يُسْمِعَ المأمومينَ القرآنَ كاملًا فِي صلاةِ التَّراويحِ فِي شهرِ رمضانَ، وإنْ لمْ يتيسَّرْ فلَا يشقَّ علَىٰ المأمومينَ لكنْ يجبُ عليهِ أنْ يطمئنَّ فِي صلاتِهِ.

ولَا بأسْ بحملِ المصحفِ للقراءةِ منْهُ فِي صلاةِ التَّراويحِ، وَيُكْرَهُ فِي صلاةِ الفريضةِ.

وَيُشْرَعُ قنوتُ الوترِ فِي آخرِ صلاةِ التَّراويحِ فإذَا صلَّىٰ الإمامُ صلاةَ التَّراويحِ يختمُ ذلكَ بصلاةِ الوترِ، ثمَّ يقنتُ بعدَما يرفعُ مِنَ الرُّكوعِ مِنَ الرَّكعةِ الأخيرةِ، **وينبغِي أنْ يحرصَ علَىٰ تطبيقِ السُّنَّةِ ومنْ ذلكَ**:

أولًا: عدمُ الإطالةِ؛ لأنَّ الإطالةَ تشقُّ علَىٰ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، معَ مَا فيهَا مِنْ مخالفةٍ لهديِ النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٤)، ومسلم برقم: (٣٩٧).

ثانيًا: عدمُ استمرارِ الدُّعاءِ فِي كلِّ ليلةٍ، بلْ ظاهرُ هدْيِ النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّهُ كانَ لَا يحافظُ علَىٰ دعاءِ القنوتِ فِي صلاةِ الوترِ.

ثالثًا: ينبغِي فِي دعاءِ القنوتِ الحرصُ علَىٰ الدُّعاءِ بالمأثورِ، وعلَىٰ جوامعِ الدُّعاءِ، والبعدِ عنِ التَّكلُّفِ وعنِ الأدعيةِ المسجوعةِ.

ومنْ أرادَ مِنَ المأمومِينَ أنْ يصلِّيَ فِي بيتِهِ بعدَ صلاةِ التَّراويحِ، أوْ مِنْ آخرِ اللَّيلِ فيُشرعُ لهُ إذَا سلَّمَ الإمامُ مِنَ الرَّكعةِ الأخيرةِ أنْ يقومَ ويشفعَهَا بركعةٍ حتَّىٰ يجعلَ وترَهُ آخرَ صلاتِهِ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا**»(١).

وهذَا خيرٌ مِنْ أنْ ينصرفَ قبلَ أنْ يوترَ الإمامُ؛ لأنَّه إذَا صلَّىٰ الوترَ معَ الإمامِ ثمَّ شفعَ بركعةٍ كُتِبَ لهُ أجرُ قيامِ ليلةٍ، بينَمَا لوِ انصرفَ قبلَ وترِ الإمامِ فإنَّ هذَا الفضلَ يفوتُه.

ومنْ أوترَ معَ الإمامِ ورغبَ أنْ يصلِّيَ فِي بيتِهِ بعدَ ذلكَ فلَا بأسَ، لكنْ يصلِّيها مثنَىٰ مثنًىٰ مِنْ غيرِ أنْ يوترَ لأنَّه لَا وترانِ فِي ليلةٍ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٩٩٨)، ومسلم برقم: (٧٥١) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

اللَّهمَّ تقبَّلْ صيامَنا وقيامَنا وسائرَ أعمالِنا، اللَّهمَّ اجعلْنَا ممَّنْ يقومُ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



الدَّرسُ العاشرُ
شهرُ رمضانَ شهرُ القرآنِ

الحمدُ للهِ واسعِ الفضلِ والإحسانِ، الْمُنْزِلِ علَىٰ عبدِهِ القرآنَ، فيهِ بيِّناتٌ مِنَ الهدَىٰ والفرقانِ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ رفعَ بِهِ الحقَّ حتَّىٰ اتَّضحَ واستبانَ، وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ أهلِ الصِّدقِ والجودِ والوفاءِ والإحسانِ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ شهرَ رمضانَ هوَ شهرُ القرآنِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[(١)]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[(٢)]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[(٣)].

فهذَا القرآنُ العظيمُ نزلَ فِي شهرِ رمضانَ، وقدِ اكتسبَ وقتُ نزولِهِ شرفًا عظيمًا وهوَ ليلةُ القدرِ والَّتي هِيَ فِي رمضانَ، فقدْ جعلَها

---

(١) سورة البقرة (الآية:١٨٥).
(٢) سورة الدخان (الآية:٣).
(٣) سورة القدر (الآية: ١).

اللهُ خيرًا مِنْ ألفِ شـــهرٍ، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[(١)].

وكانَ النَّبيُّ ﷺ له عنايةٌ بمدارسةِ القرآنِ فِي شهرِ رمضانَ، فكانَ يـدارسُـــهُ جبريـلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كـلَّ ليلةٍ مِنْ ليـالِي رمضـــانَ[(٢)]، وكـانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعرضُ القرآنَ علَىٰ جبريـلَ فِي كـلِّ عـامٍ مرَّةً إلَّا فِي العامِ الَّذِي توفِّيَ فيهِ فقدْ عرضَ عليْهِ مرَّتينِ[(٣)].

وأخذَ مِنْ هذَا أهلُ العلمِ أنَّه ينبغِي للمســلمِ أنْ يتدارسَ القرآنَ ويتعاهدَ حفظَهُ ويكثرَ مِنْ تلاوتِهِ فِي شهرِ رمضانَ.

واختلفَ العلماءُ: أيُّهُمَا أفضلُ: التِّلاوةُ والمدارسةُ فِي اللَّيلِ أوْ فِي النَّهارِ:

فمِنْهم مَنْ قالَ: إنَّها فِي النَّهارِ أفضلُ لكونِ المسلمِ صائمًا.

وقالَ آخرونَ: إنَّها فِي اللَّيلِ أفضلُ؛ لأنَّ هذَا هوَ هديُ النَّبيِّ ﷺ، فقدْ كانَ يدارسُـــهُ جبريلُ فِي اللَّيلِ وليسَ فِي النَّهارِ، والأقربُ أنَّ

---

(١) سورة القدر (الآية:١-٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٨٥)، ومسلم برقم: (٢٤٥٠) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

المدارســـةَ فِي اللَّيلِ أفضـــلُ اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ، أمَّا مجرَّدُ التِّلاوةِ فيستوِي فيها اللَّيلُ والنَّهارُ.

ولقدْ كانَ للسَّلفِ عنايةٌ عظيمةٌ بالقرآنِ فِي شهرِ رمضانَ، فكانُوا إذَا دخلَ شهرُ رمضانَ أقبلُوا علَىٰ القرآنِ العظيمِ.

- كانَ عثمانُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يختمُ القرآنَ كلَّ يومٍ فِي رمضانَ.
- وكانَ الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُٱللَّهُ إذَا دخلَ شـــهرُ رمضـــانَ أوقفَ دروسَ العلمِ وأقبلَ علَىٰ قراءةِ القرآنِ(١).
- وكانَ للإمامِ الشَّـــافعيِّ ســـتُّونَ ختمةً فِي رمضـــانَ(٢)، ومعنَىٰ ذلكَ أنَّه يختمُ القرآنَ فِي اليومِ واللَّيلةِ مرَّتينِ. وهذَا متيسِّـــرٌ فِي حقِّ الحافظِ المتقنِ الماهرِ بالقرآنِ.
- وعنْ أبِي حنيفةَ نحوُ مَا رُويَ عنِ الشَّافعيِّ(٣).
- وكانَ الأسودُ يختمُ القرآنَ كلَّ ليلتينِ(٤).

---

(١) ينظر: لطائف المعارف (ص:١٧١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

▪وكانَ الزُّهريُّ إذَا دخلَ رمضانُ قالَ: إنَّما هوَ تلاوةُ القرآنِ وإطعامُ الطَّعامِ(١).

فينبغِي أنْ نقتديَ بِهِمْ وأنْ نحرصَ علَىٰ الإكثارِ مِنْ تلاوةِ القرآنِ العظيمِ فِي هذَا الشَّهرِ المباركِ، فشهرُ رمضانَ هوَ شهرُ القرآنِ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾(٢).

وينبغِي لكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ألَّا يمضيَ عليهِ هذَا الشَّهرُ إلَّا وقدْ ختمَ فيهِ القرآنَ الكريمَ، وهناكَ مِنَ النَّاسِ الموفَّقينَ مَنْ يختمُ القرآنَ عدَّةَ ختماتٍ.

وقدْ جاءَ فِي حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**»(٣)، وهذَا الحديثُ فِي سندِهِ مقالٌ، وعلَىٰ تقديرِ ثبوتِهِ فقدْ قالَ أهلُ العلمِ: يُستثنَىٰ مِنْ ذلكَ المواسمُ الفاضلةُ مثلَ شهرِ رمضانَ.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) سورة البقرة (الآية:١٨٥).
(٣) أخرجه أبو داود برقم: (١٣٩٤)، والترمذي برقم: (٢٩٤٩).

قالَ الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّما وردَ النَّهيُ عنْ قراءةِ القرآنِ فِي أقلَّ مِنْ ثلاثٍ علَىٰ المداومةِ علَىٰ ذلكَ، فأمَّا فِي الأوقاتِ المفضَّلةِ؛ كشهرِ رمضانَ، خصوصًا اللَّياليَ الَّتي يُطْلَبُ فيها ليلةُ القدرِ، أوْ فِي الأماكنِ المفضَّلةِ؛ كمكَّةَ لمنْ دخلَهَا مِنْ غيرِ أهلِهَا فيُستحبُّ الإكثارُ فيها مِنْ تلاوةِ القرآنِ اغتنامًا للزَّمانِ والمكانِ، وهوَ قولُ أحمدَ وإسحاقَ وغيرِهِمَا مِنَ الأئمَّةِ، وعلَيْهِ يدلُّ عملُ غيرِهِمْ»(١).

وقراءةُ القرآنِ لهَا فضلٌ عظيمٌ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢).

وقدْ حسبَ ذلكَ بعضُ أهلِ العلمِ، بضربِ عشرةٍ فِي عددِ حروفِ القرآنِ كانتِ النَّتيجةُ أكثرَ مِنْ ثلاثةِ ملايينِ حسنةٍ، أَيْ: أنَّكَ

---

(١) لطائف المعارف (ص:١٧١).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وقال: حديث حسن صحيح.

إذَا ختمْتَ القرآنَ يُرجَىٰ أنْ يُكْتَبَ لكَ أكثرُ مِنْ ثلاثةِ ملايينَ حسنةٍ، معَ أنَّ فضلَ اللهِ واسعٌ وينبغِي عدمُ الحسابِ، لكنَّ هذهِ المسألةَ بخصوصِهَا جاءَ الحسابُ فِيهَا فِي هذَا الحديثِ، وهذَا فضلُ اللهِ وفضلُ اللهِ يؤتِيهِ مَنْ يشاءُ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مِنْ أهلِ القرآنِ وانفعْنَا وارفعْنَا بالقرآنِ العظيمِ، واجعلْهُ ربيعَ قلوبِنَا ونورَ صدورِنَا، ووفِّقْنا لِمَا تحبُّ وترضَىٰ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحْبِهِ أجمعِينَ.



الدَّرسُ الحادِي عشرَ
المعذورونَ بالإفطارِ فِي شهرِ رمضانَ

الحمدُ للهِ الَّذي أتقنَ بحكمتِه مَا فطرَ وبنَىٰ، وشرعَ الشَّرائعَ رحمةً وحكمةً طريقًا وسننًا، والصَّلاةُ علَىٰ رسولِهِ محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الكرامِ الأمناءِ، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ اللهَ تعالَىٰ لَمَّا فرضَ صيامَ شهرِ رمضانَ، رخَّصَ لذوِي الأعذارِ فِي الفطرِ، فقالَ سبحانَهُ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(١)]، وجاءَ فِي السُّنَّةِ أيضًا بيانُ بقيَّةِ أصحابِ الأعذارِ، **وفيما يأتِي بيانُ ذكرِهم:**

(١) المريضُ:

أباحَ اللهُ تعالَىٰ الفطرَ للمريضِ بقولِهِ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. والمريضُ الَّذي يُبَاحُ لهُ الفطرُ هوَ

---

(١) سورة البقرة (آية:١٨٤).

المريضُ الَّذِي يخشَىٰ زيادةَ المرضِ أوْ تأخُّرَ البُرءِ بسببِ صومِهِ، أوْ كانَ يشقُّ عليهِ الصَّومُ مشقَّةً غيرَ معتادةٍ.

وإذَا كانَ الصَّومُ قدْ يتسبَّبُ فِي هلاكِهِ فيحرمُ عليهِ الصَّومُ ويجبُ عليهِ الفطرُ؛ لأنَّ صومَهُ حينئذٍ مِنَ الإلقاءِ إلَىٰ التَّهلكةِ، وقدْ قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(١).

(٢) المسافرُ:

يُباحُ الفطرُ للمسافرِ، ويقضِي بعدَ رمضانَ؛ لقولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

والمسافرُ لهُ ثلاثُ حالاتٍ معَ الصِّيامِ:

□ **الحالُ الأولَى:** أنْ يشقَّ عليهِ الصَّومُ مشقَّةً شديدةً فيحرمُ عليهِ الصَّومُ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ، كانَ فِي سفرٍ وكانَ صائمًا، فأفطرَ وأمرَ النَّاسَ بالفطرِ، ولمَّا بلغَهُ أنَّ بعضَ النَّاسِ قدْ صامَ أنكرَ عليْهِمْ وقالَ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**»(٢).

---

(١) سورة البقرة (آية:١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١١٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

□**الحالُ الثَّانيةُ:** أنْ يشقَّ عليهِ الصَّومُ مشقَّةً غيرَ شديدةٍ والفطرُ أرفقُ لهُ، فَيُكْرَهُ فِي حقِّهِ الصَّومُ، ويُسَنُّ لهُ الفطرُ؛ لقولِهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»(١).

□**الحالُ الثَّالثةُ:** أنْ يتساوَىٰ عندَهُ الأمرانِ، فيختارُ الأيسرَ لهُ؛ لقولِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾(٢)، وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَىٰ الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَىٰ الصَّائِمِ»(٣). فإنْ تساوَىٰ الأمرُ فِي اليسرِ فالصَّومُ أفضلُ؛ لكونِهِ الأسرعَ فِي إبراءِ الذِّمَّةِ.

(٣) الكبيرُ فِي السِّنِّ:

يُبَاحُ الفطرُ لكبيرِ السِّنِّ الَّذِي يشقُّ عليهِ الصِّيامُ مشقَّةً غيرَ معتادةٍ، ويطعمُ عنْ كلِّ يومٍ مسكينًا، ويدلُّ لذلكَ قولُ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قولِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾، قالَ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩٤٦)، ومسلم برقم: (١١١٥) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سورة البقرة (آية: ١٨٥).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٤٧)، ومسلم برقم: (١١١٨).

«ليستْ بمنسوخةٍ هوَ الشَّيخُ الكبيرُ، والمرأةُ الكبيرةُ لَا يستطيعانِ أنْ يصومَا، فيُطعمانِ مكانَ كلِّ يومٍ مسكينًا»(١).

وقدْ كانَ أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فِي آخرِ حياتِهِ يفطرُ ويطعمُ عنْ كلِّ يومٍ مسكينًا، وقدْ عُمِّرَ حتَّىٰ جاوزَ مائةَ عامٍ.

وأمَّا إذَا كانَ عقلُهُ ليسَ معَهُ، فهذَا مرفوعٌ عنْهُ القلمُ، وليسَ عليْهِ شيءٌ، لَا يلزمُهُ صومٌ ولَا قضاءٌ ولَا إطعامٌ.

(٤) الحاملُ والمرضعُ:

الحاملُ والمرضعُ يجوزُ لهُمَا الفطرُ إذَا احتاجَتَا إليْهِ؛ لقولِهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الْمُسَافِرِ وَالْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ الصَّوْمَ، أَوِ الصِّيَامَ»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٥٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٤٠٨)، والترمذي برقم: (٧١٥) والنسائي برقم: (٢٢٧٤)، وابن ماجه برقم: (١٦٦٧) واللفظ له. من حديث أنس بن مالك الكعبي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وقال الترمذي: «حديث حسن».

والقولُ الرَّاجحُ: أنَّهُ يلزمُهما القضاءُ فقطْ دونَ الإطعامِ، قياسًا علَىٰ المسافرِ والمريضِ، وهذَا اختيارُ الشَّيخينِ ابنِ بازٍ[١]، وابنِ عثيمينَ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ[٢].

(٥) الحائضُ والنُّفساءُ:

الحائضُ والنُّفساءُ يجبُ عليْهِما الفطرُ والقضاءُ بعدَ رمضانَ بالإجماعِ[٣]، وقدْ جاءَ فِي حديثِ أبِي سعيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**»[٤].

(٦) مَنْ يحتاجُ الفطرَ لإنقاذِ معصومٍ:

يجبُ الفطرُ علَىٰ مَنْ يحتاجُه لإنقاذِ معصومٍ[٥]، مِنْ غَرَقٍ أوْ حريقٍ أوْ هَدْمٍ ونحوِ ذلكَ، فلوْ غرِقَ معصومٌ واحتاجَ إلَىٰ مَنْ ينقذُهُ وهذَا الصَّائمُ لوْ أفطرَ تقوَّىٰ علَىٰ إنقاذِهِ، فيجبُ عليْهِ أنْ يفطرَ، كمَا

---

(١) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن باز (١٥/ ٢٢٣، ٢٢٧).
(٢) ينظر: مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (١٩/ ١٥٩- ١٦٠).
(٣) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٢٣٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم: (٣٠٤)، ومسلم برقم: (٨٠).
(٥) **المعصوم** هو: الآدمي المحرم قتله من مسلم أو ذمي أو مستأمن أو معاهد.



يحصـــلُ أحيانًا لبعضِ رجالِ الدِّفاعِ المدنيِّ عندَمَا يُحْتَاجُ إِليْهِمْ فِي إنقاذِ بعضِ النَّاسِ، ويكونونَ صائمينَ.

أمَّا الفطرُ في نهارِ رمضـــانَ بســببِ العملِ فلَا يجوزُ، والعملُ أيًّا كانَ ليسَ عذرًا يباحُ معَهُ الفطرُ، ويمكنُ أنْ يحوِّلَ عملَهُ إِلَىٰ اللَّيلِ أوْ يعملَ أوَّلَ النَّهارِ؛ إلَّا أنْ يكونَ مريضًـــا فيفطرَ لأجلِ المرضِ، أمَّا إذَا كانَ صحيحًا فليسَ لَهُ الفطرُ لأجلِ العملِ.

اللَّهمَّ فقِّهْنَا فِي الـدِّينِ واجعلْنَا مِنْ عبـادِكَ المتَّقينَ، واغفرْ لنَـا ولوالدِينَا ولجميعِ المســلمينَ، وصـــلَّىٰ اللهُ وســـلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



الدَّرْسُ الثَّانِي عشَرَ

شهرُ رمضانَ شهرُ الجودِ والإحسانِ

الحمدُ للهِ الَّذِي شهدَتْ بوجودِهِ آياتُهُ الباهرةُ، ودَلَّتْ علَىٰ كرمِهِ وجودِهِ نعمُهُ الباطنةُ والظَّاهرةُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ نجومِ الهدَىٰ الزَّاهرةِ، **أمَّا بعدُ:**

فشهرُ رمضانَ هوَ شهرُ الجودِ والإحسانِ، وقدْ كانَ النَّبِيُّ ﷺ أجودَ النَّاسِ، وكانَ أجودَ مَا يكونُ فِي رمضانَ، فعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[(١)].

ولئنْ كانَ الجودُ والإنفاقُ فِي وجوهِ البرِّ محمودًا فِي كلِّ وقتٍ إلَّا أنَّهُ يتأكَّدُ فِي هذَا الشَّهرِ المباركِ، قالَ الإمامُ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٢٣٠٨).

«إعانةُ الفقراءِ بالإطعامِ فِي شهرِ رمضانَ هوَ مِنْ سننِ الإسلامِ»(١).

ومنَ الجودِ فِي رمضانَ تفطيرُ الصَّائمينَ، فإنَّ أجرَهُ عظيمٌ، فعنْ زيدِ بنِ خالدٍ الجهنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**»(٢). وعنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رجلًا سألَ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٣).

وقدْ أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بأنَّهُ ينزلُ كلَّ يومٍ ملكانِ مِنَ السَّماءِ يدعوانِ للمنفقِ بالخَلَفِ، ويدعوانِ علَىٰ الممسكِ بالتَّلَفِ، فقالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخِرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٥/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٧)، وقال: «حديث حسن صحيح» وابن ماجه برقم: (١٧٤٦) وصححه ابن حبان (١/ ٢١٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٢)، ومسلم برقم: (٣٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٤٤٢)، ومسلم برقم: (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبذلُ والإنفاقُ فِي سبيلِ اللهِ برهانٌ علَىٰ صدقِ إيمانِ صاحبِهِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»(١).

قالَ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**معنَاهُ:** الصَّدقةُ حجَّةٌ علَىٰ إيمانِ فاعلِهَا، فإنَّ المنافقَ يمتنعُ منْهَا لكونِهِ لَا يعتقدُهَا، فمنْ تصدَّقَ استُدِلَّ بصدقتِهِ علَىٰ صدقِ إيمانِهِ»(٢).

فهيَ برهانٌ علَىٰ إيمانِ العبدِ؛ لأنَّ المالَ محبوبٌ إلَىٰ النُّفوسِ، والنُّفوسُ شحيحةٌ بِهِ، فإذَا بذلَهُ الإنسانُ للهِ فإنَّ الإنسانَ لَا يبذلُ مَا يحبُّ إلَّا لِمَا هوَ أحبُّ منْهُ.

فينبغِي لكَ أخِي المسلمُ أنْ تقتديَ بالنَّبيِّ ﷺ، وأنْ يظهرَ عليْكَ أثرُ الجودِ والبذلِ والإحسانِ فِي هذَا الشَّهرِ المباركِ.

وينبغِي أنْ تتفقَّدَ الأموالَ الَّتِي عندَكَ فتخرجَ الزَّكاةَ فيمَا وجبَ فيهِ الزَّكاةُ، ثمَّ بعدَ ذلكَ تحرصُ علَىٰ البذلِ والإنفاقِ فِي مجالاتِ الخيرِ.

وينبغِي أنْ يصحبَ ذلكَ الإخلاصُ للهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ١٠١).

(٣) سورة الإنسان (آية:٩).

وأنْ يقترنَ بِهِ كذلكَ حفظُ كرامةِ الفقيرِ، فالبذلُ المصحوبُ بمَا يخدشُ كرامةَ الفقيرِ لَا خيرَ فيهِ كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[1]، والمنَّةُ والأَذَىٰ تبطلُ أجرَ الصَّدقةِ كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[2].

وقدْ كانَ عندَ صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ حرصٌ عظيمٌ علَىٰ البذلِ والإنفاقِ فِي سبلِ الخيرِ، علَىٰ قلَّةِ مَا فِي أيدِيهِمْ مِنَ الأموالِ، ومنْ ذلكَ مَا وردَ أنَّ بئرَ رُومَةَ كانَتْ ليهوديٍّ يبيعُ ماءَهَا للمسلمينَ كلَّ قربةٍ بدرهمٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ للصَّحابةِ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فاشتراهَا عثمانُ، وأوقفَهَا علَىٰ المسلمينَ[3].

وذكرَ بعضُ أهلِ السِّيرِ قصَّةً عجيبةً، فعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «قَحِطَ المطرُ علَىٰ عهدِ أبي بكرٍ الصِّديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجاءَتْ

---

(١) سورة البقرة (آية:٢٦٣).
(٢) سورة البقرة (آية:٢٦٤).
(٣) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي برقم: (٣٧٠٣) من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصله عند البخاري برقم: (٢٧٧٨).



مائةُ راحلةٍ لعثمانَ بنِ عفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحملُ الطَّعامَ، فاجتمعَ تجَّارُ المدينةِ إلَىٰ بابِ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرجَ إليْهِمْ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالُوا: نريدُ أنْ نشتريَ منكَ مِنْ هذَا الطَّعامِ، قالَ عثمانُ: حبًّا وكرامةً، كمْ تُربحونِي؟ قالُوا: العشرةُ باثنيْ عشرَ، فقالَ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدْ أُعْطِيتُ أكثرَ، قالُوا: العشرةُ أربعةَ عشرَ، قالَ: قدْ أعطِيتُ أكثرَ، قالُوا: العشرةُ بخمسةَ عشرَ، قالَ عثمانُ: قدْ أعطيتُ أكثرَ، قالَ التُّجَّارُ: مَا بقيَ فِي المدينةِ تجَّارٌ غيرَنَا، فمنِ الَّذِي أعطاكَ أكثرَ منَّا؟ قالَ: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بكلِّ درهمْ عشرةً، أعندكُمْ زيادةٌ؟ فقالُوا: لَا، قالَ: فإنِّي أشهدُ اللهَ أنِّي قدْ جعلْتُ هذَا الطَّعامَ صدقةً علَىٰ فقراءِ المسلمينَ»[١].

قالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ للصَّدقةِ تأثيرًا عجيبًا فِي دفعِ أنواعِ البلاءِ ولوْ كانَتْ مِنْ فاجرٍ أوْ مِنْ ظالمٍ بلْ مِنْ كافرٍ، فإنَّ اللهَ تعالَىٰ يدفعُ بهَا عنْهُ أنواعًا مِنَ البلاءِ، وهذَا أمرٌ معلومٌ عندَ النَّاسِ خاصَّتِهم وعامَّتِهم، وأهلُ الأرضِ كلُّهم مقرُّونَ بهِ لأنَّهم جرَّبُوهُ»[٢].

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة برقم: (١٤٨٦).
(٢) الوابل الصيب (ص:٣١).

والإنســانُ يكونُ تحتَ ظلِّ صــدقتِهِ يومَ القيامةِ، كانَ مرثدُ ابنُ عبدِ اللهِ اليَزنيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لَا يمرُّ بهِ يومٌ إلَّا وقدْ تصــدَّقَ فيهِ بشــيءٍ، وذاتَ يومٍ لمْ يجدْ شـيئًا فِي بيتِهِ إلَّا بصلًا، فحملَهُ علَىٰ رأسِـهِ، فرآهُ أحدُ النَّاسِ، وقالَ لهُ: إنَّ اللهَ لمْ يوجبْ عليْكَ هذَا، قالَ: أمَا واللهِ إنِّي لمْ أجدْ فِي بيتِي شيئًا أتصدَّقُ بِهِ غيرَهُ، وإنِّي أردْتُ ألَّا يمرَّ عليَّ يومٌ إلَّا تصدَّقْتُ فيهِ بصدقةٍ، إنَّهُ حدَّثنِي رجلٌ مِنْ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يَفْصِلَ بَيْنَ النَّاسِ»(١).

اللَّهمَّ وفِّقْنَا للجودِ والإحسانِ فِي شــهرِ رمضــانَ، وتقبَّلْ منَّا يَا كريمُ يَا منَّانُ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المســلمينَ، وصــلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (٢٤٣١)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٣٣١٠) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الدَّرسُ الثَّالثَ عشرَ

لنْ تنالُوا البرَّ حتَّى تنفقُوا ممَّا تحبُّونَ

الحمدُ للهِ الَّذِي لمْ تزلْ سحائبُ جودِهِ تسحُّ الخيراتِ كلَّ وقتٍ وأوانٍ، الكريمِ الَّذِي تأذَّنَ بالمزيدِ لذوِي الشُّكرانِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ الَّذِي رفعَ اللهُ بهِ الحقَّ حتَّىٰ اتَّضحَ واستبانَ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ خيرِ الخِلَّانِ، **أمَّا بعدُ:**

فيقولُ اللهُ تعالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، قالَ ابنُ جريرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تفسيرِهِ: «أَيْ: لنْ تنالُوا أيُّهَا المؤمنونَ جنَّةَ ربِّكُمْ، حتَّىٰ تنفقُوا ممَّا تحبُّونَ، أَيْ: حتَّىٰ تتصدَّقُوا ممَّا تحبُّونَ مِنْ نفيسِ أموالِكُمْ»[2].

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عنْ أَيِّ الرِّقابِ أفضلُ؟ فقالَ: «**أَغْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهلِهَا**»[3]. أَيْ: أرفعُهَا وأجودُهَا.

---

(١) سورة آل عمران (آية:٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٥١٨)، ومسلم برقم: (٨٤) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فعلَىٰ المسلمِ أنْ يتخيَّرَ عندَ الإنفاقِ والبذلِ فِي سُبلِ الخيرِ الطَّيِّبَ مِنَ المالِ ولَا يتصدَّقَ بمَا هوَ رديءٌ أوِ الَّذي لَا يرضاهُ لنفسِهِ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[١].

قالَ ابْنُ جريرٍ فِي تفسيرِهِ: «يعنِي جلَّ ثناؤُهُ بـ﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾: الرَّديءَ غيرَ الجيِّدِ، يقولُ: لَا تعَمَّدُوا الرَّديءَ مِنْ أموالِكُمْ فِي صدقاتِكُمْ فتصدَّقُوا منْهُ، ولكنْ تصدَّقُوا مِنَ الطَّيِّبِ الجيِّدِ»[٢].

وقدْ كانَ الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أحرصِ النَّاسِ علَىٰ الإنفاقِ بأفضلِ أموالِهِمْ ومَا عندَهُمْ، فعنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ أبُو طلحةَ أكثرَ الأنصارِ بالمدينةِ مالًا مِنْ نخلٍ، وكانَ أحبُّ أموالِهِ إليْهِ بَيْرُحَاءَ، وكانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المسجدِ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدخلُهَا ويشربُ مِنْ ماءٍ فيهَا طيِّبٍ، فلمَّا أُنْزِلَتْ هذهِ الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا

(١) سورة البقرة (آية: ٢٦٧).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٦٩٨).

تُحِبُّونَ﴾، قامَ أبُو طلحةَ إلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يَا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإنَّ أحبَّ أموالِي إليَّ بَيْرُحَاءُ، وإنَّهَا صدقةٌ للهِ، أرجُو بِرَّهَا وذُخْرَهَا عندَ اللهِ، فضعْهَا يَا رسولَ اللهِ حيثُ أراكَ اللهُ، قالَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فقالَ أبُو طلحةَ: أفعلُ يَا رسولَ اللهِ، فقسَّمَهَا أبُو طلحةَ فِي أقارِبِهِ وبنِي عمِّهِ»(١).

وفِي قولِهِ ﷺ: «وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» دليلٌ علَىٰ أنَّ الأرحامَ المحتاجينَ أولَىٰ بالمعونةِ مِنْ غيرِهِمْ، بلِ الصَّدقةُ عليْهِمْ أعظمُ أجرًا مِنَ الصَّدقةِ علَىٰ غيرِهِمْ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»(٢).

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لَمَّا نزلَتْ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾(٣) قالَ أبُو الدَّحداحِ: يَا رسولَ اللهِ، وإنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦١)، ومسلم برقم: (٩٩٨).
(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٦٥٨)، وحسنه، وصححه ابن حبان رقم: (٢٣٧).
(٣) سورة البقرة (آية:٢٤٥).

يريدُ منَّا القرضَ؟ قالَ: «**نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ**»، قالَ: فإنِّي قدْ أقرضْتُ ربِّي حائطِي، حائطًا فيهِ ستُّ مائةِ نخلةٍ، ثمَّ جاءَ يمشِي حتَّىٰ أتَىٰ الحائطَ وفيهِ أمُّ الدَّحداحِ فِي عيالِهَا فنادَاهَا: يَا أمَّ الدَّحداحِ، قالَتْ: لبَّيْكَ، قالَ: اخرُجِي، فإنِّي أقرضْتُ ربِّي حائطِي[1].

وكانَ ابنُ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، إذَا أعجبَهُ شيءٌ مِنْ مالِهِ، وتعلَّقَتْ بِهِ نفسُهُ، تصدَّقَ بِهِ، يتأوَّلُ قولَ اللهِ تعالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ أَيِ: الجنَّةَ ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2].

فينبغِي المبادرةُ بالبذلِ والإنفاقِ، وعدمُ التَّأخيرِ والتَّسويفِ، فإنَّ الإنسانَ لَا يدرِي متَىٰ يفجؤُهُ الموتُ، فعنْ عقبةَ بنِ الحارثِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: «صليْتُ وراءَ النَّبيِّ ﷺ بالمدينةِ العصرَ، فسلَّمَ ثمَّ قامَ مسرعًا، يتخطَّىٰ رقابَ النَّاسِ إلَىٰ بعضِ حجرِ نسائِهِ، ففزعَ النَّاسُ بسرعتِهِ، وخرجَ عليْهِمْ فرأَىٰ أنَّهُمْ قدْ عجبُوا مِنْ سرعتِهِ، قالَ: ذكرْتُ شيئًا مِنْ تِبرٍ، -أَيْ: قطعٍ مِنْ ذهبٍ أوْ فضَّةٍ- عندَنَا مِنَ

---

(١) أخرجه البزار برقم: (٢٠٣٣). قال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (٦/ ٣٢١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٣٢).



الصَّدقةِ، فكرهْتُ أنْ يحبسَنِي، فأمرْتُ بِقسمتِهِ»(١).

فاحرصْ أخِي المسلمَ علَىٰ البذلِ والإنفاقِ بالطَّيِّبِ فِي سبلِ الخيرِ فإنَّ الصَّدقةَ أمرُهَا عظيمٌ، وآثارُهَا حميدةٌ فِي الدُّنيَا والآخرةِ، قالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للصَّدقةِ والإحسانِ تأثيرٌ عجيبٌ فِي دفعِ البلاءِ ودفعِ العينِ وشرِّ الحاسدِ ولوْ لمْ يكنْ فِي هذَا إلَّا تجاربُ الأممِ قديمًا وحديثًا،... فالمحسنُ المتصدِّقُ فِي خفارةِ إحسانِهِ وصدقتِهِ، عليْهِ مِنَ اللهِ جُنَّةٌ واقيةٌ وحصنٌ حصينٌ»(٢).

اللَّهمَّ امنُنْ عليْنَا بغفرانِكَ، وعامِلْنَا بفضلِكَ وإحسانِكَ، واجعلْنَا مِنْ ورثةِ جنَّتِكَ ونجِّنَا مِنْ عذابِكَ ونقمتِكَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٦٣).
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٢-٢٤٣).



• الدَّرسُ الرَّابعَ عشرَ •

الأموالُ الَّتي تجبُ فِيهَا الزَّكاةُ

الحمدُ للهِ الَّذِي يمحُو الزَّلَلَ ويصفحُ، ويغفرُ الخطايَا، وكلُّ مَنْ لاذَ بِهِ أفلحَ، والصَّلاةُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ الَّذِي جادَ للهِ بنفسِهِ ومالِهِ وأبانَ الحقَّ وأوضحَ، وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ والتَّابعينَ لَهُمْ بإحسانٍ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا. **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ اعتادُوا أنْ يُخرِجُوا زكاةَ أموالِهِمْ فِي شهرِ رمضانَ طلبًا لشرفِ فضيلةِ الزَّمانِ.

ويحسنُ الحديثُ فِي هذِهِ الدُّروسِ عنْ أبرزِ مَا يحتاجُ إليْهِ مِنْ مسائلِ الزَّكاةِ، ونبدأُ الحديثَ بالأموالِ الَّتِي تجبُ فيهَا الزَّكاةُ، **وهِيَ أربعةُ أصنافٍ:**

- **الصِّنفُ الأوَّلُ:** الخارجُ مِنَ الأرضِ مِنَ الحبوبِ والثِّمارِ.
- **والصِّنفُ الثَّانِي:** السَّائمةُ مِنْ بهيمةِ الأنعامِ.
- **والصِّنفُ الثَّالثُ:** النَّقدانِ.

■**والصِّنفُ الرَّابعُ:** عروضُ التِّجارةِ.

□**أمَّا الصِّـــنفُ الأوَّلُ:** وهوَ الخارجُ مِنَ الأرضِ مِنَ الحبوبِ والثِّمارِ، فتجبُ الزَّكاةُ فِي كلِّ حبٍّ، وفِيمَا يُكالُ ويُدَّخرُ مِنَ الثِّمارِ.

والمقدارُ الواجبُ هوَ العُشرُ (أَيْ ١٠٪) فِيمَا يُسقَىٰ بغيرِ مؤونةٍ ولَا كُلفةٍ؛ كالَّذِي يُسْــقَىٰ بمياهِ الأمطارِ والأنهارِ والعيونِ ونحوِ ذلكَ، وأمَّا مَا يُسْــقَىٰ بمؤونةٍ وكُلفةٍ ففيهِ نصــفُ العشــرِ (أَيْ ٥٪)؛ كالَّذِي يُســقَىٰ بالمكائنِ الرَّافعةِ للماءِ ونحوِهَا.

□**والصِّـــنفُ الثَّانِي:** السَّــائمةُ مِنْ بهيمةِ الأنعامِ، وهيَ الإبلُ والبقرُ والغنمُ.

والمرادُ بالسَّــائمةِ: أَي الَّتِي ترعَىٰ العشــبَ والكلأَ أكثرَ السَّــنةِ، وعلَىٰ هذَا فالمعلوفةُ لَا زكاةَ فيهَا، فمنْ كانَ عندَهُ إبلٌ أوْ بقرٌ أوْ غنمٌ يشــترِي لهَا العلفَ فلَا زكاةَ فيهَا، وإنَّمَا تجبُ الزَّكاةُ فيهَا إذَا كانَتْ ترعَىٰ العشبَ والكلأَ أكثرَ السَّنةِ.

ويُستثنَىٰ مِنْ ذلكَ مَا إذَا كانَتْ هذهِ المواشِي مُعدَّةً للتِّجارةِ فتُزكَّىٰ زكاةَ عروضِ التِّجارةِ، وتفاصيلُ أحكامِ زكاتِهَا مذكورةٌ فِي كتبِ الفقهِ.

❑ **والصِّنفُ الثَّالثُ:** النَّقدانِ، وهمَا الذَّهبُ والفضَّةُ وفِي معناهُمَا فِي الوقتِ الحاضرِ: الأوراقُ النَّقديَّةُ مِنَ الرِّيالاتِ والدُّولاراتِ والجنيهاتِ وسائرِ العملاتِ النَّقديَّةِ، فتجبُ فيهَا الزَّكاةُ إذَا حالَ عليْهَا الحولُ وبلغَتْ نصابًا.

ولَا تجبُ الزَّكاةُ فيمَا سوَىٰ الذَّهبِ والفضَّةِ مِنَ المعادنِ كالألماسِ مثلًا وإنْ كانَ أغلَىٰ منْهُمَا إلَّا أنْ يكونَ معدًّا للتِّجارةِ فيُزكَّىٰ زكاةَ تجارةٍ.

ونصابُ الأوراقِ النَّقديَّةِ: هوَ أدنَىٰ النِّصابينِ مِنَ الذَّهبِ أوِ الفضَّةِ، وهوَ الَّذِي أقرَّهُ المجمعُ الفقهيُّ برابطةِ العالمِ الإسلاميِّ[١]، وهيئةُ كبارِ العلماءِ[٢]، والفضَّةُ فِي الوقتِ الحاضرِ أرخصُ مِنَ الذَّهبِ بكثيرٍ.

---

(١) قرار رقم: (٦)، الدورة رقم: (٥) في ٨-١٦/ ٤/ ١٤٠٢هـ. ينظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي (ص:١٠٣).
(٢) ينظر: أبحاث هيئة كبار العلماء (١/ ٩٣).

وعلَىٰ هذَا فنصــابُ الأوراقِ النَّقديَّةِ هوَ نصــابُ الفضَّــةِ، فننظرُ إلَىٰ سعرِ الجرامِ مِنَ الفضَّةِ ونضربُهُ فِي **٥٩٥** يخرجُ نصابُ الأوراقِ النَّقديَّةِ.

فمَنْ بلغَ مالُهُ نصــابًا فأكثرَ وحالَ عليْهِ الحولُ فيجبُ عليهِ أنْ يزكِّيَهُ، بغضِّ النَّظرِ عنِ الغرضِ الَّذِي ادَّخرَ هذَا المبلغَ لأجلِهِ حتَّىٰ لوِ ادَّخرَهُ لنفقــةٍ، أوْ لزواجٍ، أو لبنـاءِ مســكنٍ، أوْ لأيِّ غرضٍ مِنَ الأغراضِ.

ونذكرُ قاعدةً فِي كيفيَّةِ حســابِ زكاةِ الأوراقِ النَّقديَّةِ وهيَ أنَّ: أَيَّ مبلغٍ نقديٍّ اقســمْهُ علَىٰ أربعِينَ يخرجُ لكَ مقدارُ الزَّكاةِ، فمثلًا أربعةُ آلافٍ اقســمْهَا علَىٰ أربعِينَ **النَّاتجُ**: مئةٌ، وأربعُونَ ألفًا اقســمْهَا علَىٰ أربعِينَ **النَّاتجُ**: ألفٌ وهكذَا..

❐**والصِّــنفُ الرَّابعُ**: عروضُ التِّجارةِ، **والمقصــودُ بِهَا**: العروضُ الَّتِي أعدَّهَا الإنســانُ للتِّجارةِ، **أيْ**: يبيعُ ويشــتري فِيهَا بقصــدِ التَّربُّحِ، فيجبُ علَيْهِ أنْ يقيِّمَهَا عندَ نهايةِ الحولِ، ويخرجَ ربعَ عشــرِ قيمتِهَا، وهوَ اثنانِ ونصفٌ فِي المائةِ (٢,٥٪)، **ومنْ ذلكَ**: المحلَّاتُ التِّجاريَّةُ

بأنواعِهَا سـواءٌ كانَتْ محلَّاتِ أقمشـةٍ، أوْ آلاتٍ وأجهزةً، أوْ موادَّ غذائيَّةً، أوْ غيرَ ذلكَ، فيجبُ علَىٰ أصـحابِهَا أنْ يُقَيِّمُوهَا عندَ تمامِ الحولِ، بأنْ يَجْرُدُوهَا، كأنَّهُمْ يريدُونَ أنْ يبيعُوا البضـاعةَ الَّتِي فيهَا، ثمَّ يخرجُوا ربعَ عشرِ قيمتِهَا.

والزَّكاةُ إنَّما تجبُ فِي السِّـلعِ المعدَّةِ والمعروضـةِ للبيعِ، وأمَّا الأصولُ مِنَ البناءِ والرُّفوفِ والثَّلاجاتِ ونحوِهَا فلَا زكاةَ فِيهَا.

اللَّهُمَّ ارزقْنَا الفقهَ فِي الدِّينِ واجعلْنَا مِنْ عبادِكَ الصَّـالحِينَ واغفرْ لَنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسـلمِينَ الأحياءِ منْهُمْ والميِّتِينَ، وصـلَّىٰ اللهُ وسـلَّمَ وباركَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصـحبِهِ أجمعِينَ.



الدَّرسُ الخامسَ عشرَ

أصنافُ أهلِ الزَّكاةِ

الحمدُ للهِ معطِي الجزيلِ لمنْ أطاعَهُ، لَا رادَّ لقضائِهِ، ولَا معقِّبَ علَىٰ حكمِهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ مَنِ اجتبَاهُ واصطفاهُ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومنِ اهتدَىٰ بهدَاهُ، **أمَّا بعدُ:**

فيقولُ اللهُ تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[(١)].

فِي هذهِ الآيةِ الكريمةِ بَيَّنَ اللهُ تعالَىٰ مصارفَ الزَّكاةِ وأهلَهَا المستحقِّينَ لَهَا، وحَصَرَهَا فِي هؤلاءِ الأصنافِ الثَّمانيةِ وصَدَّرَ الآيةَ بأداةِ الحصرِ (إِنَّمَا)، وبَيَّنَ أنَّ صرفَهَا فيهِمْ فريضةٌ لازمةٌ وأنَّ هذهِ القسمةَ صادرةٌ عنْ علمِ اللهِ وحكمتِهِ.

---

(١) سورة التوبة (آية:٦٠).

وهؤلاءِ الأصنافُ:

❖**الصِّنفُ الأوَّلُ:** الفقراءُ، **والفقيرُ:** هوَ المُعْدَمُ الَّذِي ليسَ عندَهُ شيءٌ، أوْ عندَهُ دونَ نصفِ الكفايةِ.

❖**الصِّنفُ الثَّانِي:** المساكينُ، **والمسكينُ:** هوَ الَّذِي عندَهُ نصفُ الكفايةِ أوْ أكثرُهَا، وليسَ عندَهُ تمامُ الكفايةِ.

فالفقراءُ والمساكينُ: همُ المحتاجُونَ، لكنَّ الفقراءَ أشدُّ حاجةً مِنَ المساكينِ، وقدْ ذكرَ اللهُ تعالَىٰ المساكينَ فِي قصَّةِ موسَىٰ معَ الخضرِ وأنَّ لهُمْ سفينةً يعملُونَ عليْهَا، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾(١).

مثالُ ذلكَ: رجلٌ ليسَ عندَهُ شيءٌ، هذَا فقيرٌ، ومَنْ عندَهُ دخلٌ يكفِيهِ إلَىٰ عشرةٍ مِنَ الشَّهرِ هذَا فقيرٌ أيضًا، ومَنْ عندَهُ دخلٌ يكفِيهِ إلَىٰ منتصفِ الشَّهرِ هذَا مسكينٌ، ومَنْ عندَهُ دخلٌ يكفِيهِ إلَىٰ عشرينَ مِنَ الشَّهرِ لكنْ لَا يكفِيهِ إلَىٰ آخرِ الشَّهرِ هذَا مسكينٌ، ومَنْ عندَهُ دخلٌ يكفِيهِ إلَىٰ آخرِ الشَّهرِ فهذَا مكفيٌّ وليسَ بفقيرٍ ولَا مسكينٍ، ولَا تحلُّ لَهُ الزَّكاةُ، ومِنْ بابِ أولَىٰ إذَا كانَ يدَّخرُ شيئًا مِنْ دخلِهِ فلَا تحلُّ لَهُ الزَّكاةُ.

---

(١) سورة الكهف (آية:٧٩).



ولَا يلزمُ اليقينُ بحالةِ الفقيرِ أوِ المسكينِ، وإنَّمَا بمَا غلبَ علَىٰ الظَّنِّ مِنْ حالِهِ، ولكنْ مَنْ سأَلَ الزَّكاةَ ولمْ يظهرْ عليهِ غنًىٰ فيجوزُ إعطاؤُهُ مِنَ الزَّكاةِ، وينبغِي إخبارُهُ بأنَّهَا زكاةٌ وأنَّهَا لَا تحلُّ لغنيٍّ ولَا لقويٍّ مُكْتَسِبٍ، وقدْ أتَىٰ النَّبيَّ ﷺ رجلَانِ جلدَانِ يسألَانِهِ، فصعَّدَ النَّظرَ فيهِمَا، ثمَّ قالَ: «**إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ**»[(١)].

❖**الصِّنفُ الثَّالثُ: العاملُونَ عليْهَا**: وهمُ الَّذينَ ينصِّبُهم وليُّ الأمرِ لجبايةِ الزَّكاةِ مِنْ أهلِهَا وحفظِهَا وتصريفِهَا، فيُعطَوْنَ منْهَا بقدرِ عملِهِمْ وإنْ كانُوا أغنياءَ، وأمَّا وكلاءُ الأفرادِ مِنَ النَّاسِ فِي توزيعِ زكاتِهِمْ فليسُوا مِنَ العاملِينَ عليْهَا فلَا يستحقُّونَ منْهَا شيئًا مِنْ أجلِ وكالتِهِمْ فيهَا، وكذلكَ القائمونَ علَىٰ الجمعيَّاتِ الخيريَّةِ يُعتبرُونَ وكلاءَ وليسُوا مِنَ العاملِينَ عليْهَا.

❖**الصِّنفُ الرَّابعُ**: المؤلَّفةُ قلوبُهُمْ وهمْ مَنْ يُرجَىٰ بإعطائِهِمُ الزَّكاةَ إسلامُهُمْ أوْ تقويةُ إيمانِهِمْ، أوْ كفُّ شرِّهم عنِ المسلمِينَ،

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٦٣٣) وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٣٦١). قال أحمد بن حنبل: ما أجوده من حديث. التلخيص الحبير (٣/ ٢٣١).

ويُشــترَطُ فيمَنْ يُخشَــىٰ شــرُّهُ أنْ يكونَ ســيِّدًا فِي قومِهِ لهُ أتباعٌ وقوَّةٌ وشَوْكةٌ.

❖**الصِّــنفُ الخـامسُ: الرِّقـابُ وهمُ**: الأرقَّـاءُ المكـاتبُونَ الَّـذينَ اشــتَرَوْا أنفسَــهُمْ ليحرِّروها، ويجوزُ أنْ يُفتدَىٰ الأســيرُ المســلمُ مِنَ الزَّكاةِ؛ لدخولِهِ فِي عمومِ الرِّقابِ.

❖**الصِّنفُ السَّـادسُ: الغارمونَ**: وهمُ الَّذينَ لحقَتْهُمْ ديونٌ كثيرةٌ عجزُوا عنْ سـدادِها، ولَا بدَّ أنْ يكونَ الدَّينُ حالًّا وعجزَ عنْ سـدادِهِ بحيثُ إنَّ الدَّائنَ لوْ رفعَ فيهِ شكايةً لربَّمَا سُجِنَ بسببِ ذلكَ الدَّينِ.

أمَّا مَنْ عليهِ ديونٌ مؤجَّلةٌ أوْ مقسَّطةٌ أوْ عليهِ دينٌ حالٌّ وهوَ قادرٌ علَىٰ سدادِهِ فليسَ مِنَ الغارمِينَ المستحقِّينَ للزَّكاةِ.

وينبغِي العنايةُ بهذَا الصِّــنفِ، فكمْ مِنْ إنســانٍ مســجونٍ منقطعٍ عنْ أسـرتِهِ بسببِ ديونٍ ابتُلِيَ بهَا، فمَا أعظمَ أجرَ مَنْ تلمَّسَ حاجاتِ هؤلاءِ وقضَىٰ ديونَهُمْ.

❖ **الصِّــنفُ السَّــابعُ: فِي ســبيلِ اللهِ**: وهوَ الجهادُ فِي ســبيلِ اللهِ الَّذِي يُقصَدُ بِهِ أنْ تكونَ كلمةُ اللهِ هِيَ العليَا.

ويدخلُ فِي ذلكَ جهادُ الدَّعوةِ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ -وهوَ مَا أقرَّهُ المجمعُ الفقهيُّ برابطةِ العالمِ الإسلاميِّ(١)- فإنَّ جهادَ الدَّعوةِ هوَ الأصلُ بلْ لمْ يُشرَعْ جهادُ السِّلاحِ إلَّا لنشرِ الدَّعوةِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ، وعلَىٰ هذَا فيجوزُ دفعُ الزَّكاةِ لمراكزِ الدَّعوةِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ، لكنْ ينبغِي أنْ يقصِرَ صرفَ الزَّكاةِ فيمَا تمحَّضَ مِنْ أمورِ الدَّعوةِ كرواتبِ الدُّعاةِ ونحوِ ذلكَ، ولَا تُصرَفَ فِي الأمورِ غيرِ الأساسيَّةِ كالإعلاناتِ والمسابقاتِ ونحوِهَا.

❖ **الصِّنفُ الثَّامنُ: ابْنُ السَّبيلِ**: وهوَ المسافرُ الَّذِي انقطعَ بهِ السَّفرُ ونفدَ مَا فِي يدِهِ؛ فيعطَىٰ مِنَ الزَّكاةِ مَا يوصلُهُ إلَىٰ بلدِهِ وإنْ كانَ غنيًّا فيهَا ووجدَ مَنْ يُقرِضُهُ.

فعلَىٰ المسلمِ أنْ يتحرَّىٰ بزكاتِهِ المستحقِّينَ لهَا وهمْ هؤلاءِ الأصنافُ الثَّمانيةُ، ولَا تصرفُ لغيرِهِمْ، فلَا تصرفُ فِي بناءِ المساجدِ، ولَا فِي بناءِ المدارسِ، ولَا فِي حفرِ الآبارِ ونحوِ ذلكَ.

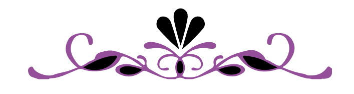
---

(١) قرار رقم: (٥)، الدورة (٩) في ١٢-١٩/ ٧/ ١٤٠٦هـ. ينظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي (ص:١٩٦).

وينبغِي للمسلمِ أنْ يتحرَّىٰ بزكاتِهِ المستحقِّينَ، ولَا يجاملُ بإعطائِهَا مَنْ لَا يستحقُّهَا، فإنَّ بعضَ النَّاسِ يكونُ لهُ أقاربُ أوْ معارفُ اعتادَ أنْ يعطيَهُمْ مِنْ زكاتِهِ، وتغيَّرَتْ أحوالُهُمْ بحيثُ أصبحُوا غيرَ مستحقِّينَ للزَّكاةِ، فلَا تبرأُ الذِّمَّةُ بإعطائِهِمْ مِنَ الزَّكاةِ معَ عدمِ استحقاقِهِمْ لَهَا.

ولَا يجوزُ لمنْ كانَ غيرَ مستحقٍّ للزَّكاةِ أنْ يأخذَ منهَا، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»(١).

اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ مِنَ الخيرِ كلِّه عاجلِهِ وآجلِهِ، مَا علمْنَا منْهُ ومَا لمْ نعلمْ، ونعوذُ بكَ مِنَ الشَّرِّ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ مَا علمْنَا منْهُ ومَا لمْ نعلَمْ، اللَّهمَّ اغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ، اللَّهمَّ صلِّ علَىٰ عبدِكَ ورسولِكَ محمَّدٍ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلِّمْ.



(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الدَّرسُ السَّادسَ عشرَ
مَا يكثرُ السُّؤالُ عنهُ مِنْ مسائلِ الزَّكاةِ

الحمدُ للهِ الَّذِي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ، وجعلَ كلَّ إنسانٍ ميسَّرًا لِمَا خُلِقَ لهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ مَنْ أوضحَ اللهُ بهِ سبيلَ الهدَىٰ ونوَّرَهُ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ البررةِ. **وبعدُ:**

فهذهِ أبرزُ مسائلِ الزَّكاةِ الَّتِي يكثرُ سؤالُ النَّاسِ عنْهَا:

١- زكاةُ الدَّخلِ الشَّهريِّ:

المرادُ بالدَّخلِ الشَّهريِّ: مَا يدخلُ علَىٰ الإنسانِ كلَّ شهرٍ مِنْ راتبٍ، أوْ تقاعدٍ، أوْ غيرِهِ، فإنْ كانَ الإنسانُ لَا يدَّخرُ منهُ شيئًا فليسَ عليْهِ زكاةٌ، أمَّا إذَا كانَ يدَّخرُ منْهُ وبلغَ المُدَّخَرُ نصابًا فأكثرَ، وحالَ عليْهِ الحولُ فيجبُ عليْهِ أنْ يزكِّيَهُ.

وهناكَ عدَّةُ طرقٍ لإخراجِ زكاتِهِ ومنْهَا: أنْ يطلبَ كشفَ حسابٍ بنكيٍّ، وينظرَ إلَىٰ أقلِّ رصيدٍ فِي السَّنةِ فيزكِّيَهُ، **ومنْهَا:** أنَّهُ يجعلُ لَهُ تاريخًا محدَّدًا فِي السَّنةِ كمنتصفِ شهرِ رمضانَ مثلًا، ويزكِّي فيهِ جميعَ رصيدِهِ، ناويًا تعجيلَ الزَّكاةِ فيمَا لمْ يَحُلْ عليهِ الحولُ، وبذلكَ

لَا ينظرُ إِلَىٰ زكاةِ رصيدِهِ إِلَّا مرَّةً واحدةً فِي السَّنةِ، وهذهِ الطَّريقةُ أسهلُ وأحوطُ وأضبطُ. وإِذَا أشكلَ علَىٰ الإنسانِ شيءٌ فِي مقدارِ الزَّكاةِ فإنَّهُ يحتاطُ، وينوِي أنَّ مَا زادَ علَىٰ الزَّكاةِ يكونُ صدقةً.

٢- زكاةُ الحليِّ:

الحليُّ المتَّخذُ للُّبسِ والزِّينةِ اختلفَ الفقهاءُ فِي حكمِ زكاتِهِ، فأكثرُ الفقهاءِ علَىٰ أنَّهُ لَا تجبُ فيهِ الزَّكاةُ وهوَ مذهبُ المالكيَّةِ والشَّافعيَّةِ والحنابلةِ(١)، وذهبَ الحنفيَّةُ إِلَىٰ وجوبِ الزَّكاةِ فيهِ(٢)، والرَّاجحُ قولُ الجمهورِ وهوَ أنَّهُ لَا تجبُ فيهِ الزَّكاةُ، لأنَّ الأحاديثَ المرويَّةَ فِي وجوبِ الزَّكاةِ فيهِ كلُّهَا ضعيفةٌ كمَا قالَ التِّرمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يصحُّ فِي هذَا البابِ عنِ النَّبيِّ ﷺ شيءٌ»(٣).

ولأنَّ قاعدةَ الشَّريعةِ أنَّهُ لَا تجبُ الزَّكاةُ فيمَا أُعِدَّ للاستعمالِ والقُنيةِ، كمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**»(٤)، فبيتُ الإنسانِ، وسيارتُهُ، وأوانِي البيتِ وأثاثُهُ، وكلُّ مَا كانَ مُعدًّا للاستعمالِ لَا زكاةَ فيهِ، وهكذَا الحليُّ لَا زكاةَ فيهِ، ولأنَّ

---

(١) ينظر: الإشراف علىٰ نكت مسائل الخلاف (١/ ٤٠٠)، والمجموع (٦/ ٦)، والمغني (٣/ ٤١).
(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ١٩٢)، والاختيار لتعليل المختار (١/ ١١٠).
(٣) سنن الترمذي (٣/ ٢١).
(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٣)، ومسلم برقم: (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

القولَ بعدمِ وجوبِ الزَّكاةِ فِي الحليِّ المعدِّ للُّبسِ والزِّينةِ هوَ المأثورُ عنْ أكثرِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣- زكاةُ الأسهمِ:

تختلفُ زكاةُ الأسهمِ باختلافِ حالِ المساهِمِ: إنْ كانَ المساهِمُ مستثمرًا **أَيْ**: أنَّهُ لَا يبيعُ ولَا يشتري فيهَا، إنَّمَا اكتتبَ فيهَا وتركَهَا، أوِ اشتراَهَا وتركَهَا، أوْ أنَّهُ كانَ يبيعُ ويشتري فيهَا ثمَّ تركَ ذلكَ، فإنْ كانَتِ الشَّركةُ المساهَمُ فيهَا فِي المملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ فلَا زكاةَ عليْهِ باعتبارِ أنَّ الشَّركاتِ المساهمةَ فِي المملكةِ تخرجُ الزَّكواتِ عنِ المساهِمينَ، والمالُ لَا يُزكَّىٰ مرَّتينِ. أمَّا إنْ كانَتِ الشَّركةُ خارجَ المملكةِ ولَا تخرجُ الزَّكاةَ عنِ المساهِمينَ فعلَىٰ المساهِمِ إخراجُ زكاتِهَا بضربِ عددِ الأسهمِ الَّتِي يمتلكُهَا فِي مقدارِ الوعاءِ الزَّكويِّ للسَّهمِ، أمَّا إنْ كانَ المساهمُ متاجرًا (مضاربًا) **أَيْ**: يبيعُ ويشتري فيهَا فيجبُ عليْهِ زكاةُ جميعِ الأسهمِ الَّتِي عندَهُ، وذلكَ بأنْ ينظرَ للقيمةِ السُّوقيَّةِ للمحفظةِ وقتَ تمامِ الحولِ ويخرجَ ربعَ عشرِ قيمتِهَا.

٤- زكاةُ الأراضِي:

زكاةُ الأراضِــي تتأثَّرُ بنيَّةِ المالكِ؛ فإنْ كانَ المالكُ للأرضِ يريدُ بهَا التِّجارةَ، والتَّربُّحَ والتَّكسُّــبَ إمَّا فِي الحالِ أوْ فِي المســتقبلِ فهذهِ مِنْ عروضِ التِّجارةِ، فيجبُ عليْهِ أنْ يُقَيِّمَهَا عندَ تمامِ الحولِ ويخرجَ ربعَ عشرِ قيمتِهَا (أَيْ: ٢,٥٪).

أمَّا إذَا كانَ لَا يريدُ بهَا التِّجارةَ، وإنَّمَا يريدُ أنْ يبنيَ عليْهَا مســكنًا، أوِ اســتراحةً، أوْ عقارًا لتأجيرِهِ ونحوَ ذلكَ، أوْ أنَّ نيَّتَهُ غيرُ جازمةٍ فهوَ متردِّدٌ تارَةً بينَ أنْ يبنيَ عليْهَا، أوْ أنْ يبيعَهَا فهذهِ الأرضُ لَا زكاةَ فيهَا.

٥- زكاةُ الدُّيونِ:

إذَا كانَ علَىٰ الإنســانِ ديونٌ فإنْ كانتِ الدُّيونُ مؤجَّلةً فلَا أثرَ لَهَا علَىٰ الزَّكاةِ، أمَّا إنْ كانَتِ الدُّيونُ حالَّةً فيُخصَمُ مِنَ المالِ الَّذِي تجبُ فيهِ الزَّكاةُ مَا يقابلُ هذهِ الدُّيونَ.

مثالُ ذلكَ: رجلٌ عليْهِ دينٌ حالٌّ بمقدارِ عشــرةِ آلافِ ريالٍ، والمالُ الَّذِي حالَ عليْهِ الحولُ عندَهُ مائةُ ألفٍ، فيخصــمُ العشــرةَ آلافٍ مِنَ المئةِ ألفٍ، أَي أنَّهُ يزكِّي تسعينَ ألفَ ريالٍ.

أمَّا الدُّيونُ الَّتِي للإنسانِ فِي ذممِ الآخرينَ فإذَا كانَ المدِينُ مليئًا باذلًا بحيثُ إذَا طُلِبَ منْهُ السَّدادُ قامَ بذلكَ فيجبُ علَىٰ الدَّائنِ زكاةُ هذَا الدَّينِ، أمَّا إذَا كانَ المدينُ معسرًا أوْ مماطلًا فلَا تجبُ الزَّكاةُ فِي هذَا الدَّينِ.

٦- دفعُ الزَّكاةِ للعمَّالِ والخدمِ:

دفعُ الزَّكاةِ للعمَّالِ والخدمِ ونحوِهم يجوزُ ذلكَ بثلاثةِ شروطٍ:

■**الشَّرطُ الأوَّلُ:** أنْ يكونُوا مستحقِّينَ للزَّكاةِ؛ بأنْ يكونُوا مِنَ الفقراءِ أوِ المساكينِ أوِ الغارمينَ مثلًا.

■**الشَّرطُ الثَّانِي:** ألَّا يُرْبَطَ بينَ الزَّكاةِ والعملِ؛ فلَا يعطِيهِ مِنَ الزَّكاةِ لأجلِ أنْ يجوِّدَ العملَ، وإنَّما يعطِيهِ مِنَ الزَّكاةِ كمَا يعطِي غيرَهُ.

■**الشَّرطُ الثَّالثُ:** ألَّا يُتْبِعَ ذلكَ بمنَّةٍ ولَا أذىً؛ فإنَّ بعضَ النَّاسِ إذَا أعطَىٰ الخادمَ أوِ السَّائقَ بدأَ يمتنُّ عليْهِ، والمِنَّةُ تُبطلُ الأجرَ كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[1].

---

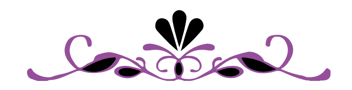
(١) سورة البقرة (آية:٢٦٤).

٧- زكاةُ أموالِ اليتامَى وذوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ:

أَيُّ مالٍ يبلغُ نصابًا وحالَ عليْهِ الحولُ وجبَتْ فيهِ الزَّكاةُ بغضِّ النَّظرِ عنِ المالِكِ، سواءٌ كانَ صاحبُ المالِ يتيمًا، أوْ مِنْ ذوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ، أوْ غيرِهِمْ.

ووليُّ اليتيمِ ونحوُهُ ينبغِي لهُ أنْ يستثمرَ أموالَ اليتامَىٰ فِي مجالاتِ استثمارٍ قليلةِ المخاطرِ حتَّىٰ لَا تأكُلُهَا الزَّكاةُ؛ لأَنَّهُ إذَا بقيَ كلَّ سنةٍ يزكِّي سوفَ تنقصُ أموالُهُمْ، ولذَا كانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقولُ: «اتَّجرُوا فِي أموالِ اليتامَىٰ لَا تأكُلُهَا الزَّكاةُ»[1].

اللَّهمَّ اغفرْ لنَا مَا قدَّمْنَا ومَا أخرْنَا، ومَا أسرَرْنَا ومَا أعلَنَّا، ومَا أنتَ أعلمُ بهِ منَّا، اللَّهمَّ اغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمِينَ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٥١) برقم: (١٢).

الدَّرسُ السَّابعَ عشَرَ

غزوةُ بدرٍ

الحمدُ للهِ القويِّ المتينِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ المنصورِ ببدرٍ بالملائكةِ المُنْزَلِينَ، وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ والتَّابعينَ لهُمْ بإحسانٍ إلَىٰ يومِ الدِّينِ، **أمَّا بعدُ:**

فشهرُ رمضانَ شهرُ القرآنِ والفرقانِ، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾(١).

وفِي شهرِ رمضانَ فرقانٌ مِنْ نوعٍ آخرَ، فرقانٌ بينَ الحقِّ والباطلِ، إنَّهُ فرقانُ بدرٍ، المعركةُ الكبرَىٰ، ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾(٢).

هذهِ الغزوةُ الفاصلةُ فِي تاريخِ الإسلامِ والمسلمينَ، قدْ تضمَّنَتْ دروسًا وعِبَرًا كثيرةً للأمَّةِ علَىٰ مرِّ الأجيالِ، وقدْ وقعَتْ هذهِ الغزوةُ فِي السَّابعَ عشرَ مِنْ شهرِ رمضانَ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ مِنَ الهجرةِ، جمعَ اللهُ تعالَىٰ بينَ المسلمينَ وبينَ عدوِّهم مِنْ غيرِ ميعادٍ.

---

(١) سورة البقرة (آية:١٨٥).

(٢) سورة الأنفال (آية:٤١).

وذلكَ أنَّ رســولَ اللهِ ﷺ بلغَهُ خبرُ العِيرِ المُقْبِلَةِ مِنَ الشَّــامِ لقريشٍ، فندبَ النَّاسَ للخروجِ إليْهَا، واســتطاعَ قائدُ تلكَ العِيرِ أَبُو سفيانَ النَّجاةَ بهَا، ولكنَّ قريشًــا أصرَّتْ علَىٰ الخروجِ لقتالِ رسـولِ اللهِ ﷺ، بطرًا ورئاءَ النَّاسِ، وصدًّا عنْ سبيلِ اللهِ، حتَّىٰ قالَ أَبُو جهلٍ: واللهِ لَا نرجعُ حتَّىٰ نبلغَ بدرًا ونقيمَ فيهِ ثلاثًا، ننحرُ الجزورَ، ونطعمُ الطَّعامَ، ونسقِي الخمرَ، وتسمعُ بنَا العربُ فلَا يزالونَ يهابُونَنَا أبدًا.

وأعلمَ النَّبيُّ ﷺ أصــحابَهُ أنَّ اللهَ وعدَهُ إحدَىٰ الطَّائفتَيْنِ، إمَّا العِيرَ وإمَّا قريشًــا، أَيْ: إمَّا الغنيمةَ والحصــولَ علَىٰ العِيرِ مِنْ دونِ قتالٍ، وإمَّا النَّصرَ علَىٰ قريشٍ.

واستشـارَ النَّبيُّ ﷺ أصـحابَهُ، وكانَ كثيرًا مَا يستشيرُهُمْ، امتثالًا لأمرِ ربِّهِ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[1]، معَ أنَّهُ ﷺ أصوبُ النَّاسِ عقلًا، وأعظمُهُمْ بصـيرةً، ولكنَّهُ يريدُ أنْ تتأسَّــىٰ بهِ الأمَّةُ فِي الاســتشــارةِ، ولـمَّا اســتشــارَ النَّبيُّ ﷺ أصــحابَهُ، قامَ المقدادُ بنُ عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقالَ: يَا رســولَ اللهِ، امضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فنحنُ معكَ، واللهِ لَا نقولُ لكَ كمَا قالَتْ بنُو إســرائيلَ لِموسَــىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ

(١) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

إنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[١]، فوالذِي بعثَكَ بالحقِّ لوْ سرْتَ بِنَا إلَىٰ بَرْكِ الغِمادِ[٢] لجالدْنَا معكَ مِنْ دونِهِ حتَّىٰ تبلغَهُ.

ثمَّ قالَ ﷺ: أشيرُوا عليَّ أيُّهَا النَّاسُ، وإنَّمَا يريدُ الأنصارَ، ففهمَتِ الأنصارُ أنَّهُ يعنِيهِمْ، وذلكَ لأنَّهُمْ إنَّمَا بايعُوهُ علَىٰ أنْ يمنعُوهُ وينصرُوهُ فِي ديارِهِمْ، فاستشارَهُمْ ليعلمَ مَا عندَهُمْ، فقامَ سعدُ بنُ معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالَ: واللهِ لكأنَّكَ يَا رسولَ اللهِ تريدُنَا. قالَ: أجلْ. فقالَ سعدٌ: إنِّي لأقولُ عنِ الأنصارِ: صلْ حبلَ مَنْ شئْتَ واقطعْ حبلَ مَنْ شئْتَ وخذْ مِنْ أموالِنَا مَا شئْتَ، ومَا أخذْتَ منَّا كانَ أحبَّ إليْنَا ممَّا تركْتَ، ومَا أمرْتَنَا فيهِ مِنْ أمرٍ فأمرُنَا فيهِ تبعٌ لأمرِكَ، فامضِ يَا رسولَ اللهِ لِمَا أردْتَ فنحنُ معكَ، فوَالَّذِي بعثَكَ بالحقِّ لوِ استعرضْتَ بنَا هذَا البحرَ لخضنَاهُ معكَ، ما تخلَّفَ منَّا واحدٌ، ومَا نكرهُ أنْ نلقَىٰ عدوَّنَا غدًا، إنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولعلَّ اللهَ يرِيكَ منَّا مَا تقرُّ بهِ عينُكَ[٣].

---

(١) سورة المائدة (آية:٢٤).

(٢) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن.
ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٩٩).

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦١٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤).

فَسُرَّ رسولُ اللهِ ﷺ، وكانَ إِذَا سُرَّ استنارَ وجهُهُ كأنَّهُ بدرٌ، وقالَ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ إِلَىٰ مَصَارِعِ الْقَوْمِ**»، وسارَ رسولُ اللهِ ﷺ بأصحابِهِ إِلَىٰ الموقعِ، واختارَ المكانَ الأصلحَ بعدَ الاستشارةِ، فلمَّا طلعَ المشركونَ، وتراءَا الجمعانِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشُ جَاءَتْ بِفَخْرِهَا وَخُيَلَائِهَا وَخَيْلِهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ نَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ انْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدْ**».

ومَا زالَ رسولُ اللهِ ﷺ يستغيثُ ويتضرَّعُ طوالَ اللَّيلِ، حتَّىٰ إنَّ الجميعَ فِي تلكَ اللَّيلةِ -ليلةِ بدرٍ- كانَ نائمًا، إلَّا رسولَ اللهِ ﷺ قائمٌ يدعُو ربَّهُ، ويستغيثُ ويتضرَّعُ، ويلحُّ علَىٰ اللهِ فِي الدُّعاءِ، حتَّىٰ سقطَ رداؤُهُ مِنْ علَىٰ منكبِهِ، فأخذَ أبُو بكرٍ رداءَهُ، ووضعَهُ علَىٰ منكبِهِ، وقالَ: «يَا رسولَ اللهِ، كفاكَ مناشدَتَكَ لربِّكَ، إنَّ ربَّكَ سينجزُ لكَ مَا وعدَكَ»، فأغفَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ إغفاءةً، ثمَّ خرجَ وهوَ يقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ

ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[١]، وأخذَ كفةً مِنَ الحصباءِ، فرمَىٰ بهِ وجوهَ الأعداءِ، وقالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فلمْ تتركْ رجلًا منْهُمْ إلَّا ملأَتْ عينَيْهِ، وشغلُوا فِي التُّرابِ فِي أعينِهِمْ، وشغلُوا المسلمونَ بقتلِهِمْ، ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[٢]، وسارَ إبليسُ برايتِهِ وجنودِهِ معَ المشركينَ، وألقَىٰ فِي قلوبِ المشركينَ أنَّهُ لنْ يغلبَكُمْ أحدٌ، وإنِّي جارٌ لكُمْ، فلمَّا التقَوْا ونظرَ الشَّيطانُ إلَىٰ إمدادِ اللهِ بالملائكةِ نكصَ علَىٰ عقبيْهِ، وقالَ: إنِّي بريءٌ منْكُمْ إنِّي أرَىٰ مَا لَا ترونَ.

ووعظَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ، وحثَّهم علَىٰ القتالِ بكلماتٍ معدوداتٍ، فقالَ: «**قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، فقامَ عميرُ بنُ حمامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكانَ فِي يدِهِ تمراتٌ يأكلُ منهنَّ، وقالَ: يَا رسولَ اللهِ جنَّةٌ عرضُهَا السَّمواتُ والأرضُ، إنَّها لحياةٌ طويلةٌ، لئنْ بقِيتُ حتَّىٰ آكلَ هذهِ التَّمراتِ، فألقَىٰ التَّمراتِ الَّتِي فِي يدِهِ، وقاتلَ معَ المسلمينَ، حتَّىٰ قُتِلَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣].

---

(١) سورة القمر (آية:٤٥).

(٢) سورة الأنفال (آية:١٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٩٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ونصرَ اللهُ أولياءَهُ، وهُزِمَ المشركونَ، فقُتِلَ منْهُمْ سبعونَ، وأُسِرَ منْهُمْ سبعونَ، وقُتِلَ أبرزُ صنادِيدِهِمْ.

ونصــرَ اللهُ عبدَهُ وأعزَّ جندَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

ودخلَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ مُؤيَّدًا منصورًا، قدْ خافَهُ كلُّ عدوٍّ، وأســلمَ بشــرٌ كثيرونَ مِنْ أهلِ المدينةِ، فكانَتْ تلكَ الغزوةُ فاتحةَ خيرٍ، ونصرًا عظيمًا للإسلامِ والمسلمِينَ.

اللَّهمَّ انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واجعلْنَا مِنْ أنصارِ دينِكَ وثبِّتْنَا عليْهِ إلَىٰ أنْ نلقَاكَ يَا ربَّ العالمينَ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمِينَ، وصلَّى اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) سورة آل عمران (آية:١٢٣).

الدَّرسُ الثَّامنَ عشرَ

للصَّائمِ عندَ فطرِهِ دعوةٌ لَا تُرَدُّ

الحمدُ للهِ الَّذي وعدَ مَنْ أطاعَهُ بنعيمِ الجنانِ، وتوعَّدَ مَنْ عصَاهُ بجحيمِ النِّيرانِ، والصَّلاةُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ المبعوثِ إلَىٰ كافَّةِ الإنسِ والجانِّ، وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ أهلِ الفضلِ والعرفانِ، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، **أمَّا بعدُ:**

فيقولُ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[(١)].

هذهِ الآيةُ فِي الدُّعاءِ، وجاءَ ترتيبُها فِي المصحفِ بينَ آياتِ الصِّيامِ، فالآيةُ الَّتِي قبلَهَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[(٢)]، والآيةُ الَّتِي بعدَهَا: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[(٣)].

---

(١) سورة البقرة (آية:١٨٦).
(٢) سورة البقرة (آية:١٨٥).
(٣) سورة البقرة (آية:١٨٧).

ووقوعُ آيةِ الدُّعاءِ بينَ آياتِ الصِّيامِ فيهِ إشارةٌ إلَىٰ أنَّ الدُّعاءَ فِي شهرِ رمضانَ حريٌّ بالإجابةِ، وأنَّهُ ينبغِي للمسلمِ أنْ يكثرَ مِنَ الدُّعاءِ فِي شهرِ رمضانَ، فالدُّعاءُ فِي شهرِ رمضانَ خاصَّةً عندَ الإفطارِ حريٌّ بالإجابةِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً لَا تُرَدُّ**»(١).

فينبغِي للصَّائمِ أنْ يحرصَ علَىٰ الدُّعاءِ عندَ الإفطارِ، فيدعُوَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بمَا يحضرُهُ مِنْ خيرَيِ الدُّنيَا والآخرةِ. ولمْ يثبتْ دعاءٌ معيَّنٌ يقالُ عندَ الإفطارِ، وإنَّما يتخيَّرُ الصَّائمُ مِنَ الدُّعاءِ مَا أعجبَهُ.

أمَّا حديثُ: «اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» فحديثٌ ضعيفٌ(٢)، وقدْ ثبتَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذَا أفطرَ قالَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (١٧٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وصححه البوصيري فقال: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» مصباح الزجاجة (٢/ ٨١).

(٢) قال ابن حجر: «رواه الطبراني في الكبير والدارقطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف» التلخيص الحبير (٢/ ٣٨٩). وقال الهيثمي: «فيه عبد الملك بن هارون، وهو ضعيف» مجمع الزوائد (٣/ ١٥٦).



اللهُ»(١)، ولكنَّ هذَا إنَّما يقولُهُ مَنْ ظمِئَ بالفعلِ، أمَّا مَنْ لمْ يظمأْ فإنَّهُ لَا يقولُ: ذهبَ الظَّمأُ، وإنَّما يدعُو اللهَ تعالَىٰ بمَا يتيسَّرُ.

وقولُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ**»، قولُهُ: «عندَ» يقتضِي أنْ يكونَ هذَا الدُّعاءُ قبيلَ الإفطارِ؛ لأنَّ العنديَّةَ المذكورةَ فِي الحديثِ تقتضِي القربَ، ولذَا جاءَ فِي بعضِ الرِّواياتِ: «للصَّائمِ حينَ فطرِهِ»(٢)، ثمَّ إنَّ اللَّحظاتِ الَّتي تسبقُ الإفطارَ يجتمعُ فِيهَا كونُهُ صائمًا معَ انكسارِ النَّفسِ والذُّلِّ للهِ عَزَّوَجَلَّ، فالدُّعاءُ فِي هذهِ الحالِ حريٌّ بالإجابةِ. فينبغِي للصَّائِمِ قبيلَ الإفطارِ بدقائقَ أنْ يستقبلَ القبلةَ، رافعًا يديْهِ، يدعُو اللهَ تعالَىٰ بمَا يحضرُهُ مِنْ خيرَيِ الدُّنيَا والآخرةِ.

وينبغِي أنْ يحرصَ فِي دعائِهِ علَىٰ الأدعيةِ المأثورةِ، ومنْهَا: أنْ يسألَ اللهَ الجنَّةَ ويستعيذَ باللهِ مِنَ النَّارِ، فقدْ جاءَ فِي حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ**

---

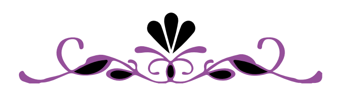
(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٥٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الدارقطني في السنن برقم: (٢٢٧٩)، وقال الحاكم: «حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين». المستدرك برقم: (١٥٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»(١).

وهذَا الدُّعاءُ ينبغِي للمسلمِ أنْ يحرصَ عليهِ كلَّ يومٍ، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ لرجلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قالَ: أتشهَّدُ ثمَّ أقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ وأعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ، أمَا إنِّي لَا أحسنُ دندنتَكَ ولَا دندنةَ معاذٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»(٢). أَيْ: أنَّ كلَّ أدعيتِنَا تدورُ حولَ هذَا الدُّعاءِ العظيمِ.

اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ الجنَّةَ ونعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ الجنَّةَ ونعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ الجنَّةَ ونعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



(١) أخرجه أحمد برقم: (١٣٧٥٥)، والنسائي برقم: (٥٥٢١)، وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (١٠١٤).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٥٨٩٨)، وأبو داود برقم: (٧٩٢)، وابن ماجه برقم: (٩١٠)، وصححه النووي في خلاصة الأحكام برقم: (١٤٥٠).

• الدَّرسُ التَّاسعَ عشرَ •

فتحُ مكَّةَ

الحمدُ للهِ وحدَهُ أعزَّ جندَه ونصـرَ عبدَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ أفضلِ رسلِهِ نبيِّنَا محمَّدٍ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ، **أمَّا بعدُ:**

ففِي التَّاسعَ عشرَ فِي مثلِ هذَا الشَّهرِ مِنَ السَّنةِ الثَّامنةِ للهجرةِ كانَ فتحُ مكَّةَ، البلدِ الأمينِ، الفتحُ الأعظمُ الَّذِي أعزَّ اللهُ بهِ دينَهُ ورسولَهُ وجندَهُ، وهوَ الفتحُ الَّذِي دخلَ النَّاسُ بهِ فِي دينِ اللهِ أفواجًا، وأشرقَ بهِ وجهُ الأرضِ ضياءً وابتهاجًا(١).

وسببُ هذَا الفتحِ: أنَّه لَمَّا تمَّ الصُّلحُ بينَ النَّبيِّ ﷺ وبينَ قريشٍ فِي الحديبيةِ فِي السَّنةِ السَّادسةِ كانَ مَنْ أحبَّ أنْ يدخلَ فِي عهدِ النَّبيِّ ﷺ فعلَ، ومنْ أحبَّ أنْ يدخلَ فِي عهدِ قريشٍ فعلَ، فدخلَتْ خزاعةُ فِي عهدِ النَّبيِّ ﷺ ودخلَتْ بنُو بكرٍ فِي عهدِ قريشٍ، وكانَ بينَ

(١) ينظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤٧).

القبيلتينِ دماءٌ فِي الجاهليَّةِ فانتهزَتْ بنُو بكرٍ هذهِ الهدنةَ فأغارَتْ علَىٰ خزاعةَ وهمْ آمنونَ، وأعانَتْ قريشٌ حلفاءَهَا بنِي بكرٍ بالرِّجالِ والسِّلاحِ سرًّا علَىٰ خزاعةَ حلفاءِ النَّبيِّ ﷺ، فقدمَ جماعةٌ منْهُمْ إلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فأخبرُوهُ بمَا صنعَتْ بنُو بكرٍ وإعانةِ قريشٍ لهَا.

أمَّا قريشٌ فسقطَ فِي أيدِيهِمْ ورأَوْا أنَّهُمْ بفعلِهِمْ هذَا نقضُوا عهدَهم، فأرسلُوا زعيمَهم أبَا سفيانَ إلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ليشدَّ العقدَ ويزيدَ فِي المدَّةِ، فكلَّمَ النَّبيَّ ﷺ فِي ذلكَ، فلمْ يردَّ عليهِ، ثمَّ كلَّمَ أبَا بكرٍ وعمرَ ليشفَعَا لهُ إلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فلَمْ يفلحْ، ثمَّ كلَّمَ عليَّ بنَ أبِي طالبٍ فلمْ يفلحْ أيضًا.

وأمَّا النَّبيُّ ﷺ فقدْ أمرَ أصحابَهُ بالتَّجهُّزِ للقتالِ، وأخبرَهم بمَا يريدُ واستنفرَ مَنْ حولَهُ مِنَ القبائلِ وقالَ: «**اللَّهُمَّ خُذِ الْأَخْبَارَ وَالْعُيُونَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ نَبْغَتَهَا فِي بِلَادِهَا**»، ثمَّ خرجَ مِنَ المدينةِ بنحوِ عشرةِ آلافِ مقاتلٍ.

وأمرَ النَّبيُّ ﷺ العبَّاسَ أنْ يوقفَ أبَا سفيانَ بمضيقِ الوادِي عندَ خطمِ الجبلِ حتَّىٰ يمرَّ بهِ المسلمونَ، فمرَّتْ بهِ القبائلُ علَىٰ راياتِها مَا تمرُّ بهِ قبيلةٌ إلَّا سألَ عنْهَا العبَّاسَ فيخبرُهُ فيقولُ: ما لِي ولَهَا حتَّىٰ أقبلَتْ كتيبةٌ لمْ يرَ مثلُهَا فقالَ: مَنْ هذهِ؟ قالَ العبَّاسُ: هؤلاءِ الأنصارُ عليْهِمْ سعدُ بنُ عبادةَ معَهُ الرَّايةُ فلمَّا حاذَاهُ سعدٌ قالَ: أبَا سفيانَ، اليومُ يومُ المَلْحَمَةِ، اليومُ تُسْتَحَلُّ الكعبةُ. فلمَّا مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بأبِي سفيانَ أخبرَهُ بمَا قالَ سعدٌ فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنَّ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَىٰ فِيهِ الْكَعْبَةُ**»[١]. ثمَّ أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تؤخذَ الرَّايةُ مِنْ سعدٍ وتُدفعَ إلَىٰ ابنِهِ قيسٍ ورَأَىٰ أنَّهَا لمْ تخرجْ عنْ سعدٍ خروجًا كاملًا إذْ صارَتْ إلَىٰ ابنِهِ.

ثمَّ مضَىٰ ﷺ وأمرَ أنْ تركزَ رايتُهُ بالحُجُونِ ثمَّ دخلَ مكَّةَ فاتحًا مؤزرًا منصورًا، قدْ طأطأَ رأسَهُ تواضعًا للهِ عَزَّوَجَلَّ، حتَّىٰ إنَّ جبهتَهُ لتكادُ تمسُّ رَحْلَهُ، وهوَ يقرأُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٢]، ويرجِّعُهَا.

---

(١) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٨)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٥٥١).
(٢) سورة الفتح (آية:١).

ثمَّ مضَــىٰ رســـولُ اللهِ ﷺ حتَّىٰ دخلَ المســـجدَ الحرامَ، وكانَ حولَ الكعبةِ ثلاثُمائةٍ وستُّونَ صنمًا، فجعلَ يطعنُها بقوسٍ معَهُ، وهوَ يقولُ: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾[١]، ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٢]، والأصـــنامُ تتســـاقطُ علَىٰ وجوهِهَا.

ثمَّ دخلَ الكعبةَ فإذَا بهَا صورٌ، فأمرَ بهَا فمُحيَتْ، ثمَّ صلَّىٰ فيهَا، فلمَّا فرغَ دارَ فيهَا وكبَّرَ فِي نواحِيهَا، ووحَّدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ وقفَ علَىٰ بابِ الكعبةِ، وقريشٌ تحتَهُ ينتظرُونَ ماذَا يفعلُ! فأخذَ بعضـــادَتَيِ البابِ، وقالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ صَـــدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَـــرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثمَّ قالَ: «يَا مَعْشَـــرَ قُرَيْشٍ، مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ»، قالُوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قالَ: «فَإِنِّي

---

(١) سورة الإسراء (آية:٨١).
(٢) سورة سبإ (آية:٤٩).

أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ، ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(١)، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»(٢).

لمْ يستغلَّ لحظةَ النَّصرِ هذهِ فِي الانتقامِ ممَّنْ آذاهُ أشدَّ الأذىٰ سنينَ طويلةً، وإنَّما أعلنَ العفوَ والصَّفحَ عنْهُمْ. هذهِ هِيَ أخلاقُ الأنبياءِ، هذهِ هِيَ أخلاقُ العظماءِ، فصلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ.

وبهذَا الفتحِ المبينِ تمَّ نصرُ اللهِ، ودخلَ النَّاسُ فِي دينِ اللهِ أفواجًا، وأصبحَتْ مكَّةُ بلدًا إسلاميًّا، حلَّ فيهَا التَّوحيدُ عنِ الشِّركِ، والإيمانُ عنِ الكفرِ، وصارَتِ الدَّولةُ للمسلمينَ، واندحرَ الشِّركُ وأهلُهُ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾(٣).

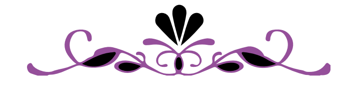
---

(١) سورة يوسف (آية:٩٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ برقم: (١٨٢٧٥، ١٨٢٧٦).

(٣) سورة النصر (الآيات:١-٣).

اللَّهمَّ أعزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وأذلَّ الشِّركَ والمشركينَ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمِينَ الأحياءِ منْهُمْ والميِّتِينَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.





الدَّرسُ العشرونَ

فضلُ العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ

الحمدُ للهِ الَّذِي جعلَ شهرَ رمضانَ موسمًا للتِّجارةِ معَ اللهِ بالأعمالِ الصَّالحاتِ، يقبلُ التَّوبةَ مِنْ عبادِهِ ويعفُو عنِ السَّيِّئاتِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ رسولِهِ خيرِ مَنْ جدَّ وقامَ، وأزكَىٰ مَنْ صلَّىٰ وصامَ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ البررةِ الكرامِ، **أمَّا بعدُ:**

فهَا هوَ قدْ مضَىٰ مِنْ هذَا الشَّهرِ المباركِ الثُّلثانِ، ومَا بقيَ إلَّا الثُّلثُ، ومَا تبقَّىٰ خيرٌ ممَّا مضَىٰ، ونستقبلُ موسمًا عظيمًا موسمَ ليالِي العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ الَّتِي شرَّفَها اللهُ بأنْ جعلَ فيهَا ليلةً خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، هذهِ اللَّيالِي الَّتِي هِيَ أفضلُ ليالِي السَّنةِ علَىٰ الإطلاقِ.

فالأعمالُ الصَّالحةُ فِي هذهِ العشرِ أجورُهَا مضاعفةٌ وثوابُهَا جزيلٌ، فهيَ واللهِ غنيمةٌ عظيمةٌ لمنْ وفَّقَهُ اللهُ، فالغنائمَ الغنائمَ قبلَ الفواتِ، والعزائمَ العزائمَ قبلَ النَّدمِ والحسراتِ.

هذهِ العشــرُ المباركةُ قدْ أطلَّتْ علينَا تســتحثُّ هممَ المتَّقينَ وتســتنهضُ عزمَ العابدينَ، هذهِ العشــرُ المباركةُ اختصَّــها اللهُ تعالَىٰ بالفضائلِ والأجورِ الكثيرةِ، والخيراتِ الوفيرةِ، ومنْهَا:

- أنَّ النَّبيَّ ﷺ كـانَ يجتهـدُ بـالعمـلِ فيهَـا أكثرَ مِنْ غيرِهَـا، فعنْ عائشــةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْــرُ شَــدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»[١]. وقولُهَـا: «شَـــدَّ مِئْزَرَهُ» **المرادُ بذلكَ**: الاجتهادُ فِي العباداتِ زيادةً علَىٰ عادتِهِ ﷺ، وقيلَ: هوَ كنايةٌ عنِ اعتزالِ النِّساءِ للاشتغالِ بالعباداتِ[٢].

وقالَتْ أيضًا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»[٣].

وعنْهَا قالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِطُ الْعِشْـرِينَ بِصَـلَاةٍ وَنَوْمٍ، فَإِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ شَمَّرَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٢٤)، ومسلم برقم: (١١٧٤).
(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٨/ ٧١).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٧٥).
(٤) أخرجه أحمد برقم: (٢٥١٣٦).

▪ **ومِنْ خصائصِهَا:** أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذَا دخلَتِ العشرُ اعتكفَ فِي مسجدِهِ مجتهدًا فِي عبادةِ ربِّهِ متحريًا ليلةَ القدرِ، أَي أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذَا دخلَتِ العشرُ انقطعَ عنِ الدُّنيَا، وعنِ النَّاسِ، وتفرَّغَ للعبادةِ تفرُّغًا تامًّا معَ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قائدُ دولةِ الإسلامِ ومفتِي الأنامِ وهوَ النَّبيُّ والمرشدُ والموجِّهُ للأمَّةِ، ومعَ ذلكَ إذَا دخلَتْ هذهِ العشرُ المباركةُ اعتزلَ النَّاسَ واعتكفَ فِي المسجدِ منقطعًا لعبادةِ ربِّهِ.

وإنَّمَا كانَ النَّبيُّ ﷺ يعتكفُ فِي هذهِ العشرِ؛ طلبًا لليلةٍ عظيمةٍ وهيَ ليلةُ القدرِ الَّتِي العملُ فيهَا خيرٌ مِنَ العملِ فِي ألفِ شهرٍ.

فينبغِي لنَا أنْ نقتديَ برسولِ اللهِ ﷺ، وأنْ نتفرَّغَ للعبادةِ فِي هذهِ العشرِ المباركةِ، وفِي هذَا الموسمِ العظيمِ، أوْ علَىٰ الأقلِّ نتخفَّفُ مِنْ مشاغلِ الدُّنيَا الَّتِي لَا تنقضِي.

▪ **ومنْ خصائصِهَا:** أنَّ فيهَا ليلةَ القدرِ الَّتِي هِيَ خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ، فاعرفُوا رحمَكُمُ اللهُ لهذهِ العشرِ فضلَهَا ولَا تضيعُوهَا، فوقتُهَا ثمينٌ وخيرُهَا ظاهرٌ مبينٌ[١].

---

(١) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين (ص ١٥٨).

وممَّا يدلُّ علَى فضيلةِ هذهِ العشرِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يوقظُ فيهَا أهلَهُ للصَّلاةِ والذِّكرِ حرصًا علَىٰ اغتنامِ هذهِ اللَّيالِي المباركةِ بمَا هِيَ جديرةٌ بهِ مِنَ العبادةِ، فإنَّهَا فرصةُ العمرِ وغنيمةٌ لمنْ وفَّقَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فلَا يليقُ بالعاقلِ أنْ يفوِّتَ هذهِ الفرصةَ الثَّمينةَ علَىٰ نفسِهِ.

فينبغِي للمسلمِ أنْ يجتهدَ فِي هذهِ اللَّيالِي المباركةِ حتَّىٰ يدركَ ليلةَ القدرِ، وينبغِي أنْ يقومَ معَ الإمامِ جميعَ هذهِ اللَّيالِي حتَّىٰ يُكْتَبَ لهُ قيامُ ليلةٍ، وإذَا كُتِبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ فيكونُ قدْ وافقَ قيامَ ليلةِ القدرِ، وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

وإنَّ ممَّا يُؤْسَفُ لَهُ غفلةَ بعضِ المسلمينَ عنْ مثلِ هذهِ المواسمِ الفاضلةِ وانشغالَهُمْ بأمورٍ يمكنُ تأجيلُها أوْ قضاؤُها فِي وقتٍ آخرَ، وإذَا أردْتَ البرهانَ لذلكَ فانظرْ إلَىٰ ازدحامِ الأسواقِ وكثرةِ النَّاسِ فيهَا فِي هذهِ اللَّيالِي الفاضلةِ المباركةِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٥)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فينبغِي للمســـلمِ أنْ يغتنمَ هذهِ اللَّيالِيَ المباركةَ لعلَّهُ أنْ يدركَ ليلةَ القدرِ، ولعلَّهُ أنْ يدركَ نفحةً مِنْ نفحاتِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ فيكتبَ اللهُ تعالَىٰ لهُ بسببِهَا سعادةَ الدُّنيَا والآخرةِ.

وأفضـلُ الأعمالِ الَّتِي تَفعلُ فِي هذهِ اللَّيالِي المباركةِ: الصَّـلاةُ: فقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يحيِي هذهِ اللَّيالِيَ المباركةَ أوْ أكثرَهَا بالصَّلاةِ.

ومنَ الأعمـالِ الَّتِي ينبغِي الحرصُ عليْهَـا فِي هـذهِ العشـرِ المباركةِ: الإكثارُ مِنَ الدُّعاءِ، فإنَّ الدُّعاءَ حريٌّ بالإجابةِ، ولهذَا جاءَتْ آيةُ الدُّعاءِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، بينَ آياتِ الصِّيامِ، وفِي هذَا إشـارةٌ إلَىٰ أنَّهُ ينبغِي للصَّائمِ أنْ يكثرَ مِنَ الدُّعاءِ فِي شهرِ الصِّيامِ ولَا سيَّمَا فِي هذهِ العشرِ المباركةِ.

وممَّا يُشـرَعُ فِي هذهِ العشـرِ: الاعتكافُ فإذَا تيسَّـرَ للمسـلمِ أنْ يعتكفَ هذهِ العشـرَ المباركةَ فهذِهِ هِيَ السُّـنَّةُ، وهذَا هوَ هديُ النَّبيِّ ﷺ، وإذَا لمْ يتيسَّـــرْ لهُ ذلكَ فلَا أقلَّ مِنْ أنْ يعتكفَ فِي اللَّيالِي الَّتِي تُرجَىٰ فيهَا ليلةُ القدرِ.

---

(١) سورة البقرة (آية:١٨٦).



أيُّهَا الإخوةُ: ليالِي العشـرِ ليالٍ مباركةٌ فهيَ أُنْسُ المجتهدينَ، وريـاضُ المتهجِّدينَ، وقُرَّةُ عيونِ المتعبِّدينَ، يُشـمِّرُ فيهَا للعبادةِ المتَّقونَ، ويتنافَسُ فِي فضـائلِهَا المتنافسـونَ، ويتعرَّضـونَ فيهَا لنفحاتِ الرَّبِّ الكريمِ، أحيُوا هذهِ اللَّياليَ بقلوبٍ خاشـعةٍ، واطلبُوا سلعةَ اللهِ الغاليةَ.

اللَّهمَّ باركْ لنَا فِي هذهِ اللَّيالِي العشـرِ، ووفِّقْنَا فيهَا لليلةِ القدرِ، واجعلْنَا ممَّنْ يفوزُ فيهَا بجزيلِ الثَّوابِ وعظيمِ الأجرِ، وصـلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



• الدَّرسُ الحادِي والعشرونَ •

الاعتكافُ وأحكامُهُ

الحمدُ للهِ المتفرِّدِ بالجلالِ والبقاءِ، والعظمةِ والكبرياءِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ رسولِهِ محمَّدٍ وعلَىٰ أصحابِهِ النُّبلاءِ، **وبعدُ:**

فقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يعتكفُ فِي العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ إِلَىٰ أنْ توفَّاهُ اللهُ، ففِي الصَّحيحينِ عنْ عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالَتْ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ»(١).

والاعتكافُ مِنَ الشَّرائعِ القديمةِ الموجودةِ عندَ الأممِ السَّابقةِ، ويدلُّ لذلكَ قولُ اللهِ تعالَىٰ لإبراهيمَ: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٢)، فهذَا يدلُّ علَىٰ أنَّ الاعتكافَ موجودٌ منذُ زمنِ إبراهيمَ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وفِي

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٢٦)، ومسلم برقم: (١١٧٢).
(٢) سورة البقرة (آية:١٢٥).



الصَّـحيحينِ عنْ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: يَا رسـولَ اللهِ، إنِّي نذرْتُ فِي الجاهليَّةِ أنْ أعتكفَ ليلةً فِي المسـجدِ الحرامِ، قالَ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**»(١)، وهذَا دليلٌ علَىٰ أنَّ الاعتكافَ كانَ معروفًا قبلَ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ.

وفِيمَا يأتِي نُبذةٌ موجزةٌ عنْ أبرزِ أحكامِ الاعتكافِ.

الاعتكافُ لغةً: لزومُ الشَّيءِ.

واصطلاحًا: لزومُ المسجدِ لطاعةِ اللهِ تعالَىٰ. ويُسمَّىٰ جِوارًا كمَا جاءَ ذلكَ فِي بعضِ الأحاديثِ(٢).

وأجمعَ العلماءُ علَىٰ مشروعيَّتِهِ، وهوَ مشروعٌ فِي حقِّ الرِّجالِ، وكذلكَ فِي حقِّ النِّسـاءِ عندَ أمنِ الفتنةِ، فقدْ كانَ أزواجُ النَّبيِّ ﷺ يعتكفْنَ معَهُ فِي مسجدِهِ.

وأفضلُ أوقاتِ الاعتكافِ: العشرُ الأواخرُ مِنْ رمضانَ؛ لأنَّ اللهَ تعالَىٰ ذكرَ الاعتكافَ فِي آخرِ آياتِ الصِّيامِ، وهذَا فيهِ إشارةٌ إلَىٰ أنَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٦٥٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٢٨)، ومسلم برقم: (٢٩٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان النبي ﷺ يصغي إلي رأسه وهو مجاور في المسجد».

ينبغِي أنْ يكونَ الاعتكافُ فِي آخرِ شهرِ الصِّيامِ؛ ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ مِنْ رمضانَ.

والحكمةُ مِنَ الاعتكافِ: الانقطاعُ عنِ الدُّنيَا، والتَّفرُّغُ للعبادةِ طلبًا لليلةِ القدرِ؛ لأنَّ الإنسانَ وهوَ فِي مشاغلِ الحياةِ قدْ يقسُو قلبُهُ ويغفلُ ويذهلُ، فهوَ بحاجةٍ إلَىٰ وقتٍ ينقطعُ فيهِ عنْ أشغالِ الدُّنيَا الَّتِي لَا تنقضِي وأنْ يتفرَّغَ فيهِ للعبادةِ ويلتمسَ فيهِ ليلةَ القدرِ.

قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشرعَ لَهُمُ الاعتكافَ الَّذِي مقصودُهُ وروحُهُ عكوفُ القلبِ علَىٰ اللهِ تعالَىٰ، وجَمْعِيَّتُهُ علَيْهِ، والخَلوةُ بِهِ، والانقطاعُ عنِ الاشتغالِ بالخلقِ، والاشتغالُ بهِ وحدَهُ سبحانَهُ»(١).

ولَا حدَّ لأقلِّ الاعتكافِ، بلْ يصحُّ كلُّ مَا يُسمَّىٰ اعتكافًا عرفًا ولوْ لساعاتٍ، وبناءً علَىٰ ذلكَ إذَا لمْ يتيسَّرْ لكَ أنْ تعتكفَ فِي جميعِ العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ فيمكنُ أنْ تعتكفَ فِي بعضِ اللَّيالِي الَّتِي تُرجَىٰ فيهَا ليلةُ القدرِ.

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٨٣).

ويشترطُ لصحَّةِ الاعتكافِ:

١- أنْ يكونَ فِي مسجدٍ، فلَا يصحَّ أنْ يكونَ فِي غيرِ المسجدِ، ويصحُّ فِي جميعِ المساجدِ حتَّىٰ فِي غيرِ الجوامعِ، فيصحُّ فِي المسجدِ الَّذِي لَا تقامُ فيهِ الجمعةُ وإذَا أتَىٰ وقتُ الجمعةِ يخرجُ المعتكفُ إلَىٰ المسجدِ الجامعِ ثمَّ يعودُ إلَىٰ معتكَفِهِ.

وبناءً علَىٰ ذلكَ لَا يصحُّ أنْ تعتكفَ المرأةُ فِي بيتِهَا، فإذَا أرادَتِ المرأةُ أنْ تعتكفَ لَا بدَّ أنْ تعتكفَ فِي مسجدٍ مِنَ المساجدِ.

وأمَّا ساحةُ المسجدِ: فقدْ ذكرَ الفقهاءُ أنَّ رحبَتَهُ المحوطةَ بسورِهِ تأخذُ حكمَهُ، فيجوزُ الاعتكافُ فيهَا، أمَّا رحبتُهُ غيرُ المحوطةِ بسورِهِ فليسَتْ منْهُ ولَا يصحُّ الاعتكافُ فِيهَا.

٢- المكثُ واللُّبثُ فِي المسجدِ، وينافِيهِ الخروجُ منهُ.

والخروجُ منْهُ بالنِّسبةِ للمعتكِفِ لهُ ثلاثةُ أحوالٍ:

❖**الحالُ الأولَى:** أنْ يكونَ خروجًا لِمَا لَا بدَّ منْهُ، كقضاءِ الحاجةِ، أوْ إحضارِ الطَّعامِ، فهذَا جائزٌ ولَا يقطعُ الاعتكافَ باتِّفاقِ العلماءِ.

❖**الحالُ الثَّانيةُ:** أنْ يكونَ خروجًا لِمَا لهُ منْهُ بُدٌّ، كعيادةِ المريضِ، وشهودِ الجنازةِ، فليسَ لهُ ذلكَ.

وقالَ بعضُ أهلِ العلمِ: إلَّا إذَا اشترطَ، ولكنَّ القولَ بالاشتراطِ محلُّ نظرٍ، لأنَّهُ ليسَ عليْهِ دليلٌ ولمْ يُؤثَرْ عنْ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، وهذَا هوَ مذهبُ المالكيَّةِ وقولٌ عندَ الحنابلةِ، والأقربُ -واللهُ أعلمُ-: أنَّهُ إذَا أرادَ أنْ يخرجَ لعيادةِ المريضِ وحضورِ الجنازةِ فإذَا كانَ هذَا المريضُ أوِ الميِّتُ لهُ عليْهِ حقٌّ متأكدٌ كأبيهِ، أوْ أمِّهِ، ونحوِهمَا، فلَهُ الخروجُ، أمَّا إذَا لمْ يكنْ لهُ عليْهِ حقٌّ متأكِّدٌ فليسَ لهُ الخروجُ.

❖**الحالُ الثَّالثةُ:** أنْ يكونَ الخروجُ لِمَا لَا يحتاجُ إليهِ، وليسَ مطلوبًا شرعًا كالأمورِ الدُّنيويَّةِ، فهذَا يبطلُ الاعتكافَ، وعلَىٰ هذَا مَنْ كانَ موظَّفًا فخروجُهُ لوظيفتِهِ يقطعُ الاعتكافَ، لكنْ بإمكانِهِ أنْ يعتكفَ بعضَ اللَّيالِي، **أيْ:** أنَّهُ يعتكفُ فِي اللَّيلِ أمَّا فِي النَّهارِ فيخرجُ لوظيفتِهِ وبهذَا ينتهِي اعتكافُهُ، وفِي اللَّيلةِ الثَّانيةِ يعتكفُ مرَّةً أخرَىٰ مِنْ جديدٍ وهكذَا.

ويبطلُ الاعتكافُ بأمرينِ:

١- الخروجُ مِنَ المسجدِ.

٢- الجماعُ ومقدِّماتِهِ؛ لقولِ اللهِ سبحانَهُ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾[1]، فهذَا فيهِ إشارةٌ إلَىٰ أنَّ الجماعَ ومقدماتِهِ يُبطلُ الاعتكافَ.

وينبغِي للمعتكفِ أنْ يشتغلَ بمَا هوَ طاعةٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وأعظمُ مَا يُشتغلُ بهِ فِي ليالِي العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ: الصَّلاةُ، وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يقومُ هذهِ اللَّيالِيَ.

وعلَىٰ المعتكفِ أنْ يبتعدَ عمَّا يشغلُهُ عنِ العبادةِ، ومنْ ذلكَ الانشغالُ بوسائلِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ، أوِ المكالماتِ الهاتفيَّةِ، أوْ كثرةُ السَّوالِيفِ معَ مَنْ يكونُ معَهُ فِي المسجدِ ونحوُ ذلكَ.

ومنَ المسائلِ الَّتِي يكثرُ السُّؤالُ عنْهَا: حكمُ طلبِ المعتكفِ الطَّعامَ مِنَ المطعمِ عنْ طريقِ الهاتفِ أوِ التَّطبيقِ داخلَ المسجدِ، **والجوابُ:** أنَّ هذَا لَا يعتبرُ بيعًا ولَا شراءً ولَا بأسَ بهِ داخلَ المسجدِ؛

---

(١) سورة البقرة (آية:١٨٧).



لأنَّ هذَا مجرَّدُ طلبٍ، فهوَ يطلبُ طعامًا مِنَ المطعمِ ولمْ يعقدْ عقدَ الشِّراءِ بعدُ، بدليلِ أنَّ هذَا الطَّلبَ غيرُ لازمٍ، ولوْ أرادَ ألغَاهُ، ولوْ أرادَ صاحبُ المطعمِ ألغَاهُ كذلكَ، ولوْ كانَ عقدًا لازمًا لمْ يكنْ لهُ الحقُّ فِي إلغائِهِ؛ لأنَّ البيعَ عقدٌ لازمٌ، وكلُّ هذهِ وعودٌ، ولَا يترتَّبُ عليْهَا آثارُ عقدِ البيعِ، ثمَّ إذَا وصلَ مندوبُ المطعمِ إلَىٰ المسجدِ يخرجُ لهُ المعتكفُ، ويبرمُ العقدَ بالإيجابِ والقبولِ، ويكونُ ذلكَ خارجَ المسجدِ عندَمَا يريدُ أنْ يستلمَ الطَّلبَ ويُسلِّمَ لهُ المبلغَ.

لكنْ يوجدُ تطبيقاتٌ يكونُ الدَّفعُ فيهَا مقدَّمًا معَ عدمِ إمكانيَّةِ استردادِ المبلغِ فهذَا يكونُ بيعًا وعندَ الطَّلبِ عبرَ التَّطبيقِ يكونُ خارجَ المسجدِ.

اللَّهمَّ وفِّقْنَا لِمَا تحبُّ وترضَىٰ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



الدَّرسُ الثَّانِي والعشرونَ

ليلةُ القدرِ

الحمدُ للهِ الَّذِي مَنَّ علينَا بمواسمِ الخيراتِ ومَا تفضَّلَ بهِ مِنْ جزيلِ العطايَا والهباتِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ محمَّدٍ أفضلِ البريَّاتِ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ تبعَهُمْ بإحسانٍ مَا دامتِ الأرضُ والسَّمواتُ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، **أمَّا بعدُ:**

ففِي هذهِ العشرِ المباركةِ ليلةُ القدرِ الَّتِي شرَّفَهَا الله علَىٰ غيرِهَا، ومنَّ بهَا علَىٰ هذهِ الأمَّةِ، وخصَّهَا بالذِّكرِ فِي كتابِهِ الكريمِ، فقالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[1]، فوصفَهَا بأنَّهَا مباركةٌ لكثرةِ خيرِهَا وبركتِهَا وفضلِهَا.

ومنْ بركتِهَا: أنَّ هذَا القرآنَ المباركَ أُنْزِلَ فيهَا، ووصفُهَا بأنَّهُ يُفْرَقُ فيهَا كلُّ أمرٍ حكيمٍ، **أَيْ:** يُفَصَّلُ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ إِلَىٰ الصُّحفِ الَّتِي

---

(١) سورة الدخان (آية:٣-٦).

بأيدِي الملائكةِ الكتبةِ مَا هوَ كائنٌ مِنْ أمرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي تلكَ السَّنةِ مِنَ الأرزاقِ والآجالِ والخيرِ والشَّرِّ وغيرِ ذلكَ مِنْ كلِّ أمرٍ حكيمٍ مِنْ أوامرِ اللهِ تعالَىٰ المحكمةِ المتقنةِ الَّتِي ليسَ فيهَا خللٌ ولَا نقصٌ ولَا باطلٌ.

وقالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[١].

فبيَّنَ سبحانَهُ أنَّ هذَا القرآنَ نزلَ فِي ليلةِ القدرِ، ونزولُ القرآنِ المرادُ بِهِ ابتداءُ نزولِهِ، فقدْ كانَ ابتداءُ نزولِهِ فِي ليلةِ القدرِ، وإلَّا فإنَّ القرآنَ نزلَ مُنجَّمًا علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ ﷺ فِي ثلاثٍ وعشرينَ سنةً، وقيلَ: إنَّ المرادَ نزولُهُ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ إلَىٰ بيتِ العزَّةِ فِي السَّماءِ الدُّنيَا، والأوَّلُ أظهرُ.

والقدرُ بمعنَىٰ الشَّرفِ والتَّعظيمِ أوْ بمعنَىٰ التَّقديرِ والقضاءِ؛ لأنَّ ليلةَ القدرِ ليلةٌ شريفةٌ يقدِّرُ اللهُ تعالَىٰ فيهَا مَا يكونُ فِي السَّنةِ ويقضِيهِ مِنْ أمورِهِ الحكيمةِ المحكمةِ.

---

(١) سورة القدر: (آية:١-٥).

وقولُهُ سبحانَهُ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ استفهامٌ للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ، هِيَ ليلةٌ عظيمةٌ شريفةٌ مهيبةٌ.

وقولُهُ سبحانَهُ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ أَيْ: فِي الفضلِ والشَّرفِ وكثرةِ الثَّوابِ والأجرِ، ولهذَا مَنْ قامَهَا إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لهُ مَا تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ.

وقولُهُ سبحانَهُ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أَيْ: أنَّ الملائكةَ تنزلُ إِلَىٰ الأرضِ فِي تلكَ اللَّيلةِ الشَّريفةِ بالخيرِ والبركةِ والرَّحمةِ، ﴿وَٱلرُّوحُ ﴾ وهوَ جبريلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وخصَّهُ بالذِّكرِ لشرفِهِ وفضلِهِ، تتنزَّلُ الملائكةُ لترَىٰ عبادةَ المؤمنينَ.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أَيْ: أنَّ ليلةَ القدرِ سلامٌ للمؤمنينَ مِنْ كلِّ مخوفٍ لكثرةِ مَنْ يُعْتَقُ فيهَا مِنَ النَّارِ ويسلمُ مِنْ عذابِهَا، ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أَيْ: أنَّ ليلةَ القدرِ تبتدئُ مِنْ غروبِ الشَّمسِ وتنتهِي بطلوعِ الفجرِ لانتهاءِ عملِ اللَّيلِ بهِ.

فِفِي هذهِ السُّورةِ فضائلُ متعدِّدةٌ لليلةِ القدرِ:

❖**الفضيلةُ الأولَى:** أنَّ اللهَ تعالَىٰ أنزلَ فيهَا القرآنَ الَّذِي بهِ هدايةُ البشرِ وسعادتُهُمْ فِي الدُّنيَا والآخرةِ.

❖**الفضيلةُ الثَّانيةُ:** مَا يدلُّ عليهِ الاستفهامُ مِنَ التَّفخيمِ والتَّعظيمِ فِي قولِهِ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

❖**الفضيلةُ الثَّالثةُ:** أنَّها خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ.

❖**الفضيلةُ الرَّابعةُ:** أنَّ الملائكةَ تتنزَّلُ فيهَا وهمْ لَا يتنزلُّونَ إلَّا بالخيرِ والبركةِ والرَّحمةِ.

❖**الفضيلةُ الخامسةُ:** أنَّها سلامٌ لكثرةِ السَّلامةِ فِيهَا مِنَ العقابِ والعذابِ بمَا يقومُ بهِ العبدُ مِنْ طاعةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❖**الفضيلةُ السَّادسةُ:** أنَّ اللهَ أنزلَ فِي فضلِها سورةً كاملةً تُتْلَىٰ إلَىٰ يومِ قيامِ السَّاعةِ.

ومنْ فضائلِ ليلةِ القدرِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٥)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فقولُهُ: (إيمانًا) أَيْ: إيمانًا باللهِ وبمَا أعدَّ مِنَ الثَّوابِ للقائمينَ فيهَا.

وقولُهُ: (احتسابًا) أَيْ: طلبًا للأجرِ والثَّوابِ.

وليلةُ القدرِ فِي العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ، وعلَىٰ المسلمِ أنْ يجتهدَ فِي جميعِ ليالِي العشرِ، فإنَّهُ إذَا اجتهدَ فِي جميعِ اللَّيالِي أدركَ ليلةَ القدرِ لَا محالةَ.

ومنَ المسائلِ الَّتي يكثرُ السُّؤالُ عنْهَا: هلْ ليلةُ القدرِ ثابتةٌ فِي ليلةٍ معيَّنةٍ أمْ أنَّها تتنقَّلُ؟ فمنْ أهلِ العلمِ مَنْ قالَ: إنَّها تتنقَّلُ فتكونُ فِي سنةٍ ليلةَ إحدَىٰ وعشرينَ، وفِي سنةٍ ليلةَ سبعٍ وعشرينَ، وفِي سنةٍ ليلةَ تسعٍ وعشرينَ، وذهبَ أكثرُ العلماءِ إلَىٰ أنَّ ليلةَ القدرِ ثابتةٌ فِي ليلةٍ معيَّنةٍ، وأنَّها لَا تتنقَّلُ، وهذَا هوَ الرَّاجحُ؛ لأنَّ ليلةَ القدرِ إنَّما اكتسبَتْ شرفَهَا وفضلَهَا بنزولِ القرآنِ فيهَا ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، والقولُ بالتَّنقُّلِ ينافِي هذَا المعنَىٰ. أرأيْتَ يومَ عاشوراءَ اكتسبَ شرفَهُ؛ لأنَّهُ يوافقُ اليومَ العاشرَ

مِنْ شهرِ محرَّمٍ، وهوَ اليومُ الَّذِي نجَّىٰ اللهُ فيهِ موسَىٰ، فلَا يمكنُ أنْ يتنقلَ، وهكذَا بالنِّسبةِ أيضًا لليلةِ القدرِ اكتسبَتْ شرفَهَا بنزولِ القرآنِ فيهَا فلَا يمكنُ أنْ تتنقَّلَ؛ لأنَّ القرآنَ نزلَ فِي ليلةٍ واحدةٍ، وممَّا يدلُّ لهذَا القولِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُريَ هذهِ اللَّيلةَ ثمَّ أُنسيَهَا(١)، ولوْ كانَتْ تتنقلُ لكانَ لَمَّا أُنْسِيَهَا فِي ذلكَ العامِ أُخبرَ بهَا فِي العامِ الَّذِي بعدَهُ وفِي الأعوامِ المقبلةِ، فهذَا دليلٌ علَىٰ أنَّهَا لَا تتنقَّلُ.

أيُّهَا الإخوةُ: إنَّ العملَ الصَّالحَ فِي ليلةِ القدرِ خيرٌ مِنَ العملِ فِي ألفِ شهرٍ، وألفُ شهرٍ تعادلُ ثلاثًا وثمانينَ سنةً وأربعةَ أشهرٍ، فمنْ وُفِّقَ للعملِ فِي هذهِ اللَّيلةِ فقدْ وُفِّقَ لخيرٍ عظيمٍ، عَمَلٌ فِي ليلةٍ هِيَ سُويعاتٌ خيرٌ مِنَ العملِ فِي ألفِ شهرٍ، فمنْ وُفِّقَ لليلةِ القدرِ فكأنَّمَا أضافَ لعمرِهِ عمرًا مديدًا.

وقدْ ذُكِرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُرِيَ أعمارَ الأممِ السَّابقةِ فوجدَ أنَّها طويلةٌ، وأنَّهم يعيشونَ مئاتَ السِّنينِ، ونوحٌ لبثَ فِي قومِه ألفَ سنةٍ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠١٦)، ومسلم برقم: (١١٦٧) من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بلفظ: «وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، في كل وتر».

إلَّا خمسينَ عامًا، وأمَّا أعمارُ أمَّتِه فمتوسِّطُ أعمارِهم مَا بينَ السِّتِّينَ إلَىٰ السَّبعينَ، فكأنَّهُ تقاصرَ أعمارَ أمَّتِه، فأُعطِيَ وأمَّتَه هذهِ اللَّيلةَ... سويعاتٌ يعملونَ فيهَا أعمالًا صالحةً يكونُ العملُ فيهَا خيرًا مِنَ العملِ فِي ألفِ شهرٍ.

اللَّهمَّ وفِّقْنا لليلةِ القدرِ، واجعلْنَا ممَّنْ يفوزُ فيهَا بجزيلِ الثَّوابِ وعظيمِ الأجرِ، اللَّهمَّ اجعلْنَا ممَّنْ يقومُ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



الدَّرسُ الثَّالثُ والعشرونَ

الدُّعاءُ فضلُهُ وآدابُهُ

الحمدُ للهِ سميعِ الدُّعاءِ مجزلِ الثَّوابِ لمنْ أطاعَهُ والعطاءِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ أفضلِ الأنبياءِ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ الشُّرفاءِ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ الدُّعاءَ مِنْ أعظمِ العباداتِ، بلْ قدْ وردَ فِي الحديثِ الصَّحيحِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١). وورَدَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ علَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**»(٢)، وقدْ أخبرَ ربُّنَا بأنَّهُ قريبٌ لمنْ دعاهُ فقالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٣)، وقدْ وقعَتْ هذهِ الآيةُ بينَ آياتِ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٤٧٨)، والترمذي برقم: (٢٩٦٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم: (٣٨٢٨)، وابن حبان برقم: (٥١٣)، والحاكم في المستدرك برقم: (١٨٠٢)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٧١٢)، والترمذي برقم: (٣٣٧٠)، وابن ماجه برقم: (٣٨٢٩)، وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٨٧٠).

(٣) سورة البقرة (الآية: ١٨٦).

الصِّيامِ، ولعلَّ السِّرَّ فِي ذلكَ -واللهُ أعلمُ- أنَّ فيه إشارةً إِلَىٰ أنَّ الدُّعاءَ فِي هذَا الشَّهرِ المباركِ حريٌّ بالإجابةِ.

وهذهِ الآيةُ نزلَتْ لَمَّا أتَىٰ أناسٌ وسألُوا النَّبيَّ ﷺ، فقالُوا لَهُ: يَا رسولَ اللهِ! أَرَبُّنَا قريبٌ فنناجِيهِ، أمْ بعيدٌ فننادِيهِ؟ فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذهِ الآيةَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾(١).

وتأملْ قولَ اللهِ تعالَىٰ: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، ولمْ يقلْ: فقلْ لهُمْ إنِّي قريبٌ، معَ أنَّ عامَّةَ الآياتِ الَّتِي فيهَا السُّؤالُ يأتِي الجوابُ بِـ: قلْ، إشارةً إِلَىٰ قربِ الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ مِنَ الدَّاعِي.

وقولُهُ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، أَي أنَّ اللهَ تعالَىٰ يجيبُ دعاءَ العبدِ إذَا دعاهُ، وتحققَّتِ الشُّروطُ، وانتفَتِ الموانعُ كمَا قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢).

وممَّا يدلُّ علَىٰ فضلِ الدُّعاءِ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يُدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ**

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٢٣).
(٢) سورة غافر (الآية: ٦٠).

عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قالُوا: إذًا نكثرُ، قالَ: «اللهُ أَكْثَرُ»[(١)]، فقدْ قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلُّ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لهُ، لكنْ تتنوَّعُ الإجابةُ، فتارةً تقعُ بعينِ مَا دعَا بِهِ، وتارةً بعِوَضِهِ»[(٢)]، وعلَىٰ هذَا فإجابةُ الدُّعاءِ أعمُّ مِنْ قضاءِ الحاجاتِ.

وللدعاءِ آدابٌ مِنْ أبرزِهَا:

١-**الإخلاصُ للهِ سبحانَهُ**، قالَ تعالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾[(٣)]، فهذَا الإخلاصُ الَّذِي صحبَ دعوةَ المضطرِّ كانَ سببًا لإجابةِ الدُّعاءِ معَ وجودِ المانعِ وهوَ الشِّركُ، فهؤلاءِ مشركونَ ومعَ ذلكَ أخلصُوا للهِ فِي دعائِهِمْ بسببِ الاضطرارِ، فاستجابَ اللهُ لهُمْ.

والمظلومُ تستجابُ دعوتُهُ؛ لأنَّهُ يدعُو اللهَ بإخلاصٍ وحرارةٍ بسببِ الظُّلمِ الَّذِي وقعَ عليْهِ؛ كمَا قالَ ﷺ: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (١١١٣٣) بسند صحيح.
(٢) فتح الباري (١١/ ٩٥).
(٣) سورة العنكبوت (الآية: ٦٥).
(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٤٢٥)، ومسلم برقم: (١٩) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



٢-تقديمُ الدَّاعِي بينَ يديْ دعائِهِ الثَّناءَ علَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ الصَّلاةَ علَىٰ رسولِهِ ﷺ، وقدْ علَّمَنَا وأَدَّبَنَا ربُّنَا سبحانَهُ بهذَا الأدبِ فِي سورةِ الفاتحةِ، فإنَّ سورةَ الفاتحةِ ابتدأَتْ بالثَّناءِ علَىٰ اللهِ سبحانَهُ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يأتِي الدُّعاءُ العظيمُ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[١].

ولمَّا سمعَ النَّبيُّ ﷺ رجلًا يدعُو ولمْ يحمدِ اللهَ ولمْ يُصلِّ علَىٰ رسولِهِ، قالَ: «عَجِلَ هَذَا»[٢].

٣-التَّضرُّعُ، قالَ تعالَىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾[٣]، فاللهُ تعالَىٰ يُحبُّ مِنْ عبدِهِ حينَ يدعُوهُ أنْ يدعوَهُ بتضرُّعٍ، قالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾[٤]، أَيْ: كثيرُ التَّأوُّهِ والتَّضرُّعِ.

٤-إخفاءُ الصَّوتِ بالدُّعاءِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ فرفعُ الصَّوتِ ينافِي التَّضرُّعَ ويُنافِي الخشوعَ المطلوبَ، وهوَ نوعٌ مِنَ الاعتداءِ فِي الدُّعاءِ؛ ولهذَا قالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) سورة الفاتحة (الآية: ٦).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٤٨١)، والترمذي برقم: (٣٤٧٧)، وقال: حسن صحيح. من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) سورة الأعراف (الآية: ٥٥).

(٤) سورة التوبة (الآية: ١١٤).

يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، وقدْ أثنَىٰ اللهُ علَىٰ زكريَّا بقولِهِ: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾[١].

ويُلاحظُ فِي دعاءِ القنوتِ مِنْ بعضِ أئمَّةِ المساجِدِ، رفعُ أصواتِهِمْ بالدُّعاءِ، والَّذِي ينبغِي أنْ يخفضَ الإمامُ الصَّوتَ بقدرِ مَا يُسمعُ مَنْ خلفَهُ فقطْ، ويكونَ بصوتٍ خاشعٍ.

٥-مَا ذكرَهُ اللهُ تعالَىٰ فِي قولِهِ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾[٢]، أَيِ: الطَّمعَ فِي الإجابةِ، فإذَا دعوْتَ اللهَ تعالَىٰ ينبغِي أنْ يقوَىٰ عندَكَ الرَّجاءُ، معَ الخوفِ مِنَ اللهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وخشيتِهِ، والخوفِ ألَّا يقبلَ منْكَ هذَا العملَ، فيكونُ هذَا الشُّعورُ -الخوفُ والطَّمعُ- مصاحبًا للدُّعاءِ، وهذَا مِنْ أسبابِ الإجابةِ.

٦-ألَّا يستعجلَ إجابةَ الدُّعاءِ، فإنَّ استعجالَ الإجابةِ مِنْ موانعِ إجابةِ الدُّعاءِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[٣]، وقدْ بيَّنَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صفةَ

---

(١) سورة مريم (الآية: ٣).
(٢) سورة الأعراف (الآية: ٥٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٠)، ومسلم برقم: (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

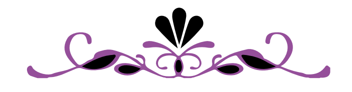


هذَا الاستعجالِ: «يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»، أَيْ: يتحسَّرُ ويترك الدُّعاءَ، هذَا مِنْ أعظمِ موانعِ إجابةِ الدُّعاءِ.

٧-أنْ يحرصَ الدَّاعِي علَىٰ أنْ يدعوَ بجوامعِ الدُّعاءِ، والدُّعاءِ بالمأثورِ، فقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يختارُ مِنَ الدُّعاءِ جوامعَهُ، ويدعُ مَا سوَىٰ ذلكَ.

٨-الحرصُ علَىٰ طيِّبِ المكسبِ، فإنَّ المكسبَ الخبيثَ مِنْ موانعِ إجابةِ الدُّعاءِ، وقدْ ذكرَ النَّبيُّ ﷺ الرَّجلَ يطيلُ السَّفرَ، أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديْهِ إلَىٰ السَّماءِ، يَا ربِّ! يَا ربِّ! ومطعمُهُ حرامٌ، ومشربُهُ حرامٌ، وملبسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ. فأنَّىٰ يستجابُ لذلكَ؟[(١)].

اللَّهمَّ تقبَّلْ منَّا الصِّيامَ والقيامَ، ووفِّقْنَا لِمَا تحبُّ وترضَىٰ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الدَّرسُ الرَّابعُ والعشرونَ

جوامعُ الدُّعاءِ

الحمدُ للهِ الأعلَىٰ الكبيرِ، الواحدِ الأحدِ السَّميعِ البصيرِ، والصَّلاةُ والسَّـلامُ علَىٰ رسـولِهِ البشـيرِ النَّذيرِ، وعلَىٰ آلِهِ وصـحبِهِ أهلِ الجدِّ والتَّشميرِ، **وبعدُ:**

فإنَّ مِنْ أعظمِ العباداتِ: عبادةُ الدُّعاءِ، وهوَ مِنْ صـفاتِ عبادِ اللهِ المتَّقينَ مِنَ الأنبياءِ والصَّالحينَ وغيرِهِمْ، فقدْ قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنْ أنبيائِهِ عليْهِمُ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1].

والدُّعاءُ سـببٌ لكلِّ خيرٍ، فينبغِي للمسـلمِ أنْ يحرصَ عليْهِ ويسـتكثرَ منْهُ، وأنْ يحرصَ علَىٰ جوامعِ الدُّعاءِ اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ الَّذِي كانَ يختارُ جوامعَ الدُّعاءِ ويدعُ مَا سـوَىٰ ذلكَ، ومنْ جوامعِ الدُّعاءِ الَّتِي كانَ النَّبيُّ ﷺ يدعُو بهَا:

---

(١) سورة الأنبياء (الآية:٩٠).

١-عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

٢-عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»(٢).

وهذهِ الدَّعوةُ ذكرَهَا ربُّنَا سبحانَهُ فِي قولِهِ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(٣).

هذهِ الدَّعوةُ إذَا استجيبَتْ لكَ؛ حصَّلْتَ سعادةَ الدُّنيَا والآخرةِ، والحسنةُ فِي الدُّنيَا فسَّرَهَا بعضُ السَّلفِ، فقالُوا: الزَّوجةُ الصَّالحةُ، وبعضُهُمْ قالَ: المركبُ الهنيءُ، والدَّارُ الواسعُ، ونحوُ ذلكَ، وهيَ باختصارِ السَّعادةُ، كأنَّكَ تقولُ: يَا ربِّ، اجعلْنِي أعيشُ فِي هذهِ الدُّنيَا سعيدًا، وهذَا يجمعُ الأمثلةَ الَّتِي ذكرَهَا السَّلفُ، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٣١٧٣)، والترمذي برقم: (٢٥٧٢)، والحاكم في المستدرك برقم: (١٩٦٠)، وقال: «صحيح الإسناد».
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٨٩)، ومسلم برقم: (٢٦٩٠).
(٣) سورة البقرة (الآيتان:٢٠١-٢٠٢).

حَسَنَةً﴾ وهِيَ: الجنَّةَ، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، أَيْ: يسِّرْ لِي مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ مَا أتَّقِي بهِ دخولَ النَّارِ.

٣-عنْ معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخذَ بيدِهِ، وقالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١).

ودبرُ كلِّ صلاةٍ، أَيْ: آخرُ كلِّ صلاةٍ... فِي التَّشهُّدِ الأخيرِ قُبَيْلَ السَّلامِ.

قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأملْتُ أنفعَ الدُّعاءِ فإذَا هوَ سؤالُ العونِ علَىٰ مرضاتِهِ، ثمَّ رأيتُهُ فِي الفاتحةِ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»(٢).

٤-عنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي**

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (٢٢١١٩)، وأبو داود برقم: (١٥٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه برقم: (٧٥١).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٢٢).

فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(١).

قالَ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذَا دعاءٌ عظيمٌ جمعَ خيرَ الدُّنيَا والآخرةِ، والدِّينِ والدُّنيَا، فحقٌّ علَىٰ كلِّ سامعٍ لهُ أنْ يحفظَهُ، ويدعوَ بهِ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، لعلَّ الإنسانَ يوافقُ ساعةَ إجابةٍ فيحصلُ علَىٰ خيرِ الدُّنيَا والآخرةِ»(٢).

٥-عنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: لمْ يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يدعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ حينَ يصبحُ وحينَ يمسِي: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٢٠).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٩).

(٣) أخرجه أحمد برقم: (٤٧٨٥) وأبو داود برقم: (٥٠٧٤)، وابن ماجه برقم: (٣٨٧١)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٩٦١)، والحاكم في المستدرك برقم: (١٩٠٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

٦-عنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحُوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[1].

٧-عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا علَىٰ طَاعَتِكَ»[2].

٨-عنْ أَبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»[3].

٩-عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٣٩).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٧).

الرِّجَالِ»(١)، وَضَلَعُ الدَّيْنِ: ثِقَلُهُ وَشِدَّتُهُ.

١٠- عنْ شدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَىٰ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»(٢).

١١-عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ كانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ»(٣).

اللَّهمَّ وفِّقْنَا لدعائِكَ بمَا تحبُّ وترضَىٰ، وتقبَّلْ دعواتِنَا واقضِ حوائجَنَا، واغفِرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمِينَ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٥).
(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٧١١٤)، وابن حبان في صحيحه برقم: (١٨٠٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٢١).

• الدَّرسُ الخامسُ والعشرونَ •

الثُّلثُ الأخيرُ مِنَ اللَّيلِ

الحمدُ للهِ الرَّحيمِ الغفَّارِ، مقلِّبِ القلوبِ والأبصارِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ مَا تعاقبَ اللَّيلُ والنَّهارُ، **وبعدُ:**

فمنَ الأوقاتِ العظيمةِ الَّتِي تتنزَّلُ فيهَا المغفرةُ والرَّحمةُ وإجابةُ الدَّعواتِ الثُّلثُ الأخيرُ مِنَ اللَّيلِ، فعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١).

سبحانَ اللهِ! الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ.. العظيمُ.. الخالقُ لهذَا الكونِ.. الغنيُّ عنْ عبادِهِ، الَّذِي لَا تنفعُهُ طاعةُ الطَّائعينَ، ولَا تضرُّهُ معصيةُ العاصينَ، ينزلُ إلَىٰ السَّماءِ الدُّنيَا حينَ يبقَىٰ ثلثُ اللَّيلِ الآخرُ، كلَّ ليلةٍ، نزولًا يليقُ بجلالِهِ وعظمتِهِ، ليسَ كنزولِ المخلوقينَ، فإنَّ اللهَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٤٥)، ومسلم برقم: (١٣٦٦).

ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السَّميعُ البصيرُ، وينادِي عبادَهُ بهذَا النِّداءِ: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ»، سبحانَكَ ربَّنَا مَا أعظمَكَ، ومَا أرحمَكَ بعبادِكَ، ومَا أعظمَ لطفَكَ، ومَا أعظمَ إحسانَكَ لعبادِكَ.

ومنْ أفضلِ مَا ينشغلُ بهِ الإنسانُ فِي هذَا الوقتِ الفاضلِ: الصَّلاةُ، وقدْ حثَّ النَّبيُّ ﷺ علَى قيامِ اللَّيلِ عامَّةً وعلَى آخرِهِ خاصَّةً، فعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ خَافَ أَلَّا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ مِنْ أَوَّلِهِ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ، فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»[(١)].

وسُئِلَتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عنْ صلاةِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَتْ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ»[(٢)]، وعنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «كُلَّ اللَّيْلِ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ»[(٣)].

وهذَا يدلُّ علَى فضلِ الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيلِ وفضلِ قيامِهِ، ولَا سيَّمَا فِي العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٦٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٩٩٦) ومسلم برقم: (٧٤٥).

ويُحسبُ الثُّلثُ الأخيرُ مِنَ اللَّيلِ عنْ طريقِ حسابِ وقتِ غروبِ الشَّمسِ ووقتِ طلوعِ الفجرِ، ويقسَّمُ علَىٰ ثلاثةٍ، الثُّلثُ الثَّالثُ هوَ الثُّلثُ الأخيرُ مِنَ اللَّيلِ.

وقدْ ذكرَ اللهُ تعالَىٰ أنَّ مِنْ صفاتِ عبادِهِ المتَّقينَ الاستغفارَ وقتَ الأسحارِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1]، وقالَ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

قالَ الحسنُ: «مُدُّوا الصَّلَاةَ إِلَىٰ السَّحَرِ ثُمَّ اسْتَغْفِرُوا»[3]. وعنْ نافعٍ: «أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً فَيَقُولُ: يَا نَافِعُ: أَسْحَرْنَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيُعَاوِدُ الصَّلَاةَ فَإِذَا قُلْتُ: نَعَمْ، قَعَدَ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَدْعُو حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[4].

وآخرُ اللَّيلِ هوَ أرجَىٰ ساعاتِ اللَّيلِ موافقةً لساعةِ الإجابةِ، الَّتِي يقولُ عنهَا النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١٧).
(٢) سورة الذاريات (الآيتان: ١٧-١٨).
(٣) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ١٧).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم: (٣٣٠٢).

خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[١].

وعنْ عمرِو بنِ عبسةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّهُ سمعَ النَّبيَّ ﷺ، يقولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[٢].

والاستغفارُ لهُ صيغٌ متعدِّدةٌ مِنْ أبرزِهَا أنْ يقولَ: أستغفرُ اللهَ، والأكملُ أنْ يُقرنَ الاستغفارَ معَ التَّوبةِ فيقولَ: أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليْهِ، ففِي صحيحِ مسلمٍ عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ مِنْ قولِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»[٣]، يمتثلُ أمرَ ربِّهِ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[٤].

▪ومنْهَا: مَا جاءَ فِي حديثِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٧٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي برقم: (٥٧٢)، وصححه ابن خزيمة برقم: (٥٧٢)، والحاكم في المستدرك برقم: (١١٦٢) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤٨٤).

(٤) سورة النصر (الآية: ٣).

عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»(١).

▪ومنْهَا: أنْ يقولَ: أستغفرُ اللهَ الَّذِي لَا إلهَ إلَّا هوَ الحيُّ القيُّومُ وأتوبُ إليهِ، فقدْ صحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قالَ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»(٢).

▪ومنْهَا: سيِّدُ الاستغفارِ، والَّذِي قدْ جاءَ فِي حديثِ شدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صحيحِ البخاريِّ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣)، وهذَا

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٥١٦)، والترمذي برقم: (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب.
(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٥١٧)، والترمذي برقم: (٣٥٧٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣١١): «إسناده جيد».
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٦).

الذِّكرُ مِنْ أذكارِ الصِّباحِ والمساءِ الَّتِي ينبغِي أنْ يحافظَ عليْهِ المسلمُ فِي كلِّ صباحٍ ومساءٍ.

▪ومنْهَا: أنْ يسألَ اللهَ تعالَىٰ المغفرةَ فيقولَ: اللَّهمَّ اغفرْ لِي، ففِي الصَّحيحينِ مِنْ حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ فِي ركوعِهِ وسجودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»[١]، وهذَا الذِّكرُ ينبغِي أنْ يقولَهُ المسلمُ فِي كلِّ صلاةٍ يصلِّيهَا مِنْ فرضٍ أوْ نفلٍ بعدَمَا يسبِّحُ فِي الرُّكوعِ ويقولُ: سبحانَ ربِّيَ العظيمِ ويختمُهُ بأنْ يقولَ: سبحانَكَ اللَّهمَّ ربَّنَا وبحمدِكَ اللَّهمَّ اغفرْ لِي. وهكذَا فِي السُّجودِ بعدَمَا يسبِّحُ ويقولُ: سبحانَ ربِّيَ الأعلَىٰ يختمُ ذلكَ التَّسبيحَ بأنْ يقولَ: سبحانَكَ اللَّهمَّ ربَّنَا وبحمدِكَ اللَّهمَّ اغفرْ لِي.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مِنْ عبادِكَ المتَّقينَ الأبرارِ المستغفرينَ بالأسحارِ، واغفرْ لنَا وارحمْنَا يَا رحيمُ يَا غفَّارُ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٩٤)، ومسلم برقم: (٤٨٤).

الدَّرسُ السَّادسُ والعشرونَ

أسبابُ نيلِ محبَّةِ اللّهِ

الحمدُ للهِ المتعالِي عنِ الأندادِ، الملكِ الرَّحيمِ بالعبادِ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ المبعوثُ رحمةً للعبادِ، صلَّىٰ اللهُ عليْهِ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومنِ اهتدَىٰ بهديِهِ إلَىٰ يومِ التَّنادِ، **وبعدُ:**

فقدْ جاءَ فِي الصَّحيحينِ عنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»**[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٠)، ومسلم برقم: (٢٦٣٧) واللفظ لمسلم.

فالأوَّلُ: يُوضعُ لهُ القَبولُ فِي الأرضِ لَا يراهُ أحدٌ أوْ يسمعُ بهِ إلَّا أحبَّهُ.

والثَّانِي: توضعُ لهُ البغضاءُ فِي الأرضِ فلَا يراهُ أحدٌ أوْ يسمعُ بهِ إلَّا أبغضَهُ.

والقلوبُ بيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فهذَا العبدُ الَّذِي أحبَّهُ اللهُ تعالَىٰ قدْ حازَ الشَّرفَ العظيمَ أنْ يحبَّهُ ربُّ السَّماواتِ والأرضِ، وينادِي جبريلُ أنَّ اللهَ يحبُّ فلانَ ابنِ فلانٍ باسمِهِ فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ تحبُّهُ الملائكةُ، ثمَّ يوضعُ لهُ القَبولُ فِي الأرضِ.

ولنيلِ محبَّةِ اللهِ تعالَىٰ أسبابٌ، ومنْ أحسنِ مَنْ ذكرَهَا الإمامُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]، **فقدْ ذكرَ عشرةَ أسبابٍ جالبةٍ للمحبَّةِ وهيَ:**

▪**الأولُ:** قراءةُ القرآنِ بالتَّدبُّرِ والتَّفهُّمِ لمعانِيهِ ومَا أريدَ بهِ، فالارتباطُ بالقرآنِ العظيمِ تلاوةً واستماعًا وتدبرًا لمعانِيهِ وتفهُّمًا لهَا مِنْ أعظمِ الأسبابِ الَّتِي ينالُ بِهَا العبدُ محبَّةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ ولذلكَ

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ١٨-١٩).

يقولُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١)، فالمؤمنُ يزيدُ إيمانُهُ بالاستماعِ للقرآنِ، ويزيدُ إيمانُهُ بتلاوةِ القرآنِ معَ التَّدبُّرِ.

فينبغِي لكَ أخِي المسلمُ: أنْ تجعلَ لكَ نصيبًا مِنْ تلاوةِ القرآنِ، تتلُوا فيهِ كلامَ اللهِ تعالَىٰ بتدبُّرٍ وألَّا يمرَّ عليكَ يومٌ إلَّا وقدْ قرأْتَ فيهِ شيئًا مِنْ كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

■**الثَّانِي**: التَّقرُّبُ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ بالنَّوافلِ بعدَ الفرائضِ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ فِي الحديثِ القدسيِّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»(٢)، فالإكثارُ مِنَ النَّوافلِ -بعدَ المحافظةِ علَىٰ الفرائضِ- مِنْ أسبابِ نيلِ محبَّةِ اللهِ.

---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

■**الثَّالثُ**: دوامُ ذكرِ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ كلِّ حالٍ، قالَ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾(١)، يقولُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنصيبُهُ مِنَ المحبَّةِ علَىٰ قدرِ نصيبِهِ مِنْ هذَا الذِّكرِ»(٢)، فالإكثارُ مِنْ ذكرِ اللهِ سبحانَهُ يجعلُ المسلمُ مرتبطًا باللهِ عَزَّوَجَلَّ، ويقلُّ تعلُّقُهُ بالدُّنيَا، وهذَا مِنْ شأنِهِ أنْ يرقِّقَ القلبَ وتزولَ معَهُ القسوةُ، ومنْ شأنِهِ كذلكَ أنْ يجلبَ المحبَّةَ للعبدِ، ولهذَا جاءَ رجلٌ إلَىٰ الحسنِ البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقالَ: يَا أبَا سعيدٍ أشكُو إليكَ قسوةَ قلبِي؟ فقالَ الحسنُ: «أذبْ قسوةَ قلبكَ بكثرةِ ذكرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(٣)، ثمَّ إنَّ الإكثارَ مِنْ ذكرِ اللهِ سبحانَهُ يورثُ العبدَ الطُّمأنينةَ كمَا قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(٤)، هذهِ الطُّمأنينةُ هِيَ سعادةٌ قلبيَّةٌ يعجزُ اللِّسانُ عنْ وصفِهَا وتعجزُ الكلماتُ عنِ

---

(١) سورة الأحزاب (الآية: ٤١).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٨).

(٣) ذم الهوىٰ (ص:٦٩) وفيه: «أذبه من الذكر»، وأخرجه أحمد في الزهد برقم: (١٥١٠) بلفظ: «ادنه من الذكرىٰ، أي: ممن يذكر».

(٤) سورة الرعد (الآية: ٢٨).

التَّعبيرِ عنْهَا، يصفُهَا أحدُ الصَّالحينَ فيقولُ: «إنَّهُ ليمرُّ بالقلبِ أوقاتٌ، أقولُ: إنْ كانَ أهلُ الجنَّةِ فِي مثلِ هذَا، إنَّهمْ لفِي عيشٍ طيِّبٍ»(١).

▪**الرَّابعُ:** إيثارُ محابِّ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ محابِّ الإنسانِ، فعندَمَا تتعارضُ محبَّةُ اللهِ معَ محبَّةِ غيرِهِ يقدِّمُ محبَّةَ اللهِ تعالَىٰ، فعلَىٰ سبيلِ المثالِ عندَمَا تسمعُ المؤذِّنَ يؤذِّنُ لصلاةِ الفجرِ فإنَّكَ ستنهضُ مِنْ فراشِكَ وتقومُ وتؤدِّي صلاةَ الفجرِ معَ الجماعةِ فِي المسجدِ إنْ كنْتَ صادقًا فِي محبَّتِكَ، أمَّا مَنْ كانَ غيرَ صادقٍ فإنَّهُ سيقدِّمُ محبَّةَ النَّومِ والرَّاحةِ والكسلِ علَىٰ محبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، كذلكَ عندَمَا تكونُ هناكَ معاملةٌ وفِيهَا شبهةٌ، فإنَّ الصَّادقَ فِي محبَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيتركُ هذهِ المعاملةَ حتَّىٰ وإنْ كانَ فيهَا أرباحٌ كبيرةٌ مَا دامَ أنَّ فيهَا شبهةً، وهكذَا إذَا تعارضَتْ محبَّةُ اللهِ معَ محبَّةِ غيرِهِ تقدِّمُ محبَّةَ اللهِ علَىٰ محبَّةِ غيرِهِ.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢).

■**الخامسُ:** مطالعةُ القلبِ لأسماءِ اللهِ تعالَىٰ وصفاتِهِ، فمَنْ عرفَ اللهَ تعالَىٰ بأسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ أحبَّهُ لَا محالةَ.

■**السَّادسُ:** مشاهدةُ برِّهِ وإحسانِهِ وآلائِهِ، ونعمِهِ الباطنةِ والظَّاهرةِ، فإنَّهَا داعيةٌ إلَىٰ محبَّتِهِ، والنُّفوسُ مجبولةٌ علَىٰ حبِّ مَنْ أحسنَ إليْهَا، وأيُّ إحسانٍ للإنسانِ أعظمَ مِنْ إحسانِ اللهِ تعالَىٰ لهُ، فجميعُ النِّعمِ منْهُ جَلَّ وَعَلَا كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقالَ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2].

■**السَّابعُ:** انكسارُ القلبِ بِكُلِّيَتِهِ بينَ يدَيِ اللهِ تعالَىٰ، يقولُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنْ هذَا السَّببِ: «وهوَ مِنْ أعجبِهَا، وليسَ فِي التَّعبيرِ عنْ هذَا المعنَىٰ غيرُ الأسماءِ والعباراتِ»[3]، خاصَّةً عندَمَا يكونُ المسلمُ خاليًا بربِّهِ لَا يراهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ، فينطرحُ بينَ يدَيِ اللهِ وينكسرُ، ويُناجِي ربَّهُ هذَا مِنْ أعظمِ الأسبابِ الَّتِي يرقُّ بهَا القلبُ وتنالُ بهَا المحبَّةَ للهِ.

---

(١) سورة النحل (الآية:٥٣).
(٢) سورة النحل (الآية: ١٨).
(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٩).

■**الثَّـامنُ:** الخلوةُ بـهِ وقـتَ النُّزولِ الإلهيِّ، لمنـاجـاتِـهِ وتلاوةِ كلامِهِ، والوقوفِ بالقلبِ والتَّأدُّبِ بأدبِ العبوديَّةِ بينَ يديْهِ، ثمَّ ختمُ ذلكَ بالاستغفارِ والتَّوبةِ.

فعندَمَا يخلُو العبدُ بربِّهِ سـبحانَهُ فِي الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيلِ ويصـلِّي مَا كتبَ اللهُ تعالَىٰ لهُ أنْ يصـلِّيَ ثمَّ يختمُ ذلكَ بالاسـتغفارِ، فهذَا مِنْ أسبابِ الثَّباتِ بلْ زيادةِ الإيمانِ، ونيلِ محبَّةِ اللهِ سبحانَهُ.

■**التَّاسعُ:** مجالسةُ المحبِّينَ الصَّـادقينَ، والتقاطُ أطايبِ ثمراتِ كلامِهم كمَا ينتقِي أطايبَ الثَّمرِ، فإنَّ المجالسـةَ للصَّـالحينَ لهَا أثرٌ كبيرٌ علَىٰ المسلمِ، ويجدُ الإنسانُ أثرَهَا علَىٰ نفسِهِ، وعلَىٰ سلوكِهِ، فمجالسةُ الصَّالحينَ الَّتِي تكونُ مجالسُهم عامرةً بذكرِ اللهِ تزيدُ العبدَ إيمانًا، وإذَا زادَتْهُ إيمانًا كانَ ذلكَ مِنْ أسبابِ نيلِهِ لمحبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

■**العاشـرُ:** مباعدةُ كلِّ سـببٍ يحولُ بينَ القلبِ وبينَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومنْ ذلكَ التَّعلُّقُ بالدُّنيَا؛ فإنَّ التَّعلُّقَ بأمورِ الدُّنيَا لهُ أثرٌ فِي الغفلةِ عنِ الآخرةِ وقسوةِ القلبِ، فينبغِي للمسلمِ أنْ يحرصَ علَىٰ الابتعادِ عنْ كلِّ سببٍ يشغلُهُ عنْ طاعةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.



اللَّهمَّ أيقظْنَا لتداركِ مَا تبقَّىٰ مِنَ الأعمارِ، ووفقْنَا للتَّزوُّدِ مِنَ الخيرِ والاستكثارِ، واجعلْنَا ممَّنْ قبِلْتَ صيامَهُ، وأسعدْتَهُ بطاعتِكَ فاستعدَّ لِمَا أمامَهُ، واغفرِ اللَّهمَّ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



• الدَّرسُ السَّابعُ والعشرونَ •

الصَّبرُ وأقسامُهُ

الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ والثَّناءِ، المتفرِّدِ بالعزِّ والكبرياءِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ سيِّدِ الأنبياءِ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ البررةِ الأتقياءِ، **وبعدُ:**

فإنَّ الصَّبرَ لهُ فضائلُ عظيمةٌ دلَّتْ عليْهَا نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، ومنْ ذلكَ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرَ بهِ فقالَ سبحانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[1]، وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، والمقصودُ بالمعيَّةِ، المعيَّةُ الخاصَّةُ الَّتي تقتضِي النَّصرَ والتَّأييدَ والإعانةَ والتَّوفيقَ.

وأخبرَ أنَّهُ يحبُّ مَنِ اتَّصفَ بهِ فقالَ سبحانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ٢٠٠).
(٢) سورة الأنفال (الآية: ٤٦).
(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٤٦).

وبَيَّنَ أنَّ أجرَ الصَّــابرينَ لَا حدَّ لهُ ولَا عدَّ، فقالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[(٢)]، وهذَا الحديثُ يدلُّ علَىٰ أنَّ أعظمَ عطاءٍ يُعطَاهُ العبدُ الصَّبرَ، فالصَّبرُ مِنَ النِّعمِ العظيمةِ والمنحِ الكبيرةِ الَّتِي يُعطاهَا المسلمُ، والإنسانُ فِي هذهِ الحياةِ لَا بدَّ أنْ يواجهَ مصــاعبَ ومتاعبَ ومصــائبَ، فلَا بدَّ لهُ مِنَ الصَّبرِ، وبدونِ الصَّبرِ فإنَّ حياتَهُ تتحوَّلُ إلَىٰ بؤسٍ وتعبٍ وشقاءٍ.

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»[(٣)]، فالصَّبرُ ضياءٌ يستضيءُ بهِ المســلمُ، ومنهجٌ ومدرســةٌ للمســلمِ فِي الحياةِ، وبدونِ الصَّــبرِ لَا يمكنُ أنْ يعيشَ الإنسانُ ويحيَىٰ الحياةَ المطمئنَّةَ السَّعيدةَ.

والصَّبرُ فضائلُهُ كثيرةٌ وأجورُهُ عظيمةٌ؛ ولهذَا قالَ بعضُ السَّلفِ: «لَا نعلمُ خُلُقًا مِنَ الأخلاقِ أثنَىٰ اللهُ عليْهِ فِي القرآنِ وحثَّ عليْهِ مثلَ الصَّــبرِ»، فهوَ مِنَ الأخلاقِ الكريمةِ الَّتِي ينبغِي أنْ يحرصَ المسلمُ علَىٰ تقويتِهَا.

---

(١) سورة الزمر (الآية: ١٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩)، ومسلم برقم: (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقدْ قسَّمَ أهلُ العلمِ الصَّبرَ إِلَى ثلاثةِ أقسامٍ: الصبرُ علَىٰ طاعةِ اللهِ، والصبرُ عنْ معاصِي اللهِ، والصبرُ علَىٰ أقدارِ اللهِ المؤلمةِ.

أمَّا الصَّبرُ علَىٰ طاعةِ اللهِ تعالَىٰ فمعناهُ: أنَّ المسلمَ يصبِّرُ نفسَهُ ويحملُهَا علَىٰ الإتيانِ بالطَّاعةِ، **فعلَى سبيلِ المثالِ**: القيامُ لصلاةِ الفجرِ، وأداءُ هذهِ العبادةِ معَ الجماعةِ فِي المسجدِ مِنَ الأمورِ الصَّعبةِ علَىٰ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[1]، فهذهِ العبادةُ تحتاجُ مِنَ المسلمِ أنْ يصبِّرَ نفسَهُ حتَّىٰ يقومَ ويستيقظَ مِنْ فراشِهِ ويذهبَ للمسجدِ، ويصلِّيَ معَ الجماعةِ فِي المسجدِ، وهكذَا بالنِّسبةِ لسائرِ الطَّاعاتِ.

وأمَّا الصَّبرُ عنْ معاصِي اللهِ: فإنَّ كثيرًا مِنَ المعاصِي توافقُ هوَىٰ النُّفوسِ، وقدْ يجدُ الإنسانُ لهَا لذَّةً، فهيَ تحتاجُ إِلَىٰ أنْ يصبِّرَ الإنسانُ نفسَهُ عنْ هذهِ المعصيةِ؛ كالنَّظرِ المحرَّمِ أوِ الغيبةِ، فيحتاجُ إِلَىٰ أنْ يكفَّ نظرَهُ، ويكفَّ لسانَهُ، ويكفَّ سائرَ جوارحِهِ عنِ المعاصِي.

وأمَّا الصَّبرُ علَى أقدارِ اللهِ المؤلمةِ: فإنَّ مِنْ حكمةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ يبتلِي عبادَهُ بشيءٍ مِنَ الخوفِ والجوعِ ونقصٍ مِنَ الأموالِ والأنفسِ

---

(١) سورة البقرة (الآية: ٤٥).

والثَّمراتِ، ويختبرهُمْ، قالَ سبحانَهُ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾(١).

ومعنَى الصَّبرِ عندَ المصيبةِ: أنَّ الإنسانَ يحبسُ نفسَهُ عنِ الجزعِ، ولسانَهُ عنِ التَّشكِّي والأقوالِ المحرَّمةِ، وجوارحَهُ عنِ الأفعالِ المحرَّمةِ؛ كلطمِ الخدِّ وشقِّ الجيبِ ونحوِ ذلكَ.

والإنسانُ عندَمَا تصيبُهُ مصيبةٌ لهُ أحوالٌ:

❖ **الحالُ الأولَى: الجزعُ**، فيجزعُ عندَمَا تأتيهِ المصيبةُ، وتصدرُ منهُ أقوالٌ محرَّمةٌ كالاعتراضِ علَىٰ القضاءِ والقدرِ، ومنْ ذلكَ أنْ يقولَ: ماذَا يا ربِّ فعلْتُ حتَّىٰ تصيبَنِي بهذهِ المصيبةِ؟، أوْ: لماذَا أُصَبُ بهذهِ المصيبةِ مِنْ بينِ سائرِ النَّاسِ؟ ونحوُ ذلكَ.

أوْ تصدرُ منْهُ أفعالٌ محرَّمةٌ كلطمِ الخدودِ، وشقِّ الجيوبِ، ونحوِ ذلكَ، فهذَا الجزعُ بالقولِ أوِ الفعلِ محرَّمٌ، ومنْ كبائرِ

---

(١) سورة البقرة (الآيات: ١٥٥-١٥٧).

الذُّنوبِ، كمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ**»(١).

❖**الحالُ الثَّانيةُ: الصَّبرُ، أَيْ**: يحبسُ نفسَهُ عنِ الأقوالِ والأفعالِ المحرَّمةِ، فهوَ قابضٌ علَىٰ نفسِهِ مِنْ أنْ يتكلَّمَ بكلامٍ محرَّمٍ ومنْ أنْ يصدرَ منْهُ فعلٌ محرَّمٌ، وهذهِ الحالُ حكمُهَا: الوجوبُ، فيجبُ علَىٰ المسلمِ أنْ يصبرَ عندَ المصيبةِ، ولَا يلزمُ مِنْ ذلكَ الرِّضَا فقدْ يصبرُ وهوَ فِي نفسِهِ غيرُ راضٍ.

❖**الحالُ الثَّالثةُ: الرِّضَا، أَيِ**: أنْ يرضَىٰ بالمصيبةِ، ولَا يُوَفَّقُ للرِّضَا إلَّا مَنْ كانَ قويَّ الإيمانِ، **وهذهِ الحالُ حكمُهَا**: الاستحبابُ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ، وليسَتْ واجبةً؛ لأنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يستطيعُ أنْ يصلَ إلَىٰ هذهِ الحالِ.

❖**الحالُ الرَّابعةُ: الشُّكرُ**، فعندَمَا تقعُ لهُ مصيبةٌ يحمدُ اللهَ ويشكرُهُ؛ لأنَّهُ يرَىٰ حقارةَ هذهِ الدُّنيا، ويعلمُ أنَّهُ إذَا صبرَ علَىٰ هذهِ المصيبةِ وحمدَ اللهَ وشكرَهُ عوَّضَهُ اللهُ تعالَىٰ بصلواتٍ ورحمةٍ وهدايةٍ وأجورٍ وكفَّاراتٍ، فهوَ يرضَىٰ ويحمدُ اللهَ تعالَىٰ ويشكرُهُ. وإذَا كانَتْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٢٩٤)، ومسلم برقم: (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

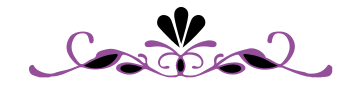


مرتبةُ الرِّضَا مستحبَّةً، فمرتبةُ الشُّكرِ مستحبَّةٌ مِنْ بابِ أولَىٰ.

وهناكَ جانبٌ آخرُ مِنْ جوانبِ الصَّبرِ، وهوَ الصَّبرُ فِي معاملةِ النَّاسِ، فإنَّ الإنسانَ عندَمَا يعاملُ النَّاسَ سيواجهُ طبقةً غيرَ محترمةٍ تحبُّ إيذاءَ الآخرينَ، وتتسلَّطُ عليهِمْ وهيَ: طبقةُ الجاهلينَ، فينبغِي الصَّبرُ علَىٰ أذاهُمْ، وعدمُ مقابلةِ السَّيِّئةِ بمثلِها، والإعراضُ عنْ جهلِهم.

فعلَىٰ المسلمِ أنْ يصبِّرَ نفسَهُ علَىٰ مَا قدْ يلاقِيهِ مِنْ هذهِ الشَّرائحِ الصَّعبةِ فِي المجتمعِ، وممَّا قدْ يلاقِي الأذَىٰ فِي بيتِهِ إمَّا مِنْ زوجةٍ أوْ والدٍ أوْ والدةٍ أوْ أخٍ أوْ ذِي رحمٍ، فعليْهِ أنْ يصبرَ، وأنْ يعرضَ عنِ الجاهلِ، وإنْ تيسَّرَ أنْ يقابلَ السَّيِّئةَ بالحسنةِ فهوَ الأكملُ والأفضلُ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مِنَ الصَّابرينَ الَّذينَ تحبُّهم، ووفقْنَا لِمَا يرضِيكَ، وجنِّبْنَا معاصيَكَ، واغفرْ لَنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ.



• الدَّرسُ الثَّامنُ والعشرونَ •

زكاةُ الفطرِ

الحمدُ للهِ المتفرِّدِ بالجلالِ والبقاءِ، والعظمةِ والكبرياءِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ رسولِهِ محمَّدٍ أشرفِ الأنبياءِ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ النُّجباءِ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ شهرَكم قدْ عزمَ علَىٰ الرَّحيلِ، ولمْ يبقَ منْهُ إلَّا القليلُ، فاجتهدُوا فِيمَا تبقَّىٰ مِنْ هذَا الشَّهرِ، واهتمُّوا بمَا يقرِّبُكم مِنَ اللهِ الجليلِ.

أيُّهَا الإخوةُ: قدْ شرعَ اللهُ تعالَىٰ فِي آخرِ هذَا الشَّهرِ عباداتٍ تقرِّبُكم مِنَ اللهِ تعالَىٰ رحمةً منْهُ وإحسانًا، ومنْ ذلكَ: زكاةُ الفطرِ وقدْ فرضَهَا رسولُ اللهِ ﷺ علَىٰ المسلمينَ علَىٰ الصَّغيرِ والكبيرِ، والذَّكرِ والأنثَىٰ، والحرِّ والعبدِ مِنَ المسلمينَ.

والحكمةُ مِنْ مشروعيَّتِها: أنَّ فِيهَا إحسانًا للفقراءِ والمساكينِ؛ لكيْ يشاركُوا الأغنياءَ فرحَهم بالعيدِ، فيكونُ يومُ العيدِ يومَ فرحٍ وسرورٍ للجميعِ.



كمَا أنَّ فِيهَا جبرًا لِمَا قدْ يكونُ مِنَ النَّقصِ والخللِ مِنَ الصَّائمِ، فإنَّ الصَّائمَ فِي شهرِ رمضانَ قدْ يعتري صومُهُ مَا قدْ يعتريهِ مِنَ النَّقصِ والخللِ، وكلُّ معصيةٍ تقعُ مِنَ الصَّائمِ تنقصُ مِنْ أجرِ صومِهِ، فشُرِعَتْ زكاةُ الفطرِ جبرًا لهذَا النَّقصِ والخللِ.

كمَا أنَّ فِيهَا شكرًا لنعمةِ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ الصَّائمِ أنْ بلَّغَهُ شهرَ رَمَضانَ ووفَّقَهُ لفعلِ مَا تيسَّرَ مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ.

وزكاةُ الفطرِ فَرَضَهَا رسولُ اللهِ ﷺ طعامًا، كمَا جاءَ عنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَىٰ الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١)، وكانَ الطَّعامُ عندَ الصَّحابةِ فِي زمنِ النَّبيِّ ﷺ هوَ التَّمرَ والبرَّ والشَّعيرَ والزَّبيبَ والأَقِطَ، فكانَتْ هذهِ الأصنافُ الخمسةُ هِيَ الطَّعامَ السَّائدَ فِي زمنِ النَّبيِّ ﷺ.

قالَ أهلُ العلمِ: إنَّ الواجبَ فِي إخراجِهَا أنْ تخرجَ مِنَ الطَّعامِ الَّذِي يقتاتُهُ النَّاسُ مِنْ غالبِ قوتِ أهلِ البلدِ، ولذَا فلَا بأسَ أنْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٥٠٣)، ومسلم برقم: (٩٨٤).



تخرجَ فِي وقتِنَا الحاضـرِ مِنَ الأرزِ؛ لأنَّهُ قوتٌ يقتاتُه النَّاسُ، وطعامٌ طيِّبٌ.

ولَا يجزئُ إخراجُها نقودًا، وإنَّما يجبُ إخراجُها طعامًا فِي قولِ جمهورِ الفقهاءِ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما أمرَ بإخراجِهَا طعامًا معَ وجودِ النَّقدِ فِي زمنِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحتَّىٰ تبرزَ هذهِ الشَّعيرةُ وتتميَّزَ عنْ زكاةِ المالِ وغيرِهَا، فإخراجُها طعامًا يرَاهَا الصَّغيرُ والكبيرُ وعامَّةُ النَّاسِ يجعلُها شعيرةً ظاهرةً فِي المجتمعِ، بخلافِ مَا إذَا أخرجَتْ نقودًا فلَا يصبحُ فرقٌ بينَهَا وبينَ زكاةِ المالِ.

ومقدارُها صاعٌ بصاعِ النَّبيِّ ﷺ، ويعادلُ كيلوَيْنِ وربعًا مِنَ الأرزِ تقريبًا إذَا كانَتْ ستخرجُ مِنَ الأرزِ، ولوِ احتاطَ المسلمُ وأرادَ أنْ يخرجَها ثلاثةَ كيلُو جراماتٍ خروجًا مِنَ الخلافِ فِي تقديرِها فهذَا هوَ الأحوطُ، ومَا قدْ يزيدُ عنِ الواجبِ ينويهِ صدقةٌ.

وأمَّا وقتُ وجوبِها: فتجبُ بغروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ، ويترتَّبُ علَىٰ ذلكَ أنَّهُ لوْ ماتَ إنسانٌ قبلَ غروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ لَمْ يجبْ



إخراجُ زكاةِ الفطرِ عنهُ، ولوْ ماتَ بعدَ غروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ ولوْ بدقيقةٍ واحدةٍ، فيجبُ إخراجُ زكاةِ الفطرِ عنهُ.

كمَا أنَّهُ لوْ تزوَّجَ إنسانٌ ودخلَ بامرأتِهِ قبلَ غروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ لزمَهُ أنْ يخرجَ زكاةَ الفطرِ عنْهَا، ولوْ كانَ بعدَ غروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ لَمْ يلزمْهُ.

كمَا أنَّهُ لوْ وُلِدَ لإنسانٍ مولودٌ قبلَ غروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ وجبَ إخراجُ زكاةِ الفطرِ عنْهُ، ولوْ وُلِدَ لهُ بعدَ غروبِ الشَّمسِ ليلةَ العيدِ لَمْ يجبْ إخراجُ زكاةِ الفطرِ عنهُ، لكنَّ العلماءَ استحبُّوا إخراجَ زكاةِ الفطرِ عنِ الجنينِ الَّذِي فِي البطنِ إذَا كانَ عمرُهُ أربعةَ أشهرٍ فأكثرَ.

وأمَّا وقتُ الجوازِ: فيجوزُ إخراجُ زكاةِ الفطرِ قبلَ العيدِ بيومٍ أوْ يومينِ، وعلَىٰ ذلكَ فيكونُ أوَّلُ وقتٍ لإخراجِ زكاةِ الفطرِ هوَ غروبَ شمسِ اليومِ الثَّامنِ والعشرينَ مِنْ رمضانَ.



ويمتدُّ وقتُ زكاةِ الفطرِ إِلَىٰ صلاةِ العيدِ، والأفضلُ أنْ تخرجَ يومَ العيدِ قبلَ الصَّلاةِ.

أمَّا إخراجُهَا بعدَ صلاةِ العيدِ فلَا يجزئُ؛ لقولِ ابنِ عبَّاسٍ: «**فمنْ أدَّاهَا قبلَ الصَّلاةِ فهيَ زكاةٌ مقبولةٌ، ومنْ أدَّاهَا بعدَ الصَّلاةِ فهيَ صدقةٌ منَ الصَّدقاتِ**»(١).

والمستحقُّونَ لهَا همُ الفقراءُ والمساكينُ، ويجوزُ إعطاؤُها لمنْ يقبلُها ممَّنْ لمْ يظهرْ عليهِ غنًى وكانَ ابنُ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يعطِيهَا مَنْ قَبِلَهَا.

ويجوزُ دفعُ عددٍ مِنَ الفِطَرِ لمسكينٍ واحدٍ، ويجوزُ دفعُ الفطرةِ الواحدةِ لأكثرَ مِنْ مسكينٍ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قدَّرَ المُخْرَجَ وهوَ صاعٌ، ولمْ يقدِّرْ عددَ المساكينِ.

وينبغِي للمسلمِ أنْ يحرصَ علَىٰ إخراجِها طيِّبةً بهَا نفسُهُ، وأنْ يختارَ أطيبَ الطَّعامِ، ولَا يتبعَهَا بمنَّةٍ ولَا أذًىٰ، فإنَّها صاعٌ واحدٌ فِي العامِ، فينبغِي أنْ يحرصَ علَىٰ تطبيقِ السُّنَّةِ فِي إخراجِهَا.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٦١٠)، وابن ماجه برقم: (١٨٢٧)، والحاكم برقم: (١٤٨٨)، وقال: «وهذا حديث صحيح علىٰ شرط البخاري، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

اللَّهمَّ اختمْ لنَا شهرَ رمضانَ برضوانِك، وأجرْنا مِنْ عقوبتِك ونيرانِك، وجُدْ عليْنا بفضلِك ورحمتِكَ وامتنانِكَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعِينَ.



• الدَّرسُ التَّاسعُ والعشرونَ •
فضائلُ التَّوبةِ

الحمدُ للهِ عَظُمَ حلمُه فسترَ، وبسطَ يدَه بالعطاءِ فأكثرَ، والصَّلاةُ والسَّـــلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ خيرِ البشــرِ، وعلَىٰ آلِهِ وصــحبِهِ الكرامِ الغُرَرِ، **وبعدُ:**

فالكمالُ فِي البشــرِ محالٌ، فهمْ ليسُــوا كالملائكةِ الَّذينَ ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[١]، ولوْ أرادَ اللهُ تعالَىٰ لجعلَهم كالملائكةِ لكنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلقَهم علَىٰ هذهِ الصِّـفةِ، يقعُ منهمُ الخطأُ والتَّقصيرُ ويستغفرونَ ربًّا غفورًا رحيمًا فيغفرُ لهُمْ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: **«لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَسْــتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**[٢].

واللهُ تعالَىٰ يدعُو عبادَهُ إلَىٰ جنَّتِهِ وإلَىٰ مغفرتِهِ ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾[٣]، ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ

---

(١) سورة التحريم (الآية: ٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) سورة البقرة (الآية:٢٢١).

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[(١)]، ويقولُ اللهُ تعالَىٰ فِي الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِؤُونَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[(٢)]. وينادِي عبادَهُ كلَّ ليلةٍ حينَ يبقَىٰ ثلثُ اللَّيلِ الآخرُ: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(٣)]. طوبَىٰ لمنْ عرفَ أنَّ لهُ ربًّا رحيمًا غفورًا كريمًا يقبلُ توبةَ التَّائبينَ ويقبلُ عثراتِ العاثرينَ إذَا لجؤُوا إليْهِ مخلصِينَ صادقِينَ.

وقدْ أخبرَنَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ بأنَّهُ يحبُّ التَّوَّابينَ مِنْ عبادِهِ؛ فقالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[(٤)]، واللهُ يحبُّ مِنْ عبدِهِ أنَّهُ كلَّمَا وقعَ فِي الذَّنبِ يتوبُ إليْهِ، ففِي الصَّحيحينِ عنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَي رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ**

---

(١) سورة إبراهيم (الآية: ١٠).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرج البخاري برقم: (٧٤٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) سورة البقرة (الآية:٢٢٢).



بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَي رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»**(١).

فإِذَا وقعَ العبدُ فِي الذَّنبِ وتابَ إِلَىٰ اللهِ محقِّقًا شروطَ التَّوبةِ فإنَّ اللهَ يتوبُ عليْهِ مَا دامَ صادقًا فِي توبتِهِ، لكنْ لوْ جاءَتْهُ لحظةُ ضعفِ نفسٍ فوقعَ فِي الذَّنبِ مرَّةً أخرَىٰ ثمَّ تابَ صادقًا، فإنَّ اللهَ يتوبُ عليْهِ، ومهمَا تكرَّرَ الذَّنبُ وتكرَّرتْ معهُ التَّوبةُ مستكملةً شروطَها فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يتوبُ عليْهِ. والأفضلُ أنَّ العبدَ إذَا وقعَ فِي الذَّنبِ يتوضَّأُ ثمَّ يصلِّي ركعتينِ ثمَّ يستغفرُ اللهَ ويتوبُ إليْهِ؛ لقولِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ»**(٢).

ويشترطُ لصحَّةِ التَّوبةِ ثلاثةُ شروطٍ:

١- **الإقلاعُ عنِ الذَّنبِ**، فلَا تصحُّ توبةُ مَنْ هوَ مستمرٌّ علَىٰ الوقوعِ فِي الذَّنبِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٠٧)، ومسلم برقم: (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٥٢١) والترمذي برقم: (٤٠٦)، وقال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ١٤): «إسناده حسن».

٢- **النَّدمُ علَىٰ مَا وقعَ منهُ**، وقدْ جاءَ فِي الحديثِ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»(١) ثمَّ إنَّ النَّدمَ يدلُّ علَىٰ الصِّدقِ فِي التَّوبةِ.

٣- **العزمُ علَىٰ ألَّا يعودَ للذَّنبِ مرَّةً أخرَىٰ**، فإذَا تابَ وهوَ عازمٌ علَىٰ العودةِ للذَّنبِ فلَا تصحُّ توبتُهُ؛ لكونِهِ غيرَ صادقٍ فِي توبتِهِ.

وإذَا كانَ الذَّنبُ متعلِّقًا بحقِّ آدميٍّ فيُضافُ شرطٌ رابعٌ وهوَ ردُّ الحقِّ لصاحبِهِ إنْ أمكنَهُ أوِ التَّحلُّلُ منهُ.

واللهُ تعالَىٰ يفرحُ بتوبةِ عبدِهِ إذَا تابَ إليهِ فرحًا عظيمًا، يصفُ النَّبيُّ ﷺ هذَا الفرحَ بقولِهِ: «**لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (٣٥٦٨)، وابن ماجه برقم: (٤٢٥٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٦١٢)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٧١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



قالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأيُّ فرحةٍ تعدلُ فرحةَ هذَا؟ ولوْ كانَ فِي الوجودِ فرحٌ أعظمُ مِنْ فرحِ هذَا لمثَّلَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ، ومعَ ذلكَ ففرحُ اللهِ تعالَىٰ بتوبةِ عبدِهِ إذَا تابَ إليْهِ أعظمُ مِنْ فرحِ هذَا الرَّجلِ براحلتِهِ»(١)، هذَا هوَ الكرمُ الإلهيُّ مِنْ هذَا الرَّبِّ الكريمِ الجوادِ، هذَا الفرحُ العظيمُ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بتوبةِ عبدِهِ يدلُّ علَىٰ عظيمِ رحمةِ اللهِ بعبادِهِ وعلَىٰ محبَّتِهِ للعفوِ، وعلَىٰ عظيمِ فضلِهِ وجودِهِ وكرمِهِ وإحسانِهِ، وإلَّا فإنَّهُ سبحانَهُ غنيٌّ عنْ عبادِهِ، ولكنْ لعظيمِ إحسانِهِ لعبادِهِ ولمحبَّتِهِ للعفوِ يفرحُ بتوبةِ عبدِهِ هذَا الفرحَ العظيمَ الَّذِي وصفَهُ النَّبيُّ ﷺ.

اللَّهمَّ ربَّنَا اغفرْ لنَا وتبْ علينَا إنَّك أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ، اللَّهمَّ اغفرْ لنَا مَا قدَّمْنَا ومَا أخَّرْنَا، ومَا أسررْنَا ومَا أعلَنَّا ومَا أنتَ أعلمُ بهِ منَّا، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٣٤).

الدَّرسُ الثَّلاثونَ

فِي ختامِ الشَّهرِ ووداعِ رمضانَ

الحمدُ للهِ الَّذِي قضَىٰ بالفناءِ علَىٰ أهلِ هذهِ الدَّارِ، وتوحَّدَ بالبقاءِ فلَا يعتري ملكَهُ زوالٌ ولَا إدبارٌ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الأخيارِ، **أمَّا بعدُ:**

فكنَّا بالأمسِ القريبِ نستقبلُ هذَا الشَّهرَ المباركَ، وهَا نحنُ نودِّعُه، فمَا أسرعَ مرورَ اللَّيالِي والأيَّامِ، وهكذَا يمرُّ العمرُ ويتصرَّمُ، والسَّعيدُ مَنِ اغتنمَ وقتَهُ فيمَا ينفعُهُ فِي الدَّارِ الآخرةِ، وفِيمَا يقرِّبُه إلَىٰ ربِّهِ عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ الحياةَ الحقيقيَّةَ إنَّمَا هِيَ الحياةُ فِي الدَّارِ الآخرةِ، يقولُ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾[1]، ويقولُ تعالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الفجر (الآيتين:٢٣-٢٤).

(٢) سورة العنكبوت (الآية:٦٤).

هذَا الشَّـهرُ قدْ قاربَ رحيلُهُ وهوَ شـاهدٌ لنَا أوْ علينَا بمَا أودعْنَاهُ مِنَ الأعمالِ، فمنْ أودعَهُ عملًا صـالحًا فليحمدِ اللهَ وليبشـرْ بحسنِ الثَّوابِ، فإنَّ اللهَ لَا يضـيعُ أجرَ مَنْ أحسـنَ عملًا، ومنْ أودعَهُ عملًا سيِّئًا فليتبْ إلَىٰ ربِّهِ توبةً نصوحًا فإنَّ اللهَ يتوبُ علَىٰ مَنْ تابَ.

وعلَىٰ المسلمِ أنْ يستمرَّ علَىٰ مَا كانَ يعملُهُ مِنْ أعمالٍ صـالحةٍ فِي شـهرِ رمضـانَ، فإنَّ بعضَ النَّاسِ يجتهدُ فِي العبادةِ فِي شـهرِ رمضانَ، فإذَا انقضَىٰ شهرُ رمضانَ تركَ هذَا الاجتهادَ، ورجعَ إلَىٰ مَا كانَ عليْهِ مِنَ التَّقصيرِ قبلَ رمضانَ، سُئِلَ بعضُ السَّلفِ عنْ قومٍ لَا يعرفونَ اللهَ إلَّا فِي رمضـانَ، قالَ: «بئسَ القومُ قومٌ لَا يعرفونَ اللهَ إلَّا فِي رمضانَ»، وربُّ رمضانَ هوَ ربُّ شوَّالَ وربُّ سائرِ الشُّهورِ، فلئنِ انقضَىٰ شهرُ رمضانَ فإنَّ عملَ المؤمنِ لَا ينقضِي قبلَ الموتِ، قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[(١)]، فلئِنِ انقضَىٰ صيامُ رمضـانَ، فصـيامُ النَّافلةِ مفتوحٌ طوالَ السَّـنةِ، مَا عدَا يومَيِ العيدينِ

(١) سورة الحجر (الآية: ٩٩).

وأيَّامِ التَّشريقِ، ومنْ ذلكَ صيامُ السِّتِّ مِنْ شَوَّالٍ فعنْ أَبِي أيُّوبٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»(١)، ومنْ ذلكَ: صيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ فعنْ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ**» وذكرَ منْهَا «**صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**»(٢).

ومنْ ذلكَ صيامُ يومِ الاثنينِ فقدْ سُئِلَ عنْهُ النَّبيُّ ﷺ فقالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**»(٣)، وسُئِلَ عنْ صومِ يومِ عرفةَ فقالَ: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ**»، وسُئِلَ عنْ صيامِ عاشوراءَ فقالَ: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**»(٤)، وسُئِلَ: أيُّ الصِّيامِ أفضلُ بعدَ شهرِ رمضانَ؟ قالَ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٦٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (١١٧٨)، ومسلم برقم: (٧٢١).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) المصدر السابق.
(٥) أخرجه مسلم برقم: (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ولئنِ انقضَىٰ قيامُ رمضانَ، فقيامُ اللَّيالِي مشروعٌ فِي جميعِ ليالِي السَّنةِ ففِي الصَّحيحينِ عنْ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

والرَّواتبُ التَّابعةُ للفرائضِ اثنتَا عشرةَ ركعةً: أربعٌ قبلَ الظُّهرِ وركعتانِ بعدَها، وركعتانِ بعدَ المغربِ، وركعتانِ بعدَ العشاءِ، وركعتانِ قبلَ صلاةِ الفجرِ، فعنْ أمِّ حبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: سمعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ تَعَالَىٰ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»(٢).

وهكذَا بالنِّسبةِ لبقيَّةِ الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتِي اعتادَهَا المسلمُ فِي رمضانَ، علَىٰ المسلمِ أنْ يستمرَّ عليْهَا بعدَ رمضانَ.

وعلَىٰ المسلمِ فِي ختامِ هذَا الشَّهرِ أنْ يسألَ اللهَ تعالَىٰ القَبولَ فإنَّ الصَّالحينَ مِنْ سلفِ هذهِ الأمَّةِ يعملونَ الأعمالَ الصَّالحةَ العظيمةَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٤٥)، ومسلم برقم: (٧٥٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٢٨).

ويخشــونَ ألَّا يُتقبَّلَ منهُمْ، رُوِيَ عنْ عليٍّ بنِ أبِي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّهُ كانَ يقولُ فِي آخرِ ليلةٍ مِنْ شــهرِ رمضــانَ: «يَا ليتَ شــعرِي مَنْ هذَا المقبولُ فَنُهَنِّيهِ، ومَنْ هذَا المحرومُ فنعزِّيهِ»[(١)].

وينبغِي للصَّائمِ معَ ختامِ الشَّهرِ أنْ يكثرَ مِنَ التَّوبةِ والاستغفارِ فبهِمَا تُختَمُ الأعمالُ الصَّالحةُ، كتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَىٰ الأمصارِ يأمرُهُمْ بختمِ شهرِ رمضانَ بالاستغفارِ وصدقةِ الفطرِ[(٢)].

ويبدأُ وقتُ التَّكبيرِ المطلقِ مِنْ غروبِ شــمسِ ليلةِ العيدِ إلَىٰ صــلاةِ العيدِ، وهوَ آكدُ مِنَ التَّكبيرِ ليلةَ عيدِ الأضــحَىٰ وعشــرِ ذِي الحجَّةِ؛ لأنَّ اللهَ تعالَىٰ ذكرَهُ فِي كتابِهِ الكريمِ فقالَ: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[(٣)]، ومنَ الأوقاتِ المناسبةِ لإظهارِ هذهِ الشَّعيرةِ: مَا بينَ الأذانِ والإقامةِ.

---

(١) لطائف المعارف (ص: ٢١٠).
(٢) لطائف المعارف (ص: ٢١٤).
(٣) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).



وعلَىٰ المسلمِ أنْ يحرصَ علَىٰ صلاةِ العيدِ: وهيَ فرضُ كفايةٍ، وأنْ يأخذَ زينتَهُ فيهَا ويلبسَ أحسنَ ملابسِهِ، وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يحرصُ علَىٰ التَّجمُّلِ ولبسِ أحسنِ ملابسِهِ يومَي العيدينِ، والسُّنَّةُ أنْ يأكلَ تمراتٍ وترًا قبلَ ذهابِهِ لمصلَّىٰ العيدِ، وأنْ يذهبَ لمصلَّىٰ العيدِ مِنْ طريقٍ ويعودَ لبيتِهِ مِنْ طريقٍ آخرَ كمَا وردَ ذلكَ عنِ النَّبيِّ ﷺ(١).

اللَّهمَّ اختمْ لنَا شهرَ رمضانَ برضوانِكَ، وامننْ علينَا بفضلِكَ وامتنانِكَ، وَأَعِدْهُ علينَا أعوامًا عديدةً ونحنُ علَىٰ طاعتِكَ، واجعلْنَا ممَّنْ صامَهُ وقامَهُ إيمانًا واحتسابًا فغفرْتَ ذنبَهُ، واجعلْنَا مِنْ عتقائِكَ مِنَ النَّارِ، والحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ.



(١) البخاري رقم: (٩٨٦).

• الدَّرسُ الحادِي والثَّلاثونَ •

أهميَّةُ العنايةِ بتحقيقِ التَّوحيدِ وصفاءِ العقيدةِ

الحمدُ للهِ ذِي العطاءِ والمننِ والجودِ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ رسولِهِ محمَّدٍ صاحبِ المقامِ المحمودِ والحوضِ المورودِ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، **وبعدُ:**

فإنَّ أوجبَ الواجباتِ وأهمَّ المهمَّاتِ إخلاصُ العبادةِ للهِ تعالَىٰ وحدَهُ وتحقيقُ التَّوحيدِ الَّذِي لأجلِهِ أرسلَ اللهُ الرُّسلَ وأنزلَ الكتبَ وهوَ حقُّ اللهِ الأعظمُ علَىٰ عبادِهِ؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، وقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢) وقدْ دلَّتْ هذهِ الآيةُ علَىٰ أنَّ الحكمةَ مِنْ إرسالِ الرُّسلِ هِيَ تحقيقُ التَّوحيدِ وإخلاصُ العبادةِ للهِ وأنَّ هذَا الدِّينَ هوَ أصلُ دينِ الأنبياءِ وإنِ اختلفَتْ شرائعُهُمْ.

---

(١) سورة الذاريات (الآية: ٥٦).
(٢) سورة الأنبياء (الآية: ٢٥).

عنْ معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

وعندَمَا نتأمَّلُ أحوالَ الأممِ السَّابقةِ الَّتِي بعثَ اللهُ إليهِمُ الأنبياءَ والرُّسلَ، نجدُ أنَّهُمْ كانُوا يعرفُونَ أنَّ اللهَ تعالَىٰ هوَ الخالقُ، الرَّازقُ، المدبِّرُ لهذَا الكونِ، كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٢)، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٣).

ولكنْ كانَ عندَ هذهِ الأممِ انحرافٌ فِي العقيدةِ فأرسلَ اللهُ تعالَىٰ الرُّسلَ، وأنزلَ الكتبَ لتصحيحِ عقائدِهِمْ، وتخليصِهَا مِنْ شوائبِ الشِّركِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٦٧)، ومسلم برقم: (٣٠).
(٢) سورة الزخرف (الآية: ٨٧).
(٣) سورة يونس (الآية: ٣١).

ومنْ هذهِ الانحرافاتِ أنَّ هذهِ الأممَ اتَّخذَتْ أصنامًا وتماثيلَ تتقرَّبُ إليْهَا بأنواعٍ مِنَ العبادةِ وكانُوا يعتقدُونَ أنَّ هذهِ الوسائطَ تشفعُ لهُمْ عندَ اللهِ سبحانَهُ تعالَىٰ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[2]، فأرسلَ اللهُ الرُّسلَ وبيَّنُوا أنَّهُ لَا يجوزُ اتِّخاذُ هؤلاءِ الوسائطِ، وأنَّ اللهَ ليسَ بينَهُ وبينَ عبادِهِ وسائطُ.

وفِي وقتِنَا الحاضرِ يُرَىٰ فِي بعضِ البلدانِ مظاهرُ الشِّركِ الأكبرِ نفسِهِ لكنِ استبدلُوا التَّقرُّبَ للأصنامِ بأنواعٍ مِنَ العبادةِ بالتَّقرُّبِ لأصحابِ القبورِ، فمنهُمْ مَنْ يطوفُ بالقبورِ ويسألُ أصحابَهَا المددَ وقضاءَ الحاجاتِ وتفريجَ الكرباتِ، ويجعلُونَ هذهِ القبورَ وسائطَ بينَهُمْ وبَيْنَ اللهُ سبحانَهُ، وهذَا هوَ الشِّركُ الأكبرُ، ومنْهُمْ مَنْ يذهبُ إلَىٰ السَّحرةِ والمشعوذينَ، أوْ يأتِي العَّرافِينَ والمنجِّمِينَ

---

(١) سورة يونس (الآية: ١٨).
(٢) سورة الزمر (الآية: ٣).

ويقعُ فِي الشِّركِ بالذَّبحِ لغيرِ اللهِ ونحوِ ذلكَ مِنَ المخالفاتِ الَّتِي تناقضُ أصلَ التَّوحيدِ.

وقدْ حذَّرَنَا اللهُ سبحانَهُ مِنَ الشِّركِ وبيَّنَ لنَا أنَّهُ أعظمُ الذُّنوبِ، فقالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2]، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وعنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخلَ النَّارَ**»[4].

ومنْ ماتَ علَىٰ التَّوحيدِ فمآلُهُ للجنَّةِ، حتَّىٰ وإنْ دخلَ النَّارَ وعُذِّبَ فيهَا، فلنْ يُخَلَّدَ فيهَا بلْ سيخرجُ منْهَا ويدخلُ الجنَّةَ برحمةِ أرحمِ

---

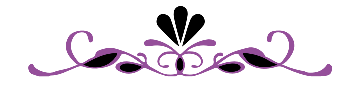
(١) سورة المائدة (الآية: ٧٢).
(٢) سورة النساء (الآية: ٤٨).
(٣) سورة لقمان (الآية: ١٣).
(٤) أخرجه مسلم برقم: (٩٣).

الرَّاحمينَ، وهذهِ هِيَ عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ أصحابَ الكبائرِ مِنْ أهلِ التَّوحيدِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ.

فمَنْ كانَ محققًا للتَّوحيدِ فهوَ علَىٰ خيرٍ وإلَىٰ خيرٍ كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ فِي الحديثِ القدسيِّ: «**مَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

ولكنَّ المصيبةَ فيمنْ وقعَ فِي الشِّركِ فقدْ حرَّمَ اللهُ عليْهِ دخولَ الجنَّةِ كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾(٢).

اللَّهمَّ جنِّبنَا الشِّركَ مَا كانَ ظاهرًا منهُ ومَا يخفَىٰ، ووفِّقْنَا لتحقيقِ التَّوحيدِ كمَا تحبُّ وترضَىٰ، ويسِّرْنَا لليسرَىٰ وجنِّبْنَا العسرَىٰ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سورة المائدة (الآية: ٧٢).

الدَّرسُ الثَّانِي والثَّلاثونَ

ثمراتُ الإحسانِ

الحمدُ للهِ الكريمِ الجوادِ، الملكِ الَّذِي تفرَّدَ بالخلقِ والإيجادِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ خيرِ العبادِ محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومنِ اهتدَىٰ بهديِهِ إلَىٰ يومِ المعادِ، **وبعدُ:**

فإنَّ مِنَ الأمورِ الَّتِي أمرَ اللهُ تعالَىٰ بِهِ عبادَهُ، وأخبرَ بأنَّهُ يحبُّ مَنِ اتَّصفَ بِهِ: الإحسانَ، قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[١]، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢].

وقدْ تكرَّرَ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣]، فِي القرآنِ العظيمِ خمسَ مرَّاتٍ، وهذَا يدلُّ علَىٰ فضلِ الإحسانِ، وعلَىٰ عظيمِ موقعِهِ مِنَ الدِّينِ، وأنَّهُ ينبغِي أنْ يحرصَ المسلمُ علَىٰ الاتِّصافِ بهِ، حتَّىٰ يكونَ مِنْ هؤلاءِ المحسنينَ الَّذينَ أخبرَ اللهُ تعالَىٰ بأنَّهُ يحبُّهُمْ.

---

(١) سورة النحل (الآية: ٩٠).

(٢) سورة البقرة (الآية: ١٩٥).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٣٤).

والإحسانُ يكونُ فِي عبادةِ اللهِ، ويكونُ فِي التَّعاملِ معَ الخلقِ.

أمَّا الإحسانُ فِي عبادةِ اللهِ: فقدْ جاءَ فِي حديثِ جبريلَ الطَّويلِ، وجاءَ فيهِ أنَّ جبريلَ قالَ: مَا الإحسانُ؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(١)]، **فذكرَ مرتبتينِ للإحسانِ فِي عبادةِ اللهِ:**

❖ **المرتبةَ الأولَى:** مرتبةَ الطَّلبِ والسُّؤالِ، أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فيستحضرُ العبدُ مراقبةَ اللهِ تعالَىٰ لهُ، واطِّلاعَهُ عليهِ، فإذَا قامَ إلَىٰ الصَّلاةِ مثلًا اجتهدَ فِي الخشوعِ فيهَا وكأنَّهُ يرَىٰ اللهَ تعالَىٰ أمامَهُ، فيستحضرُ عندَ الرُّكوعِ الخضوعَ للهِ، ويستحضرُ عندَ السُّجودِ أنَّهُ سجدَ تعظيمًا وخضوعًا وتذللًا للرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ.

❖ **المرتبةَ الثَّانيةَ:** مرتبةَ الخوفِ والهربِ، وهيَ دونَ المرتبةِ الأولَىٰ، أَي إنْ عجزْتَ عنْ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ فاعبدْهُ عبادةَ الخائفِ منهُ، فتعبدُ اللهَ تعالَىٰ وأنتَ تستحضرُ أنَّ اللهَ تعالَىٰ يراكَ ويطَّلعُ عليكَ، فتستحِي مِنْ نظرِ اللهِ إليكَ، فإذَا هممْتَ بمعصيةٍ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، ومسلم برقم: (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تذكَّرْتَ أنَّ اللهَ تعالَىٰ يراكَ فتركْتَهَا خوفًا مِنَ اللهِ تعالَىٰ، قالَ بعضُ السَّلفِ: «لَا تجعلِ اللهَ تعالَىٰ أهونَ النَّاظرينَ إليكَ».

ومنْ أعظمِ أسبابِ عدمِ الخشوعِ فِي الصَّلاةِ أوْ ضعفِهِ: غيابُ هذهِ المعانِي عنِ المصلِّي، وإلَّا فالمصلِّي الَّذِي يصلِّي كأنَّهُ يرَىٰ اللهَ تعالَىٰ أمامَهُ، ويستحضرُ عظيمَ مقامِ المناجاةِ بينَ يدَيْ ربِّ العالمينَ سيخشعُ فِي صلاتِهِ.

وأمَّا الإحسانُ إلَىٰ الخلقِ؛ فينبغِي أنْ يعوِّدَ المسلمُ نفسَهُ علَىٰ البذلِ والعطاءِ بكلِّ مَا يستطيعُ، بعلمِهِ ومالِهِ وجاهِهِ وبدنِهِ.

ويتأكَّدُ الإحسانُ إلَىٰ ذوِي الحاجاتِ مِنَ اليتامَىٰ والفقراءِ والأراملِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**»[(١)]، ويقولُ النَّبيُّ ﷺ فِي شأنِ كفالةِ اليتامَىٰ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**» وأشارَ بإصبعيْهِ السَّبَّابةِ والوسطَىٰ[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٧)، ومسلم برقم: (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٥) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وعنْ عائشــةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالَتْ: جاءَتْنِي مســكينةٌ تحملُ ابنتيْنِ لهَا، فأطعمْتُهَا ثلاثَ تمراتٍ، فأعطَتْ كلَّ واحدةٍ منْهُمَا تمرةً، ورفعَتْ إِلَىٰ فِيهَا تمرةً لتأكلَهَا، فاستطعمَتْهَا ابنتَاهَا، فشقَّتِ التَّمرةَ، الَّتِي كانَتْ تريدُ أنْ تأكلَهَا بينَهُمَا، فأعجبَنِي شـأنُهَا، فذكرْتُ الَّذِي صـنعَتْ لرسـولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»[(١)].

مَا أعظمَ جودَ اللهِ تعالَىٰ وإحسانَهُ لعبادِهِ، بسببِ تمرةٍ جادَتْ بهَا هذهِ المرأةُ المسكينةُ إِلَىٰ ابنتيْهَا أوجبَ اللهُ تعالَىٰ لهَا بهَا الجنَّةَ.

ويتأكَّدُ الإحسـانُ كذلكَ فِي حقِّ الغارمينَ المدينينَ الَّذينَ ابتلُوا بتراكُمِ الدُّيونِ عليْهِمْ، وأُودِعُوا فِي السُّـجونِ وانقطعُوا عنْ أطفالِهِم وأسرِهِم ضاقَتْ بِهِمُ الحيلُ وضاقَتْ بِهِمْ أنفسُهُمْ، وربَّمَا بعضُهُمْ يبقَىٰ قابعًا فِي السِّـجنِ لسـنواتٍ طويلةٍ، فمَا أعظمَ أجرَ مَنْ أحسـنَ إليْهِمْ وتسبَّبَ فِي قضاءِ ديونِهِم بنفسِهِ أوْ بجاهِهِ وشفاعتِهِ، وأعادَ هذَا الأبَ المسكينَ إِلَىٰ أطفالِهِ وأسرتِهِ، وأعظمُ مِنْ ذلكَ أنَّ الدَّائنَ نفسَهُ يحسنُ إِلَىٰ هذَا المعسـرِ، فيتجاوزُ عنهُ ويسـقطُ عنهُ الدُّيونَ الَّتِي لهُ فِي ذمَّتِهِ ابتغاءَ الأجرِ مِنَ اللهِ تعالَىٰ، عنْ أَبِي مسـعودٍ البدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قالَ: قالَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٣٠).

رسولُ اللهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ»(١).

وممَّا يتأكَّدُ الإحسانُ فيهِ مَنْ للإنسانِ عليْهِ سلطةٌ مِنَ الخدمِ والعُمَّالِ والسَّائقينَ ونحوِهم، فإنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يحتقرُهم، ويتعاملُ معَهُمْ بفظاظةٍ وغلظةٍ وسوءِ خلقٍ، وربَّمَا بخسَهم حقوقَهم، وهذَا الَّذِي يسيءُ إلَى هؤلاءِ ربَّمَا يسلِّطُ اللهُ عليْهِ مِنَ المصائبِ والبلايَا بسببِ ظلمِهِ وإساءتِهِ لهُمْ، وإذَا كانَ اللهُ تعالَى قدْ أوصَى بالإحسانِ إلَى المماليكِ وهمْ مماليكُ يباعُونَ ويشترُونَ! فكيفَ بهؤلاءِ الأحرارِ المسلمينَ الَّذينَ ألجأَهُمُ الفقرُ والحاجةُ للعملِ عندَكَ! يقولُ اللهُ تعالَى فِي شأنِ الإحسانِ للمماليكِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلَى قولِهِ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾(٢)، ومنْ بَخَسَ حقًّا لعاملٍ فإنَّ اللهَ تعالَى سيكونُ خصمَهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٦١).
(٢) سورة النساء (الآية: ٣٦).



يومَ القيامةِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وذكرَ منهُمْ: «**وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**»[١].

والإحسانُ لهُ مجالاتٌ عديدةٌ، ترجعُ هذهِ المجالاتُ إلَىٰ الإحسانِ بالقولِ، وإلَىٰ الإحسانِ بالفعلِ، وإلَىٰ الإحسانِ بالمالِ.

فالإحسانُ بالقولِ: بأنْ يختارَ الإنسانُ أطيبَ الكلامِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، فيعوِّدُ الإنسانُ لسانَهُ علَىٰ ألَّا يتكلَّمَ إلَّا بالجميلِ مِنَ القولِ معَ جميعِ النَّاسِ، ويتأكَّدُ ذلكَ فِي حقِّ مَنْ لهُ عليْهِ حقٌّ كالوالدينِ، فإنَّ اللهَ تعالَىٰ قالَ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٣].

وأمَّا الإحسانُ بالفعلِ: فبأنْ يعاملَ الإنسانُ النَّاسَ بمثلِ مَا يحبُّ أنْ يعاملُوهُ بِهِ، فكَمَا يحبُّ أنْ يعاملُوهُ بِهِ بالإكرامِ والاحترامِ فيعاملَهُمْ كذلِكَ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سورة الإسراء (الآية: ٥٣).
(٣) سورة الإسراء (الآية: ٢٣).



وأمَّا الإحســـانُ بالمالِ: فيكونُ بمســـاعدةِ ذوِي الحاجاتِ مِنَ الفقراءِ والمساكينِ والأراملِ ونحوِهم.

ومِنْ صُورِ الإحسانِ فِي رمضانَ: تفطيرُ الصَّائمينَ فمَنْ يدفعْ قيمةَ التَّفطيرِ فهوَ محســـنٌ، ومنْ يَقُمْ بالخدمةِ والإشـــرافِ علَىٰ موائدِ التَّفطيرِ فهوَ محسنٌ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مِنَ المحســـنِينَ الَّذينَ تحبُّهم ووفِّقْنَا لِمَا تحبُّ وترضَـــىٰ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المســـلمينَ، وصـــلَّىٰ اللهُ وســـلَّمَ وبارَكَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ.



• الدَّرسُ الثَّالثُ والثَّلاثونَ •

ثمراتُ التَّقوَى

الحمدُ للهِ الَّذي جعلَ التَّقوَىٰ سبيلَ نجاةِ العالمينَ، ووصَّىٰ بهَا الأوَّلينَ والآخرِينَ، وأخبرَ بأنَّهُ يحبُّ عبادَهُ المتَّقينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ إمامِ المتَّقينَ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الغرِّ الميامينِ، **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ التَّقوَىٰ وصيَّةُ اللهِ للأوَّلينَ والآخرينَ، قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1].

وهيَ مِنْ أوَّلِ مَا دعَا بِهِ المرسلونَ أقوامَهُمْ، كمَا ذكرَ اللهُ تعالَىٰ ذلكَ عنْ رسلِهِ:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[2]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[3]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[4]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء (الآية:١٣١).
(٢) سورة الشعراء (الآية: ١٠٦).
(٣) سورة الشعراء (الآية: ١٢٤).
(٤) سورة الشعراء (الآية: ١٦١).
(٥) سورة الشعراء (الآية: ١٧٧).

وأمرَ اللهُ بهَا نبيَّهُ ﷺ، فقالَ سبحانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾(١).

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يوصِي أصحابَهُ فِي خطبِهِ ومواعظِهِ؛ بتقوَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وقدْ تكرَّرَ الأمرُ بالتَّقوَىٰ فِي القرآنِ الكريمِ كثيرًا، حتَّىٰ قيلَ: إنَّ اللهَ تعالَىٰ لمْ يكرِّرِ الأمرَ بشيءٍ كمَا كرَّرَ الأمرَ بالتَّقوَىٰ.

وأنتَ أخِي فِي اللهِ: لَا يكادُ يمرُّ عليكَ عددٌ مِنَ الأيَّامِ إلَّا ويطرقُ سمعَكَ الأمرُ بتقوَىٰ اللهِ تعالَىٰ، فِي قراءتِكَ للقرآنِ الكريمِ، أوْ فِي قراءتِكَ للسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، أوْ فِي خطبةِ جمعةٍ أوْ غيرِهَا. ولَا شكَّ أنَّ تكرُّرَ هذَا الأمرِ وتردُّدَهُ، وعنايةَ اللهِ تعالَىٰ بِهِ، واتِّفاقَ الرُّسلِ فِي دعوةِ أقوامِهِم إليْهِ - يستدعِي أنْ يقفَ عندَهُ المسلمُ ويتأملَهُ ويتعرَّفَ علَىٰ فضلِهِ، وعلَىٰ صفاتِ أهلِهِ عسَىٰ أنْ يكونَ مِنَ المتَّقينَ الفائزينَ.

ومعنَى التَّقوَى: أنْ يجعلَ بينَهُ وبينَ مَا يخشَاهُ مِنْ غضبِ اللهِ تعالَىٰ وسخطِهِ وعقابِهِ وقايةً بفعلِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهِيهِ رغبةً ورهبةً.

---

(١) سورة الأحزاب (الآية:١).

وتقوَىٰ اللهِ يحتاجُهَا العبدُ كلَّ حينٍ وفِي أَيِّ مكانٍ؛ ولهذَا قالَ النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»(١).

تقوَىٰ اللهِ محلُّهَا القلبُ، كمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**التَّقْوَىٰ هَاهُنَا**» ويشيرُ إِلَىٰ صدرِهِ(٢)، ولكنْ يظهرُ أثرُهَا علَىٰ الجوارحِ، وبهذَا يتبيَّنُ خطأُ الَّذينَ ظنُّوا أنَّ تقوَىٰ اللهِ تعالَىٰ هِيَ الشُّعورُ الكامنُ فِي القلبِ الَّذِي لَا يتدخَّلُ فِي شؤونِ الجوارحِ، فتجدُ صاحبَ هذَا الظَّنِّ يقصِّرُ فِي الطَّاعاتِ، ويقعُ فِي أنواعٍ مِنَ المنكراتِ، ثمَّ إذَا قيلَ لهُ: اتَّقِ اللهَ، قالَ: التَّقوَىٰ هاهُنَا، وأشارَ إِلَىٰ صدرِهِ. وهذهِ كلمةُ حقٍّ أريدَ بهَا باطلٌ، فإنَّ مَا فِي القلبِ لَا بدَّ أنْ يظهرَ أثرُهُ علَىٰ الجوارحِ، وكمَا قيلَ: «كلُّ إناءٍ بمَا فيهِ ينضحُ»؛ فمنْ كانَتِ التَّقوَىٰ تعمرُ قلبَهُ لَا بدَّ أنْ يظهرَ أثرُهَا علَىٰ الجوارحِ فِي تعبُّدِهِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وفِي سمتِهِ، وفِي سلوكِهِ، وفِي تعاملِهِ معَ الآخرينَ.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٧) وقال: «حديث حسن صحيح».
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وتقوَىٰ اللهِ سبحانَهُ إذَا استقرَّتْ فِي القلوبِ، وارتسمَتْ بهَا الأقوالُ والأعمالُ والأحوالُ؛ أثمرَتْ وأعقبَتْ مِنَ الفضائلِ والفوائدِ والثِّمارِ شيئًا كثيرًا تصلحُ بهِ الدُّنيَا والآخرةُ، **ومنْ أبرزِ ثمراتِ التَّقوَى:**

١- أنَّ العبدَ ينالُ بهَا محبَّةَ اللهِ سبحانَهُ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

٢- نيلُ مرضاةِ اللهِ وجنَّتِهِ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

٣- أنَّهَا مِنْ أعظمِ أسبابِ مغفرةِ الذُّنوبِ وصلاحِ الأعمالِ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة (الآية:٤).
(٢) سورة النحل (الآيتين:٣١-٣٢).
(٣) سورةالأحزاب (الآيتين:٧٠-٧١).

٤- أنَّ أهلَ التَّقوَىٰ همْ أولياءُ اللهِ سبحانَهُ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

أخبرَ اللهُ تعالَىٰ بأنَّ لهُمُ البشرَىٰ فِي الحياةِ الدُّنيَا وفِي الآخرةِ:

أمَّا الَّذي فِي الآخرةِ: فالمرادُ بهَا الجنَّةُ الَّتي فيهَا مَا تشتهِيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ.

وأمَّا البشرى فِي الحياةِ الدُّنيَا: فتشملُ أمورًا كثيرةً منْهَا: حسنُ السُّمعةِ ومحبَّةُ النَّاسِ؛ وقدْ قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: أرأيْتَ الرَّجلَ يعملُ العملَ مِنَ الخيرِ، ويحمدُهُ النَّاسُ عليْهِ، قالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ**»[٢]، فمِنْ عاجلِ بشرَىٰ المؤمنِ: أنْ يُلقيَ اللهُ تعالَىٰ محبَّةَ هذَا الإنسانِ فِي قلوبِ النَّاسِ، وينالَ احترامَهُمْ وتوقيرَهُمْ.

ومِنْ عاجلِ بشرى المؤمنِ: الرُّؤيَا الصَّالحةُ يراهَا المؤمنُ، أوْ تُرَىٰ لَهُ.

---

(١) سورة يونس (الآيات:٦٢-٦٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٤٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



ومِنْ عاجلِ بشرى المؤمنِ: تيسيرُ أمورِهِ، وسَوْقُ الرِّزقِ لهُ مِنْ حيثُ لَا يحتسبُ.

٥- **أنَّها ميزانُ الكرامةِ عندَ اللهِ**، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[(١)]؛ فليسَ ميزانُ الكرامةِ الحسبَ ولَا النَّسبَ، ولَا المالَ، إنَّمَا التَّقوَىٰ، وعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قيلَ يَا رسولَ اللهِ: مَنْ أكرمُ النَّاسِ؟ قالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»[(٢)].

٦- **السِّعةُ فِي الرِّزقِ**، فاللهُ تعالَىٰ يرزقُ المتَّقيَ مِنْ حيثُ لَا يحتسبُ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[(٣)].

٧- **أنَّ اللهَ تعالَىٰ يباركُ للمتَّقِي فِي رزقِهِ**، وينزلُ عليْهِ بركاتٍ مِنَ السَّماءِ والأرضِ، كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الحجرات (الآية:١٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٥٣)، ومسلم برقم: (٢٣٧٨).
(٣) سورة الطلاق (الآيتين:٢-٣).
(٤) سورة الأعراف (الآية:٩٦).



٨- أنَّهَا سببٌ لتيسيرِ العسيرِ، وتفريجِ الكروبِ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[1]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[2].

والتَّقوَىٰ هوَ الَّذي لأجلِهِ شُرِعَ الصِّيامُ، كمَا قالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[3]، فبيَّنَ ربُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّهُ فرضَ الصِّيامَ لأجلِ تحقيقِ التَّقوَىٰ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مِنْ عبادِكَ المتَّقينَ واستعملْنَا فِي طاعتِكَ وأعِنَّا علَىٰ ذكرِكَ وشكرِكَ وحسنِ عبادتِكَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعِينَ.



(١) سورة الطلاق (الآية:٢).
(٢) سورة الطلاق (الآية:٤).
(٣) سورة البقرة (الآية:١٨٣).

• الدَّرسُ الرَّابعُ والثَّلاثونَ •

أسبابُ الثَّباتِ علَى الاستقامةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتَّقينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِهِ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ، **أمَّا بعدُ:**

فنسمعُ بأشخاصٍ كانُوا علَىٰ جانبٍ مِنَ الخيرِ والصَّلاحِ والاستقامةِ، إذَا رأيتَهُمْ أعجبَكَ سمتُهُمْ وأعجبَتْكَ أحوالُهُمْ وصلاحُهُمْ، ثمَّ إذَا بكَ تُفاجَأُ إذَا رأيتَهُمْ بعدَ مدَّةٍ مِنَ الزَّمنِ بأنَّ أحوالَهُمْ قدْ تغيَّرَتْ، وإذَا بهِمْ قدِ انضمُّوا إلَىٰ ركبِ المتساقطِينَ عنِ طريقِ الاستقامةِ، فمَا السَّببُ فِي انتكاسةِ هؤلاءِ، وتبدُّلِ أحوالِهِمْ؟ إنَّهَا الفتنةُ، إنَّ الإنسانَ قدْ يُفْتَنُ عنْ طريقِ الخيرِ والاستقامةِ.

وإنَّنَا نعيشُ فِي زمانٍ قدْ كثرَتْ فيهِ الفتنُ بأنواعِهَا: فتنُ شهواتٍ، وفتنُ شــبهاتٍ، وقدْ أخبرَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي أحاديثَ كثيرةٍ عنِ الفتنِ، وأخبرَ بأنَّ مِنْ أشــراطِ السَّــاعةِ ظهورَ الفتنِ، ولهذَا فإنَّ هذَا الموضــوعَ فِي غايةِ الأهمِّيَّةِ، فينبغِي للمســلمِ أنْ يتعرَّفَ علَىٰ حقيقةِ هذهِ الفتنِ وسبلِ الوقايةِ منْهَا.

وأبرزُ أسبابِ الثَّباتِ علَى الاستقامةِ:

١- قراءةُ القرآنِ الكريمِ وتدبُّرُ معانِيهِ، قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي وصــفِ المؤمنينَ الصَّــادقينَ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[١]، قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليسَ شــيءٌ أنفعَ للعبدِ فِي معاشِــهِ ومعادِهِ، وأقربَ إلَىٰ نجاتِهِ مِنْ تدبُّرِ القرآنِ وإطالةِ التَّأمُّلِ وجمعِ الفكرِ علَىٰ معانِي آياتِهِ، فإنَّهَا تُطْلِعُ العبدَ علَىٰ معالِمِ الخيرِ والشَّــرِّ بحذافيرِهَا، وعلَىٰ طرقاتِهما وأسبابِهما وغاياتِهما وثمراتِهما ومآلِ أهلِهما»[٢].

---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨٤).

٢-الارتباطُ بالصُّحبةِ الصَّالحةِ، فالإنسانُ بطبعِهِ يتأثَّرُ بجلسائِهِ وبمنْ حولَهُ، ولهذَا لوِ اختارَ الإنسانُ جلساءَ صالحينَ فإنَّهُ لَا بدَّ أنْ يتأثَّرَ بصلاحِهِمْ، وإنْ جلسَ معَ جلساءَ سيِّئينَ فلَا بدَّ أنْ يتأثَّرَ بهِمْ، ويقالُ: إنَّ أيَّ إنسانٍ يتأثَّرُ بأكثرِ خمسةِ جلساءَ يجالسُهم، وقدْ مثَّلَ النَّبيُّ ﷺ للجليسِ الصَّالحِ والجليسِ السَّيِّءِ بقولِهِ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»[(١)].

٣-مَا جاءَ فِي الحديثِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ»[(٢)]، وحفظُ اللهِ تعالَىٰ يكونُ بطاعتِهِ واجتنابِ معصيتِهِ أي أنْ يكونَ صادقًا في تَدَيُّنِهِ، فمنْ كانَ صادقًا معَ اللهِ فِي تديُّنِهِ فإنَّ اللهَ تعالَىٰ يحفظُهُ فِي أمورِ دينِهِ ودنيَاهُ، وحفظُ الدِّينِ أشرفُ مِنْ حفظِ الدُّنيَا، وحفظُ دينِهِ يعنِي أنَّ اللهَ تعالَىٰ يثبِّتُهُ ويعصمُهُ مِنَ الفتنِ، ولهذَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٤)، ومسلم برقم: (٢٦٢٨) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



فإنَّ معظمَ مَنْ يقعُ فِي الفتنةِ عندَهُ خللٌ فِي تديُّنِهِ، وإلَّا لوْ كانَ صادقًا معَ ربِّهِ لحَفِظَ اللهُ عليْهِ دِينَهُ وعَصَمَهُ مِنَ الفتنِ.

٤- **كثرةُ ذكرِ اللهِ**، قالَ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1]، وقالَ النَّبيُّ ﷺ كمَا فِي حديثِ أبِي موسَىٰ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»[2] وكثرةُ ذكرِ اللهِ تجعلُ العبدَ يرتبطُ بربِّهِ، ويقلُّ تعلُّقُه بالحياةِ الماديَّةِ، وهذَا ممَّا يعينُهُ علَىٰ الثَّباتِ علَىٰ الاستقامةِ.

٥- **الدُّعاءُ**، فينبغِي للمسلمِ أنْ يسألَ اللهَ كلَّ يومٍ الثَّباتَ علَىٰ دينِهِ، وأنْ يقولَ: يَا مقلِّبَ القلوبِ، ثبِّتْ قلبِي علَىٰ دينِكَ، ويَا مصرِّفَ القلوبِ، صرِّفْ قلبِي علَىٰ طاعتِكَ، اللَّهمَّ ثبِّتْنِي بالقولِ الثَّابتِ فِي الحياةِ الدُّنيَا وفِي الآخرةِ، ربِّ لَا تزغْ قلبِي بعدَ إذْ هديتَنِي وهبْ لِي مِنْ لدنْكَ رحمةً إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ، وأنْ يستعيذَ باللهِ مِنَ الفتنِ وقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»[3]، والإنسانُ

(١) سورة الأحزاب (الآية: ٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يبقَىٰ ضعيفًا وقدْ يقعُ فِي الفتنةِ مِنْ حيثُ لَا يشعرُ، وقدْ تعتريهِ حالةُ ضعفٍ فيقعُ فِي الفتنةِ مِنْ حيثُ لَا يشعرُ فعلَىٰ المسلمِ أنْ يضرعَ إلَىٰ اللهِ سبحانَهُ ويسألَهُ الثَّباتَ وأنْ يجنِّبَهُ الفتنَ.

٦-عدمُ التَّعرُّضِ للفتنِ، والابتعادُ عنْهَا وعنْ أسبابِهَا، قالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**سَتكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»(١)، أَيْ: مَنْ يتطلَّعْ لهَا يقعْ فيهَا. وقالَ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**»(٢) والمعنَىٰ مَنْ سمعَ بالدَّجَّالِ فليبتعدْ عنْهُ، وهذَا أصلٌ فِي الابتعادِ عنِ الفتنِ فلَا يتعرَّضُ المسلمُ للفتنِ، ولَا يستشرفُ لَهَا.

٧-قيامُ اللَّيلِ، فإنَّ قيامَ اللَّيلِ بمثابةِ الوقودِ الرُّوحيِّ للمسلمِ يخلُو فيهِ بربِّهِ ويناجِيهِ ويدعُوهُ ويستغفرُهُ، فالمحافظةُ عليهِ مِنْ أعظمِ أسبابِ الثَّباتِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠١)، ومسلم برقم: (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٤٣١٩)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٥١٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه».

ربَّنَا لَا تزغْ قلوبَنَا بعدَ إذْ هديْتَنَا وهبْ لنَا مِنْ لدنْكَ رحمةً إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ، وثبِّتْنَا بالقولِ الثَّابتِ فِي الحياةِ الدُّنيَا والآخرةِ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



• الدَّرسُ الخامسُ والثَّلاثونَ •

المرأةُ المسلمةُ فِي رمضانَ

الحمدُ للهِ الكبيرِ المتعالِ، جعلَ النِّساءَ شقائقَ الرِّجالِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أفضلِ أصحابٍ وآلٍ، **وبعدُ:**

فإنَّ الإسلامَ قدْ أكرمَ المرأةَ، وصانَ لهَا حقوقَهَا، وقدْ كانَتْ فِي الجاهليَّةِ مبتذلةً محتقرةً، وكانُوا يحرمونَهَا مِنَ الميراثِ، فأعزَّهَا اللهُ بدينِ الإسلامِ، فجعلَهَا الأمَّ الواجبَ علَىٰ أولادِهَا برُّهَا والإحسانُ إليْهَا، والبنتَ والأختَ والعمَّةَ والخالةَ الواجبَ صلتُهَا، والزَّوجةَ الواجبَ معاشرتُهَا بالمعروفِ، وكلَّمَا تقدَّمَ السِّنُّ بالمرأةِ زادَ احترامُ المجتمعِ المسلمِ لهَا، وانظرْ إلَىٰ المرأةِ الكبيرةِ أيَّامَ الأعيادِ كيفَ أنَّهَا تكونُ محلَّ حفاوةٍ كبيرةٍ مِنْ أولادِهَا وأحفادِهَا وأقاربِهَا.

والنِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ، والأصلُ أنَّهنَّ يجبُ عليهنَّ مِنَ العباداتِ مَا يجبُ علَىٰ الرِّجالِ إلَّا مَا خصَّهُ الدَّليلُ، فالصَّلاةُ الَّتِي

فرضَـــهَا اللهُ تعالَىٰ مُكَلَّفٌ بِهَا الرِّجالُ والنِّســاءُ، والزَّكاةُ والصِّــيامُ والحجُّ وغيرُهَا مِنَ العباداتِ.

والمرأةُ تشـتركُ معَ الرَّجلِ فِي تفاصيلِ أحكامِ الصِّيامِ، وتنفردُ عنِ الرَّجلِ بوجوبِ الفطرِ عندَ خروجِ دمِ الحيضِ أوِ النِّفاسِ، ومتَىٰ رأَتِ المرأةُ دمَ الحيضِ أوِ النِّفاسِ، فسدَ صومُهَا، سواءٌ كانَ ذلكَ فِي أوَّلِ النَّهارِ أمْ فِي آخرِهِ، حتَّىٰ ولوْ كانَ قبلَ غروبِ الشَّــمسِ بلحظةٍ، أمَّا إذَا أَحَسَّـــتْ بانتقالِ الدَّمِ لكنَّهُ لمْ يبرزْ إلَّا بعدَ الغروبِ، فإنَّ صومَهَا صحيحٌ.

والمرضـعُ والحاملُ يجوزُ لهُمَا الفطرُ فِي نهارِ رمضـــانَ إذَا احتاجَتَا لذلكَ، وإذَا أفطرَتَا فإنَّهما تقضـيانِ مَا أفطرَتاهُ، ولَا يلزمُهُمَا الإطعامُ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ؛ لقولِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[(١)]، وهذَا اختيارُ الشَّيخِ عبدِ العزيزِ ابنِ بازٍ[(٢)]، والشَّيخِ محمَّدِ بنِ عثيمينَ[(٣)] رحمَهُمَا اللهُ تعالَىٰ.

---

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

(٢) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن باز (١٥/ ٢٢٣، ٢٢٧).

(٣) ينظر: مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (١٩/ ١٥٩-١٦٠).

وصلاةُ التَّراويحِ مشروعةٌ للمرأةِ كالرَّجلِ، وصلاتُهَا فِي بيتِهَا أفضلُ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**»(١)، لكنْ إذَا كانَتِ المرأةُ تنشطُ فِي صلاتِها فِي المسجدِ أكثرَ مِنْ صلاتِهَا فِي البيتِ فصلاتُهَا فِي المسجدِ أفضلُ، وقدْ يعرضُ للمفضولِ مَا يجعلُهُ أفضلَ مِنَ الفاضلِ، وليسَ لزوجِهَا أنْ يمنعَهَا مِنَ الصَّلاةِ فِي المسجدِ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ**»(٢).

وعلَىٰ المرأةِ أنْ تحرصَ علَىٰ اللِّباسِ المحتشمِ السَّاترِ الَّذِي لَا يبدِي مفاتنَهَا، وجمالُ المرأةِ فِي حجابِهَا وسترِهَا وعفَّتِهَا، ولذلكَ عندَمَا تُمتدَحُ المرأةُ يقالُ: فلانةٌ امرأةٌ حريصةٌ علَىٰ الحجابِ، وعندَما تذكرُ العيوبَ يقالُ: فلانةٌ متساهلةٌ فِي الحجابِ.

وقدْ عَنيَتِ الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ بقضيَّةِ حجابِ المرأةِ عنايةً كبيرةً، ولمَّا رخَّصَ اللهُ للعجائزِ أنْ يضعْنَ ثيابَهن اشترطَ لذلكَ أنْ يكنَّ غيرَ متبرِّجاتٍ بزينةٍ فقالَ: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٥٦٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (١٦٨٤)، والنووي في خلاصة الأحكام برقم: (٢٣٥١).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٩٠٠)، ومسلم برقم: (٤٤٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّ﴾(١).

فإذَا كانَ هذَا فِي شأنِ العجائزِ اللَّاتِي بلغْنَ إلَىٰ درجةِ أنَّهنَّ لَا يرجونَ النِّكاحَ، ومعَ ذلكَ شرطَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لوضعِ ثيابِهنَّ أنْ يكنَّ غيرَ متبرِّجاتٍ بزينةٍ، ومعَ ذلكَ قالَ ربُّنا: ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّ﴾.

وعلَىٰ المرأةِ المسلمةِ أنْ تستحضرَ بأنَّ الحجابَ عبادةٌ تتقرَّبُ بهِ إلَىٰ ربِّهَا عَزَّوَجَلَّ، وليسَ مجرَّدَ عادةٍ.

ومنَ المسائلِ المتعلِّقةِ بالمرأةِ فِي شهرِ رمضانَ: انشغالُ المرأةِ أغلبَ وقتِهَا فِي إعدادِ الطَّعامِ، وهيَ معَ النِّيَّةِ الصَّالحةِ مأجورةٌ علَىٰ ذلكَ، لكنْ معَ الانشغالِ بإعدادِ الطَّعامِ ينبغِي أنْ تغتنمَ هذَا الوقتَ فِي ذكرِ اللهِ سبحانَهُ، فتُشغلَ نفسَهَا بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ، وخاصَّةً فِي رمضانَ، فإذَا فعلَتْ ذلكَ فإنَّهَا يكونُ لهَا أجرُ الذِّكرِ، وأجرُ القيامِ بشؤونِ زوجِهَا وأولادِهَا.

---

(١) سورة النور (الآية: ٦٠).



ومنَ المســائلِ المتعلِّقةِ بالمرأةِ فِي رمضــانَ: أنَّ المرأةَ إذَا أتَاهَا الحيضُ أوِ النِّفاسُ فينبغِي ألَّا تنقطعَ عنِ العبادةِ الَّتي ليسَـتْ ممنوعةً منْهَا، فالحائضُ فِي رمضـانَ هِيَ كغيرِ الحائضِ إلَّا أنَّهَا لَا تصـلِّي ولَا تصــومُ، فينبغِي أنْ تشــتغلَ بالذِّكرِ مِنَ التَّســبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ والصَّــلاةِ علَىٰ النَّبيِّ ﷺ والدُّعاءِ، وكذلكَ قراءةُ القرآنِ. فإنَّ الحائضَ ليسَــتْ ممنوعةً مِنْ قراءةِ القرآنِ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ، لكنْ ليسَ لهَا أنْ تمسَّ المصحفَ إلَّا مِنْ وراءِ حائلٍ كالقفَّازينِ.

اللَّهمَّ باركْ لنَا فِي نسـائِنَا، واجعلْهنَّ مِنَ الصَّـالحاتِ القانتاتِ، وبـاركْ لنَـا فِي أولادِنـا وأعمـارِنـا، واغفرْ لنَـا ولوالـدِينَـا ولجميعِ المسلمينَ.

وصــلَّىٰ اللهُ وســلَّمَ وباركَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصــحبِهِ أجمعِينَ.



الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ
أهمِّيَّةُ الصَّلاةِ وعظيمُ منزلتِهَا فِي الدِّينِ

الحمدُ للهِ الَّذي جعلَ الصَّلاةَ عمودَ دينِ الإسلامِ، ووعدَ المحافظِينَ عليْهَا بالثَّوابِ العظيمِ والأجرِ التَّامِّ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ خيرِ الأنامِ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ الكرامِ، **وبعدَ:**

فإنَّ عمودَ دينِ الإسلامِ وآكدُ أركانِهِ -بعدَ الشَّهادتينِ- الصَّلاةُ، وهيَ أوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عليْهِ العبدُ مِنْ أعمالِهِ يومَ القيامةِ، فإنْ صلحَتْ صلحَ سائرُ عملِهِ، وإنْ فسدَتْ فسدَ سائرُ عملِهِ.

وهيَ أحبُّ الأعمالِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ، ففِي الصَّحيحينِ عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: سألْتُ النَّبيَّ ﷺ: أَيُّ العملِ أحبُّ إلَىٰ اللهِ؟ قالَ: «**الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»[١].

وهيَ الصِّلةُ بينَ العبدِ وربِّهِ، فمَنْ قطعَ هذهِ الصِّلةَ ولمْ يركعْ للهِ ركعةً مِنْ جمعةٍ أوْ جماعةٍ فقدْ خرجَ عنْ دائرةِ الإسلامِ، يقولُ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٧)، ومسلم برقم: (٨٥).

تعالَىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[١]، فتأمَّلْ قولَ اللهِ: ﴿وَءَامَنَ﴾ ففِيهِ إشارةٌ إلَىٰ أنَّ مَنْ أضاعَ الصَّلاةَ فليسَ بمؤمنٍ.

ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٢]، ويقولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[٣].

وقدْ نقلَ التَّابعيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ شقيقٍ عنْ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهم كانُوا لَا يرَوْنَ شيئًا مِنَ الأعمالِ تركُهُ كفرٌ غيرَ الصَّلاةِ[٤]، ونقلَ إسحاقُ بنُ راهويهِ الإجماعَ مِنْ زمنِ الصَّحابةِ إلَىٰ زمنِهِ علَىٰ كفرِ تاركِ الصَّلاةِ[٥].

---

(١) سورة مريم (الآيتين: ٥٩-٦٠).
(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٢١)، والنسائي برقم: (٤٦٣)، وابن ماجه برقم: (١٠٧٩) من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (١٤٥٤)، والحاكم في المستدرك برقم: (١١).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٨٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٢٢).
(٥) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٩).



وإنَّ مَنْ ينظرُ إلَىٰ عنايةِ الشَّــريعةِ بهذهِ العبادةِ لَا يعجبُ حينَمَا يقالُ: إنَّ مَنْ تركَ الصَّلاةَ بالكلِّيَّةِ فقدْ كفرَ وخرجَ عنْ دائرةِ الإسلامِ.

ومنْ كانَ يصلِّي أحيانًا ويتركُ الصَّلاةَ أحيانًا، فلَا يكفرُ علَىٰ القولِ الرَّاجحِ، لكنَّهُ يكونُ مِنَ السَّـــاهينَ الَّذينَ توعَّدَهم اللهُ تعالَىٰ بقولِهِ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾(١).

▪ ومِنْ عنايةِ الشَّــريعةِ بهذهِ العبادةِ العظيمةِ؛ أنَّها أوَّلُ مَا فُرِضَــتْ فُرِضَــتْ فِي السَّـــماءِ، فأُسْــرِيَ بنبيِّنا ﷺ مِنَ المســجدِ الحرامِ إلَىٰ المسجدِ الأقصَىٰ، ثمَّ عُرِجَ بهِ إلَىٰ السَّماءِ، حتَّىٰ جاوزَ السَّبعَ الطِّباقَ، وحتَّىٰ وصــلَ إلَىٰ ســدرةِ المنتهَىٰ، وفرضَ اللهُ عليْهِ وعلَىٰ أمَّتِهِ هذهِ العبادةَ العظيمةَ، ولمَّا فرضَــها اللهُ عليهِ، وعلَىٰ أمَّتِهِ فرضَــهَا خمســينَ صــلاةً فِي اليومِ واللَّيلةِ، ومنْ رحمةِ اللهِ بهذهِ الأمَّةِ أنْ قيَّضَ موسَــىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فســأَلَ نبيَّنَا ﷺ مَا فرضَ ربُّكَ علَىٰ أمَّتِكَ؟ قالَ: «**خَمْسِــينَ صَــلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، قَالَ مُوسَــىٰ: إِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ**

---

(١) سورة الماعون (الآيتين: ٤-٥).

قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فكانَ فِي هذَا رحمةٌ بهذِهِ الأمَّةِ، وكانَتْ مشورةً عظيمةً مِنْ موسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لنبيِّنَا ﷺ فرجعَ نبيُّنَا ﷺ إِلَىٰ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فسألَهُ التَّخفيفَ عنْ أمَّتِهِ، فحطَّ عنهُ عشرًا، ثمَّ مَا زالَ يراجعُ ربَّهُ حتَّىٰ أصبحَتْ خمسَ صلواتٍ فِي اليومِ واللَّيلةِ، فقالَ موسَىٰ: ارجعْ إِلَىٰ ربِّكَ فاسألْهُ التَّخفيفَ، قالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَىٰ وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَىٰ مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا»(١)، فهيَ خمسٌ فِي الفعلِ، خمسونَ فِي الميزانِ، فكانَ التَّخفيفُ إنَّما هوَ تخفيفٌ فِي الفعلِ، وأمَّا فِي الأجرِ والثَّوابِ فإنَّها لمْ تُخفَّفْ، فأجرُ هذهِ الصَّلواتِ الخمسِ الَّتِي نصلِّيهَا أجرُ خمسينَ صلاةً، ثمَّ يأتِي بعدَ ذلكَ التَّضعيفُ، الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إِلَىٰ أضعافٍ كثيرةٍ.

فانظرُوا إِلَىٰ العنايةِ العظيمةِ بهذِهِ العبادةِ، ويظهرُ ذلكَ مِنْ وجوهٍ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٧، ٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❖ **الوجهِ الأوَّلِ:** أنَّها لَمَّا فُرِضَتْ فُرِضَتْ مِنَ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ ﷺ مباشرةً، بينَمَا بقيَّةُ فرائضِ الإسلامِ تُفْرَضُ مِنَ اللهِ علَىٰ نبيِّنَا ﷺ بواسطةِ جبريلَ.

❖ **الوجهِ الثَّانِي:** أنَّها لَمَّا فُرِضَتْ فُرِضَتْ خمسينَ صلاةً فِي اليومِ واللَّيلةِ، وخمسونَ صلاةً فِي أربعٍ وعشرينَ ساعةً تستغرقُ مِنَ الإنسانِ وقتًا كبيرًا، ولكنَّ هذَا يدلُّ علَىٰ محبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لهذَا النَّوعِ مِنَ التَّعبُّدِ.

❖ **الوجهِ الثَّالثِ:** أنَّها فُرِضَتْ فِي ذلكَ المكانِ الرَّفيعِ وهوَ أعلَىٰ مكانٍ وصلَهُ البشرُ.

❖ **الوجهِ الرَّابعِ:** أنَّها لَمَّا خُفِّفَتْ كانَ التَّخفيفُ فِي الفعلِ، ولَمْ تُخفَّفْ فِي الأجرِ والثَّوابِ.

وقدْ كانَ الصَّحابةُ يحرصونَ علَىٰ الصَّلاةِ غايةَ الحرصِ؛ لعلمِهم بعظيمِ شأنِها ومنزلتِها فِي الإسلامِ، حتَّىٰ إنَّ الواحدَ منْهُمْ إذَا مرضَ وهوَ معذورٌ فِي تركِهِ لصلاةِ الجماعةِ يُؤْتَىٰ بهِ يُهَادَىٰ بينَ الرَّجلينِ حتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ، كمَا قالَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ولقدْ رَأَيْتُنَا

-يعنِي الصَّحابةَ- ومَا يتخلَّفُ عنْهَا إلَّا منافقٌ معلومُ النِّفاقِ، ولقدْ كانَ الرَّجلُ يُؤتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بينَ الرَّجلينِ حتَّىٰ يقامَ فِي الصَّفِّ»[1]، سبحانَ اللهِ! رجلٌ مريضٌ، لَا يستطيعُ أنْ يمشيَ ويأتيَ للمسجدِ، ومعَ ذلكَ يصرُّ علَىٰ أنْ يأتيَ للمسجدِ، ويُهَادَىٰ بينَ الرَّجلينِ، أَيْ: يُعْضَدَ لَهُ عنْ يمينِهِ، وعنْ شمالِهِ حتَّىٰ يقامَ فِي الصَّفِّ، لكيْ يدركَ الصَّلاةَ معَ الجماعةِ فِي المسجدِ.

ولمَّا طُعِنَ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمْ يقطعِ الصَّحابةُ الصَّلاةَ، وإنَّما أخذَ عمرُ بيدِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقدَّمَهُ، وأتمَّ بهِمْ صلاةً خفيفةً[2].

وقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا حظَّ فِي الإسلامِ لمنْ تركَ الصَّلاةَ»[3]، وكانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتبُ إلَىٰ عُمَّالِهِ فيقولُ: «إنَّ أهمَّ أمرِكم عندِي الصَّلاةُ، فمنْ حفظَهَا وحافظَ عليْهَا حفظَ دينَهُ، ومنْ ضيَّعَهَا فهوَ لِمَا سواهَا أضيعُ»[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٥٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠٠).
(٣) أخرجه مالك برقم: (٥١).
(٤) أخرجه مالك برقم: (٦).

والشَّيطانُ للإنسانِ بالمرصادِ، فهوَ أوَّلًا: يحرصُ علَىٰ أنْ يهوِّنَ عليْهِ شأنَ الصَّلاةِ حتَّىٰ يتركَهَا، فإنْ تركَها فقدِ استراحَ منْهُ، ثمَّ إنْ لمْ يتركْها فإنَّهُ يحرصُ علَىٰ أنْ يهوِّنَ عليْهِ صلاةَ الجماعةِ فِي المسجدِ فيتثاقلَ عنْهَا أوْ عنْ بعضِ الصَّلواتِ؛ كصلاةِ الفجرِ، فإنْ عجزَ عنْهُ فإنَّهُ يهوِّنُ عليْهِ شأنَ التَّبكيرِ إلَىٰ الصَّلاةِ حتَّىٰ يتأخَّرَ عنْهَا، ثمَّ إنْ عجزَ عنْهُ فإنَّهُ يقبلُ عليْهِ بالوساوسِ حتَّىٰ يشوِّشَ عليْهِ صلاتَهُ فلَا يخشعَ فِيهَا.

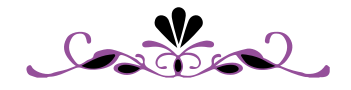
والسَّببُ الرَّئيسيُّ للتَّساهلِ بالصَّلاةِ والَّذِي تتفرَّعُ عنهُ بقيَّةُ الأسبابِ هوَ: قلَّةُ الاهتمامِ بهَا، وإلَّا فلوْ كانَتِ الصَّلاةُ أكبرَ اهتماماتِ الإنسانِ فإنَّهُ سيحافظُ عليْهَا، أمَّا عندَمَا تكونُ الصَّلاةُ ليسَ لهَا كبيرُ أهمِّيَّةٍ فِي حياةِ الإنسانِ، ويجعلُها علَىٰ الهامشِ، إنِ اتَّسعَ لهُ الوقتُ صلَّىٰ، وإلَّا لمْ يصلِّ أوْ صلَّاهَا بعدَ خروجِ وقتِهَا، فهذَا لنْ يحافظَ علَيْهَا بلْ سيجدُ ثقلًا وتكاسلًا عنْهَا، معَ أنَّ هذَا الإنسانَ ربَّمَا تجدُهُ فِي أمورِ دنيَاهُ حريصًا عليْهَا، لَا يتأخَّرُ عنْ



وظيفتِهِ، حريصًا علَىٰ الأخذِ بأسبابِ الرِّزقِ، ولكنْ عندَمَا تتأمَّلُ فِي واقعِهِ بالنِّسبةِ للصَّلاةِ تجدُ أنَّ عندَهُ تقصيرًا وتساهلًا كبيرًا بشأنِ الصَّلاةِ.

اللَّهمَّ اجعلْنَا مقيمِي الصَّلاةِ، ومنْ ذرِّيَّاتِنَا، ربَّنَا تقبَّلْ دعاءَنَا، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منْهُمْ والميِّتينَ.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



• الدَّرسُ السَّابعُ والثَّلاثونَ •

قصَّةُ خلقِ الإنسانِ

الحمدُ للهِ الرَّحمنِ خلقَ الإنسانَ وعلَّمَه البيانَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ رسولِهِ محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ حملةِ العلمِ والقرآنِ، **وبعدُ:**

فمنَ المواضيعِ الَّتي تكرَّرَ ذكرُها فِي القرآنِ الكريمِ: مبتدأُ خلقِ الإنسانِ، فقدْ ذكرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مبسوطًا ومجملًا فِي عدَّةِ مواضعَ مِنَ القرآنِ الكريمِ؛ وذلكَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمَّا أرادَ أنْ يخلقَ الإنسانَ أخبرَ ملائكتَهُ بذلكَ، كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة (الآية:٣٠).

ولمَّا خلقَ اللهُ أبانَا آدمَ أرادَ أنْ يظهرَ شرفَهُ وفضلَهُ للملائكةِ، بأمرينِ:

❖ **الأمرُ الأوَّلُ:** أنَّ اللهَ تعالَىٰ علَّمَهُ أسماءَ كلِّ شيءٍ، ثمَّ عرضَهُمْ علَىٰ الملائكةِ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١]، فأظهرَ اللهُ تعالَىٰ شرفَ أبينَا آدمَ بأشرفِ صفةٍ فِي الإنسانِ، وهيَ العلمُ.

❖ **الأمرُ الثَّانِي:** أنَّ اللهَ تعالَىٰ أمرَ الملائكةَ بالسُّجودِ لآدمَ تكريمًا لَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[٢]، فسجدَ الملائكةُ لَهُ، واستكبرَ إبليسُ وقالَ: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٣]، فعصَىٰ ربَّهُ فلعنَهُ اللهُ تعالَىٰ وطردَهُ، كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة (الآيات:٣١-٣٣).
(٢) سورة البقرة (الآية:٣٤).
(٣) سورة الأعراف (الآية:١٢).
(٤) سورة ص (الآية:٧٨).



ثمَّ إنَّ اللهَ تعالَىٰ خلقَ مِنْ آدمَ زوجَهُ حوَّاءَ، مِنْ ضلعٍ مِنْ أضلاعِهِ، وأمرَهُمَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ بأنْ يسكنَا الجنَّةَ، وأنْ يأكلَا منْهَا رغدًا حيثُ شاءَا: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وأخبرَهُمَا بأنَّ الشَّيطانَ عدوٌّ لهُمَا: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[2]، ومعَ هذَا التَّحذيرِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لهُمَا إلَّا أنَّ الشَّيطانَ أتَىٰ إليْهِمَا بأسلوبٍ خبيثٍ وماكرٍ، وهوَ الَّذي يستخدمُهُ معَ بنِي آدمَ، فأتَىٰ نقطةَ الضَّعفِ عندَ الإنسانِ، وهيَ الطَّمعُ والحرصُ، فقالَ: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[3]، ولمْ يكتفِ بهذَا بلْ أقسمَ لهُمَا باللهِ العظيمِ إنَّهُ لمنَ النَّاصحينَ كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة (الآية:٣٥).
(٢) سورة طه (الآية:١١٧).
(٣) سورة الأعراف (الآية:٢٠).
(٤) سورة الأعراف (الآية:٢١).

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[١] أَيْ: غرَّهُمَا وخدعَهُمَا، فأكلَا مِنَ الشَّجرةِ، فلمَّا أكلَا منْهَا طارَ عنْهُمَا لباسُ الجنَّةِ، كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾[٢]، وقولُهُ: (بَدَتْ)، أَيْ: ظهرَتْ، و(سَوْآتُهُمَا)، يعنِي: عورتُهمَا، والعورةُ تُسمَّىٰ سوأةً لأنَّهُ يسوءُ الإنسانَ كشفُهَا بفطرتِهِ.

فلمَّا انكشفَتْ عورتُهُمَا فزعَا، ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾[٣] أَيْ: جعلَا يأخذانِ مِنْ ورقِ الجنَّةِ ويسترانِ عورتَهُمَا، وعرَفَا بأنَّ هذَا اللَّعينَ الخبيثَ إبليسَ قدْ غرَّهما، فجعلَا يبكيانِ نادِمَيْنِ ولمْ يعرِفَا كيفَ يتوبَانِ، فتلقَّىٰ آدمُ مِنْ ربِّهِ كلماتٍ يقولُهَا هوَ وحوَّاءُ، فتابَ اللهُ تعالَىٰ عليهِمَا، وهذهِ الكلماتُ هِيَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٤]، وجعلَا يقولَانِهَا ويكرِّرَانِهَا، فتابَ اللهُ عليْهِمَا.

---

(١) سورة الأعراف (الآية:٢٢).
(٢) سورة الأعراف (الآية:٢٢).
(٣) سورة الأعراف (الآية:٢٢).
(٤) سورة الأعراف (الآية:٢٣).

ولذلكَ أفضـلُ كلماتٍ يقولُهَا التَّائبُ هِيَ هذهِ الكلماتُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وتـابَ اللهُ علَىٰ آدمَ وحوَّاءَ، وأمَّـا إبليسُ فقدْ لعنَهُ وطردَهُ؛ لأنَّ إبليسَ لمْ يطلبِ التَّوبةَ أصـلًا، وإنَّمَا فقطْ توعَّدَ آدمَ، وسـأَلَ اللهَ أنْ ينظرَهُ لأجلِ أنْ يغويَ آدمَ وبنِيهِ لأنَّهُ يرَىٰ أنَّهم همُ السَّـببُ فِي لعنِهِ وطردِهِ.

ثـمَّ إنَّ اللهَ بـحكـمتِـهِ البـالـغـةِ قـالَ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾[1]، والخطابُ متوجِّهٌ لآدمَ وحوَّاءَ وإبليسَ، وقدِ اختارَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هـذَا الكوكبَ: الأرضَ، وهيَّأَهُ قبلَ ذلكَ لسكنَىٰ بنِي آدمَ، فأهبطَ اللهُ تعالَىٰ أبانَا آدمَ وأمَّنا حوَّاءَ إلَىٰ الأرضِ ومعَهم إبليسُ، ثمَّ بعدَ ذلكَ تناسـلَ البشرُ.

هذهِ هِيَ قصَّـةُ مبتدإِ الخلقِ، بيَّنَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لنَا فِي كتابِهِ الكريمِ أوضحَ بيانٍ، فينبغِي أنْ نأخذَ منْهَا الدُّروسَ والعبرَ، **ومنْ ذلكَ:**

---

(١) سورة البقرة (الآية:٣٨).

■ عداوةُ الشَّيطانِ القديمةُ للإنسانِ، فالشَّيطانُ عدوٌّ للإنسانِ، لَا يريدُ لهُ الخيرَ، بلْ يريدُ لهُ الغوايةَ، وأنْ يدخلَ معهُ النَّارَ.

■ ومنْهَا: أنَّ الشَّيطانَ لهُ أساليبُ ماكرةٌ وخبيثةٌ علَىٰ ابنِ آدمَ، فلَا يأتِي الإنسانَ بطريقٍ مباشرٍ لإيقاعِهِ فِي المعصيةِ، لكنَّهُ يأتِيهِ بطرقٍ ماكرةٍ، وينظرُ إلَىٰ نقاطِ الضَّعفِ عندَهُ، ويغوِيهِ عنْ طريقِهَا، ولهذَا قالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١).

■ ومنْهَا: أنَّهُ ليسَ كلُّ مَنِ ادَّعَىٰ النُّصحَ يكونُ ناصحًا، فإبليسُ أقسمَ باللهِ لآدمَ وحوَّاءَ بأنَّهُ لهُمَا لمنَ النَّاصحينَ.

■ ومنْهَا: أنَّهُ مَنْ أقبلَ إلَىٰ اللهِ تائبًا تابَ اللهُ عليْهِ مهْمَا كانَ الذَّنبُ، فآدمُ وحوَّاءُ لَمَّا أكلَا مِنَ الشَّجرةِ تابَا إلَىٰ اللهِ فتابَ اللهُ عليْهِمَا.

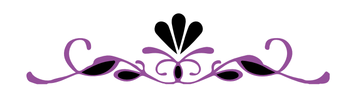
■ ومنْهَا: شؤمُ المعصيةِ، فآدمُ وزوجُهُ كانَا يتنعَّمانِ فِي الجنَّةِ

---

(١) سورة فاطر (الآية:٦).

بأنواعِ النَّعيمِ، وبمجرَّدِ الوقوعِ فِي المعصيةِ بالأكلِ مِنَ الشَّجرةِ طارَ عنْهُما لباسُ الجنَّةِ وانكشفَتْ عوراتُهُمَا، وجعلَا يستَرانِهَا بورقِ الجنَّةِ.

اللَّهمَّ أعذْنَا مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وأعِنَّا علَىٰ ذكرِكَ وشكرِكَ وحسنِ عبادتِكَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



الدَّرسُ الثَّامنُ والثَّلاثونَ

وزنُ الأعمالِ يومَ القيامةِ

الحمدُ للهِ فاطرِ الأرضِ والسَّماواتِ، عالمِ الأسرارِ والخفيَّاتِ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، يعلمُ مَا بينَ أيدِيهِمْ ومَا خلفَهُمْ ولَا يحيطُونَ بهِ علمًا، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ رسولِهِ محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا. **أمَّا بعدُ:**

فيقولُ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

يخبرُنَا ربُّنَا عَزَّوَجَلَّ فِي هذهِ الآيةِ عنِ الميزانِ الَّذي تُوزَنُ بهِ أعمالُ العبادِ يومَ القيامةِ، فيقولُ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أَيْ: ونضعُ الموازينَ العدلَ ليومِ القيامةِ، وهوَ ميزانٌ دقيقٌ جدًّا يزنُ كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

---

(١) سورة الأنبياء (الآية:٤٧).

وإذَا كانَ النَّاسُ اليومَ يعرفونَ أنَّ أدقَّ موازينِ الدُّنيَا هوَ ميزانُ الذَّهبِ، فإنَّ ميزانَ يومِ القيامةِ أدقُّ منْهُ، فهوَ يزنُ مثقالَ حبَّةٍ مِنَ الخردلِ، ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾، ويزنُ مثقالَ الذَّرَّةِ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[(١)].

وقدْ دلَّتِ السُّنَّةُ علَىٰ أنَّ ميزانَ الأعمالِ لهُ كِفَّتانِ حسِّيَّتانِ، توضعُ الحسناتُ فِي كفَّةٍ، والسَّيِّئاتُ فِي الكفَّةِ الأخرَىٰ، ثمَّ توزنُ، فإنْ ثقلَتْ كفَّةُ الحسناتِ ولوْ بحسنةٍ واحدةٍ كانَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ، وإنْ رجحَتْ كفَّةُ السَّيِّئاتِ ولوْ بسيِّئةٍ واحدةٍ كانَ مِنْ أهلِ النَّارِ إلَّا أنْ يعفوَ اللهُ عنْهُ، كمَا قالَ سبحانَهُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[(٢)].

---

(١) سورة الزلزلة (الآيتين: ٧، ٨).
(٢) سورة الأعراف (الآية:٨، ٩).

ويقولُ سبحانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[١].

فيَا أخِي المسلمُ، استحضرْ عندَ فعلِ أَيِّ طاعةٍ أنَّكَ ترجُو أنْ تكونَ فِي كفَّةِ ميزانِ الحسناتِ، وفِي المقابلِ استحضرْ أنَّ كلَّ مَا يقعُ منْكَ مِنْ معصيةٍ يكونُ فِي كفَّةِ ميزانِ السَّيِّئاتِ.

وهذَا الاستحضارُ يشجِّعُ المسلمَ علَىٰ فعلِ مزيدٍ مِنَ الطَّاعاتِ، فهوَ فِي كلِّ يومٍ يحرصُ علَىٰ أنْ يضعَ فِي كفَّةِ ميزانِ الحسناتِ مزيدًا مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ حتَّىٰ تثقلَ، ويجعلُ المسلمَ يكفُّ عنْ فعلِ المعاصِي، فهوَ يحرصُ علَىٰ ألَّا يضعَ فِي كفَّةِ ميزانِ السَّيِّئاتِ ذنوبًا وسيئاتٍ تُثقِلُ كفَّةَ ميزانِ السَّيِّئاتِ.

ومنْ رجحَتْ كفَّةُ حسناتِهِ فهوَ المفلحُ، ثمَّ درجةُ هذَا الفلاحِ تكونُ بحسبِ أعمالِهِ، فيكونُ فِي أعلَىٰ درجاتِ الجنَّةِ أوْ فِي أدناهَا،

---

(١) سورة القارعة (الآيات:٦-١١).

أَوْ فيمَا بينَهُمَا، وإنْ رجحَتْ كفَّةُ السَّيِّئاتِ فهوَ الخاسرُ، وهذَا الخسرانُ يكونُ كذلكَ بحسبِ أعمالِهِ، فإمَّا أنْ يكونَ فِي الدَّركِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ، أَوْ يكونَ مِنْ أقلِّ أهلِ النَّارِ عذابًا أَوْ فيمَا بينَهُمَا.

والنَّاسُ عندَ الميزانِ ينقسمونَ إلَى أقسامٍ:

- فمنْهُمْ: أناسٌ ترجحُ كفَّةُ حسناتِهِمْ فيكونونَ فِي الجنَّةِ.
- ومنْهُمْ: أناسٌ ترجحُ كفَّةُ سيِّئاتِهِمْ فهمْ مستحقُّونَ عذابَ النَّارِ إلَّا أنْ يعفوَ اللهُ تعالَىٰ علَىٰ مَنْ شاءَ منْهُمْ.
- ومنْهُمْ: أناسٌ تساوَتْ حسناتُهُمْ وسيِّئاتُهُمْ، فلَا تزيدُ كفَّةُ الحسناتِ ولوْ بحسنةٍ واحدةٍ، ولَا تزيدُ كفَّةُ السَّيِّئاتِ ولوْ بسيِّئةٍ واحدةٍ، هؤلاءِ همْ أهلُ الأعرافِ يكونونَ فِي مكانٍ عالٍ مرتفعٍ يرونَ النَّارَ ويرونَ الجنَّةَ، يبقونَ فيهِ مَا شاءَ اللهُ، وفِي النِّهايةِ يدخلونَ الجنَّةَ برحمةِ أرحمِ الرَّاحمينَ. وهذَا مِنْ تمامِ عدلِ اللهِ تعالَىٰ: أنَّهم لَا يتساوونَ معَ أهلِ الجنَّةِ الَّذينَ ثقلَتْ كفَّةُ حسناتِهم فِي دخولِ الجنَّةِ، بلْ يتأخَّرونَ عنْهُمْ كمَا ذكرَ اللهُ تعالَىٰ شأنَهُمْ فِي سورةِ الأعرافِ.

ووزنُ الأعمالِ بهذهِ الدِّقَّةِ المتناهيةِ يدلُّ علَىٰ عظيمِ عدلِ اللهِ تعالَىٰ.

والإنسانُ فِي الآخرةِ يرَىٰ كلَّ شيءٍ مرتَّبًا علَىٰ مَا عملَ فِي هذهِ الدُّنيَا، ويرَىٰ تمامَ عدلِ اللهِ سبحانَهُ كمَا قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، فالدَّارُ الآخرةُ هِيَ دارُ الجزاءِ، وهيَ دارُ العدالةِ المطلقةِ، وأمَّا الدُّنيَا فليسَتْ بدارِ عدالةٍ بلْ فيهَا ظالمٌ ومظلومٌ؛ لأنَّهَا ليسَتْ بدارِ جزاءٍ.

والأعمالُ الصَّالحةُ تتفاوتُ فِي تثقيلِ كفَّةِ ميزانِ الحسناتِ، ومِنْ أعظمِ مَا يثقلُ بِهِ ميزانُ العبدِ يومَ القيامةِ أمورٌ، منْهَا:

- **التَّوحيدُ الخالصُ**، فعنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ،**

(١) سورة غافر (الآية:١٧).

فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

فانظرُوا إلَىٰ عظيمِ شأنِ التَّوحيدِ وأنَّهُ مِنْ أعظمِ مَا يُثَقِّلُ ميزانَ العبدِ يومَ القيامةِ.

▪**ومنْ ذلكَ: حسنُ الخُلُقِ**، فعنْ أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ**»(٢)، وإنَّمَا كانَ الخلقُ الحسنُ مِنْ أثقلِ مَا يكونُ فِي الميزانِ؛ لأنَّهُ يصحبُهُ أعمالٌ صالحةٌ كثيرةٌ مِنْ إلقاءِ السَّلامِ، وحسنِ المعاملةِ، وكفِّ الأذَىٰ، والقيامِ بحقوقِ المسلمينَ وغيرِ ذلكَ.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٣٩)، وابن ماجه برقم: (٤٣٠٠)، وأحمد برقم: (٦٩٩٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن». وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٢٢٥)، والحاكم في المستدرك برقم: (٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٩٩)، والترمذي برقم: (٢٠٠٢)، وأحمد برقم: (٢٧٤٩٦) واللفظ له. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

▪ومنْ ذلكَ: **الذِّكْرُ**، فهوَ ممَّا يُثقِّلُ بهِ الميزانُ، خاصَّةً التَّسبيحَ والتَّحميدَ، فعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(١).

وعنْ أبِي مالكٍ الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»(٢).

اللَّهمَّ ثقِّلْ موازينَنَا بالأعمالِ الصَّالحةِ، وبيِّضْ وجوهَنَا، وأدخلْنَا الجنَّةَ، وأعذْنَا مِنَ النَّارِ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منْهُمْ والميِّتينَ يَا ربَّ العالمينَ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ علَى نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٦٣)، ومسلم برقم: (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣).

الدَّرسُ التَّاسعُ والثَّلاثونَ
وصفُ الجنَّةِ

الحمدُ للهِ الَّذِي جعلَ الجنَّةَ لعبادِهِ المؤمنينَ نُزُلًا، ونوَّعَ لهُمُ الأعمالَ الصَّالحةَ ليتَّخذُوا منْهَا إلَىٰ تلكَ الجنَّاتِ موئلًا، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ رسولِهِ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، **وبعدُ:**

فإنَّ مِنْ أعظمِ الأساليبِ الَّتِي سلكَهَا القرآنُ الكريمُ لدعوةِ النَّاسِ إلَىٰ تحقيقِ العبوديَّةِ للهِ تعالَىٰ؛ أسلوبَ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ الَّذِي قدْ رُبِطَ بدارينِ عظيمتَيْنِ، **همَا:** نهايةُ المطافِ للبشريَّةِ، **وهمَا:** الجنَّةُ والنَّارُ.

والحديثُ فِي هذَا الدَّرسِ عنْ أوصافِ الجنَّةِ، وسيكونُ الحديثُ عنْ أوصافِ النَّارِ فِي درسٍ قادمٍ إنْ شاءَ اللهُ.

إنَّ الجنَّةَ ومَا فِيهَا مِنَ النَّعيمِ والسُّرورِ، والفرحِ والحبورِ؛ ليعجزُ عنْ وصفِهَا الواصفونَ، وهيَ واللهِ جديرةٌ لأنْ يعملَ لهَا العاملونَ، وأنْ

يتنافسَ فيهَا المتنافسونَ، وأنْ يفنيَ الإنسانُ عمرَهُ فِي طلبِهَا، ففِيهَا مِنَ النَّعيمِ مَا يعجزُ العقلُ البشـريُّ عنْ تصـوُّرِهِ وتخيُّلِهِ، يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[١].

ويصـفُ النَّبيُّ ﷺ هذَا النَّعيمَ فيقولُ: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[٢].

ويقولُ اللهُ سبحانَهُ فِي وصفِ هذَا النَّعيمِ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٣].

ويقولُ سـبحانَهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أَيْ: لمْ يتغيَّرْ ولَا يتغيَّرُ أبدًا ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾

---

(١) سورة السجدة (الآية: ١٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤٤)، ومسلم برقم: (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) سورة الدخان (الآيات:٥١-٥٧).

بحموضةٍ ولَا فسادٍ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لَا تصدِّعُ الرُّؤوسَ، ولَا تزيلُ العقولَ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ تجرِي هذهِ الأنهارُ مِنْ غيرِ حفرٍ، ولَا سواقٍ، يصرفونَهَا كمَا يشاءُونَ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[(١)].

ويقولُ سبحانَهُ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[(٢)].

والآياتُ فِي وصفِ الجنَّةِ ونعيمِهَا كثيرةٌ.

وقدْ جاءَ فِي السُّنَّةِ بعضُ صفاتِ الجنَّةِ ومَا فيهَا مِنَ النَّعيمِ، **ومنْ ذلكَ:**

▪ عنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ**

---

(١) سورة محمد (الآية: ١٥).

(٢) سورة الزخرف (الآيات: ٦٨-٧٣).

كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ[(١)]، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[(٢)]، وفِي روايةٍ: «لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»[(٣)].

▪ وعنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ»، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»[(٤)].

▪ وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا،

---

(١) **الألوة**: بفتح الهمزة ويجوز ضمها وبضم اللام وتشديد الواو، وهي: العود الذي يبخر به. فتح الباري (٦/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٧)، ومسلم برقم: (٢٨٣٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤٥)، ومسلم برقم: (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٣٥).

وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا(١) عَلَىٰ رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

▪ وعنْ صهيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

يقولُ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ليسَ فِي الجنَّةِ شيءٌ ممَّا فِي الدُّنيَا إلَّا الأسماءَ»(٤)، فالاسمُ هوَ الاسمُ، ولكنَّ المسمَّىٰ غيرُ المسمَّىٰ، ففِي الجنَّةِ منْ كلِّ فاكهةٍ زوجانِ، فيهَا فاكهةٌ ونخلٌ ورمَّانٌ ليسَتْ مثلَ فاكهةِ ونخلِ ورمَّانِ الدُّنيَا، هِيَ فقطْ تشبهُهَا فِي الاسمِ ولكنَّها مختلفةٌ عنْهَا فِي الحقيقةِ، قدْ ذُلِّلَتْ قطوفُهَا تذليلًا، إنْ قامَ تناوَلَها بسهولةٍ، وإنْ قعدَ تناولَها بسهولةٍ، وإنِ اضطجعَ تناولَها بسهولةٍ،

(١) أي: خمارها. ينظر: فتح الباري (٦/ ١٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٧٩٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨١).
(٤) أخرجه هناد في الزهد برقم: (٨)، والبيهقي في البعث والنشور برقم: (٣٣٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٦٠): «رواه البيهقي موقوفًا بإسناد جيد».

كلَّما قُطِعَ منْهَا شــيءٌ خَلَفَهُ آخرُ، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[1]، أَيْ: فِي اللَّونِ والهيئةِ، ولكنَّهُ مختلفٌ فِي الطَّعمِ، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[2].

أهلُ الجنَّةِ فيهَا آمنونَ مِنَ الموتِ، آمنونَ مِنَ الهرمِ، آمنونَ مِنَ المرضِ، آمنونَ مِنْ كلِّ خوفٍ، ومنْ كلِّ نقصٍ فِي نعيمِهم أوْ زوالِهِ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[3].

إنَّ نعيمَ الدُّنيَا مهمَا كانَ فإنَّ الإنســانَ معَ مرورِ الوقتِ يملُّ منْهُ ويســأمُ، وأمَّا نعيمُ الجنَّةِ فلَا يســأمُونَ منْهُ ولَا يملُّونَ منْهُ، ولَا يبغُونَ عنْهُ حِوَلًا، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[4].

ومِنْ كمالِ نعيمِ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ أهلِ الجنَّةِ، أنَّ اللهَ تعالَىٰ يجمعُ شــتاتَ أفرادِ العائلةِ إذَا كانُوا جميعًا مِنْ أهلِ الجنَّةِ ودرجاتُهم

---

(١) سورة البقرة (الآية: ٢٥).
(٢) سورة مريم (الآية: ٦٢).
(٣) سورة هود (الآية: ١٠٨).
(٤) سورة الكهف (الآية: ١٠٨).

متفاوتةٌ، فيجمعُهم ويرفعُهم إِلَىٰ أرفعِهم درجةً، كمَا قالَ سبحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ويُلْحِقُ اللهُ تعالَىٰ بعضَهم بعضًا إِلَىٰ الدَّرجةِ الرَّفيعةِ مِنْ غيرِ أنْ ينقصَ مَنْ فِي الدَّرجةِ الرَّفيعةِ شيئًا، ولهذَا قالَ: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾[١]، وإنَّمَا يرفعُهم اللهُ تعالَىٰ تفضُّلًا منْهُ، وكرمًا، وإحسانًا وحتَّىٰ يكملَ أنسُهم ونعيمُهم فِي دارِ النَّعيمِ.

قالَ ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ تأمَّلَ بعينِ الفِكْرِ دوامَ البقاءِ فِي الجنَّةِ، فِي صفاءٍ بلَا كَدَرٍ، ولذَّاتٍ بلَا انقطاعٍ، وبلوغَ كلِّ مطلوبٍ للنَّفسِ، والزِّيادةَ ممَّا لَا عينٌ رأَتْ، ولَا أذنٌ سمعَتْ، ولَا خطرَ علَىٰ قلبِ بشرٍ، مِنْ غيرِ تغييرٍ ولَا زوالٍ، إذْ لَا يقالُ: ألفُ ألفِ سنةٍ، ولَا مائةُ ألفِ ألفٍ، بلْ ولوْ أنَّ الإنسانَ عدَّ الألوفَ ألوفَ السِّنينَ لانقضَىٰ عددُهُ، وكانَ لهُ نهايةٌ، وبقاءُ الآخرةِ لَا نفادَ لهُ، إلَّا أنَّهُ لَا يحصلُ ذلكَ إلَّا بنقدِ هذَا العمرِ»[٢].

---

(١) سورة الطور (الآية: ٢١).

(٢) صيد الخاطر (ص ٣٥٥).

يَا سـلعةَ الرَّحمنِ لسْـتِ رخيصـةً
بـلْ أنـتِ غـاليـةٌ علَىٰ الكسـلانِ
يَـا سـلعـةَ الرَّحمنِ ليسَ ينـالُهـا
فِـي الألـفِ إلَّا واحـدٌ لَا اثـنـانِ
يَـا سـلعـةَ الرَّحمنِ مـاذَا كفؤُهـا
إلَّا أولُـو الـتَّـقـوَىٰ مـعَ الإيـمـانِ
يَا سـلعةَ الرَّحمنِ أينَ المشـترِي
فلقـدْ عرضْـتِ بـأيسـرِ الأثمـانِ
يَا سـلعةَ الرَّحمنِ هلْ مِنْ خاطبٍ
فـالمهرُ قبـلَ الموتِ ذُو إمكـانِ[(١)]

نعيمُ الجنَّةِ، نعيمٌ عظيمٌ، يتنعَّمُ فيهِ أبدَ الآبادِ، ليسَ فيهِ مرضٌ، ولَا همٌّ، ولَا غمٌّ، ولَا تعبٌ، ولَا نصبٌ، ولَا موتٌ، بلْ لذَّاتٌ متتابعةٌ إلَىٰ مَا لَا نهايةَ، ينعمُ ولَا يبأسُ، فيهَا مَا تشـتهِيهِ الأنفسُ، وتلذُّ الأعينَ.

فعلَىٰ المسـلمِ أنْ يتزوَّدَ بالأعمالِ الصَّـالحةِ رجاءَ أنْ يُدخلَهُ اللهُ تعالَىٰ هذهِ الجنَّةَ، وعليْهِ أنْ يسـألَ اللهَ تعالَىٰ كلَّ يومٍ أنْ يدخلَهُ الجنَّةَ

---

(١) نونية ابن القيم «الكافية الشافية» (ص:٣٥٤-٣٥٥).



وأنْ يعيذَهُ مِنَ النَّارِ، فقدْ صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

اللَّهمَّ إنَّا نسألُك الجنَّةَ ونعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ الجنَّةَ ونعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهمَّ إنَّا نسألُك الجنَّةَ ونعوذُ بكَ مِنَ النَّارِ.

وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.



(١) أخرجه أحمد برقم: (١٣١٧٣)، والترمذي برقم: (٢٥٧٢) بسند صحيح. واللفظ لأحمد، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدَّرْسُ الأَرْبعونَ

وصفُ النَّارِ

الحمدُ للهِ الحيِّ القيُّومِ، خلقَ البشرَ وأبانَ لهُمْ طريقَ الخيرِ والشَّرِّ، ففريقٌ إلَىٰ دارِ النَّعيمِ وفريقٌ إلَىٰ نارِ السَّمومِ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ عبدِهِ ورسولِهِ، وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ مَا هطلَتِ الغيومُ، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا. **أمَّا بعدُ:**

فقدْ حذَّرَنَا ربُّنَا تعالَىٰ فِي كتابِهِ مِنَ النَّارِ، وأخبرَنَا عنْ أنواعِ عذابِهَا، بمَا تتفطَّرُ منْهُ الأكبادُ، وتتفجَّرُ منهُ القلوبُ، وتحارُ فيهِ العقولُ، إنَّها واللهِ دارُ الذُّلِّ والهوانِ، والعذابِ والخذلانِ، دارُ الشَّهيقِ والزَّفراتِ، والأنينِ والعبراتِ، دارٌ أهلُها أهلُ البؤسِ والشَّقاءِ، والنَّدامةِ والبكاءِ.

وممَّا جاءَ فِي وصفِها فِي القرآنِ الكريمِ:

قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾[١].

---

(١) سورة الملك (الآيتين: ٧-٨).

وقالَ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾[2].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[3].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾[4].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ

---

(١) سورة التحريم (الآية: ٦).
(٢) سورة المرسلات (الآيتين: ٣٢-٣٣).
(٣) سورة إبراهيم (الآيتين: ٤٩-٥٠).
(٤) سورة الحج (الآيات: ١٩-٢٢).

يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾(١).

وقالَ تعالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٢).

والآياتُ فِي وصفِ النَّارِ وأنواعِ عذابِها الأليمِ الدَّائمِ كثيرةٌ.

وممَّا جاءَ فِي وصفِ النَّارِ في السُّنَّةِ ما يلي:

- عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(٣).

- وعنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كنَّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ، إذْ سمعَ وَجْبَةً(٤)، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ

---

(١) سورة فاطر (الآيتين: ٣٦-٣٧).
(٢) سورة النساء (الآية: ٥٦).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٤٢).
(٤) أي: سقطةً. شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ١٧٩).

وَرَسُــولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَــبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا»(١).

▪ وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَـهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طعامَهُ»(٢).

▪ وعنِ النُّعمانِ بنِ بشـيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِــرَاكَانِ(٣) مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ(٤)، مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَــدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»(٥).

إِنَّها واللهِ دارُ البؤسِ والشَّـقاءِ، والعذابِ الشَّـديدِ، دارٌ سـاكنُوها شرارُ الخلقِ عندَ اللهِ مِنَ الشَّياطينِ وأتباعِهم، قالَ اللهُ تعالَىٰ لإبليسَ:

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٨٥) وقال: «حديث حسـن صـحيح»، وأحمد برقم: (٣١٣٦). وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٧٤٧٠).

(٣) **الشراك:** أحد سيور النعل. شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٨٦).

(٤) أي: القدر. شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٨٦).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢١٣).

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١).

فإنْ سألْتَ عنْ مكانِها فإنَّها فِي أسفل سافلينَ.

وإنْ سألْتَ عنْ طعامِ أهلِهَا فهوَ الزَّقُّومُ، وهوَ شجرٌ خبيثٌ، مرُّ الطَّعمِ، كريهُ المنظرِ، لَا يُسمنُ ولَا يغنِي مِنْ جوعٍ، هذَا طعامُهم إذَا جاعُوا، فإذَا أكلُوا منْهُ التهبَتْ أكبادُهم عطشًا ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾(٢) وهوَ الرَّصاصُ المذابُ، يشوِي وجوهَهم حتَّىٰ تتساقطَ لحومُها، فإذَا شربوهُ علَىٰ كرهٍ وضرورةٍ قطَّعَ أمعاءَهُمْ، ومزَّقَ جلودَهُمْ، هذَا شرابُهم كالمهلِ فِي حرارتِهِ، وكالصَّديدِ فِي نتنِهِ وخبثِهِ، يضطرُّ شاربُهُ إلَىٰ شربِهِ اضطرارًا ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(٣).

---

(١) سورة ص (الآيتين: ٨٤-٨٥).
(٢) سورة الكهف (الآية: ٢٩).
(٣) سورة إبراهيم (الآية: ١٧).

أَمَّا إنْ سألْتَ عنْ لباسِهم فلباسُهم لباسُ الشَّرِّ والعارِ، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[1]، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[2] فلَا يقِيهِمْ هذَا اللِّباسُ حرَّ جهنَّمَ، وإنَّما يزيدُها اشتعالًا وحرارةً، ولَا يستطيعونَ أنْ يقُوا بهِ وهجَ النَّارِ وحرَّهَا عنْ وجوهِهم.

عذابُهم فيهَا دائمٌ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3]، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ وهوَ خازنُ النَّارِ، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ لَا يريدونَ حتَّىٰ الخلاصَ لأنَّهم لَا يرجونَه أصلًا، إنَّما يريدونَ العدمَ. ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[4].

أَيُّها الإخوةُ: هلْ يستطيعُ أحدٌ أنْ يضعَ يدَهُ، أوْ أَيَّ جزءٍ مِنْ جسدِهِ فِي نارِ الدُّنيَا لمدَّةِ دقيقةٍ واحدةٍ؟ أَلَا فليُعلَمْ بأنَّ نارَ الدُّنيَا هذهِ جزءٌ مِنْ سبعينَ جزءًا مِنْ نارِ جهنَّمَ، أَيْ: أنَّ نارَ جهنَّمَ ضُعِّفَتْ علَىٰ نارِ الدُّنيَا تسعًا وستِّينَ مرَّةً، كلُّهَا مثلُ حرِّهَا، كمَا فِي حديثِ

---

(١) سورة الحج (الآية: ١٩).

(٢) سورة إبراهيم (الآية: ٥٠).

(٣) سورة الزخرف (الآية: ٧٥).

(٤) سورة الزخرف (الآيتين: ٧٧-٧٨).

أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**». قالُوا: واللهِ إنْ كانَتْ لكافيةً يَا رسولَ اللهِ. قالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**»[(١)].

لقدْ حذَّرَنَا اللهُ تعالَىٰ مِنْ هذهِ النَّارِ غايةَ التَّحذيرِ فِي كتابِهِ الكريمِ، وحذَّرَنا رسولُ اللهِ ﷺ منْهَا، فينبغِي للمسلمِ أنْ يجعلَهَا نصبَ عينيْهِ، وألَّا يغفلَ عنْهَا، وأنْ يتذكَّرَها مشفقًا منْهَا، فإنَّ اللهَ تعالَىٰ قدْ أثنَىٰ علَىٰ عبادِهِ المؤمنينَ الَّذينَ همُ مِنْ عذابِ ربِّهم مشفقونَ، فقالَ سبحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾[(٢)] أَيْ: خائفونَ.

وقالَ عَزَّوَجَلَّ عنْ أهلِ الجنَّةِ: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ أَيْ: كنَّا فِي الدُّنيا مشفقينَ وخائفينَ مِنْ عذابِ النَّارِ، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٥)، ومسلم برقم: (٢٨٤٣).
(٢) سورة المعارج (الآيتين: ٢٦-٢٧).



﴿٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾(١).

وقدْ وصفَ اللهُ تعالَىٰ عبادَهُ أولِي الألبابِ أنَّهم كانُوا فِي الدُّنيَا يسألُونَهُ النَّجاةَ مِنَ النَّارِ، فقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾(٢).

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾(٣).

وعنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ**»(٤).

اللَّهمَّ نجِّنَا مِنَ النَّارِ، وأسكِنَّا برحمتِكَ دارَ المتَّقينَ الأبرارِ، واغفرْ لنَا ولوالدِينَا ولجميعِ المسلمينَ.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وعلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.



---

(١) سورة الطور (الآيات: ٢٥-٢٨).

(٢) سورة الفرقان (الآيتين: ٦٥-٦٦).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٧٢)، والنسائي برقم: (٥٥٢١)، وابن ماجه برقم: (٤٣٤٠) بسند صحيح.



الفهرس

